كليّة الدّراسات العليا
برنامج اللّغة العربيّة وآدابها

الزّمكانيّة في شعر الصّراع مع الرّوم

(أبو تمّام والمتنبّي وأبو فراس الحَمْدانيّ أنموذجاً)

إعداد
شيرين خليل أندراوس شهوان

إشراف الدّكتور
حسام محمّد عمر التّميميّ
أستاذ الأدب العربيّ المشارك

قُدِّمت هذه الرّسالة استكمالًا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللّغة العربيّة وآدابها
بكليّة الدّراسات العليا والبحث العلميّ في جامعة الخليل
الفصل الدّراسيّ الأوّل 2019/2018 م

نوقشت هذه الرسالة يوم السبت بتاريخ: 2018/10/13م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة:		التوقيع
د. حسام التميمي	مشرفًا ورئيسًا	.....
أ.د إحسان الديك	ممتحنًا خارجيًّا	.....
د. حسن فليفل	ممتحنًا داخليًّا	.....

الإهداء

إلى مهجة القلب وقرّة عينيّ.... والديّ

إلى زوجي الغالي وأولادي وإخوتي الأعزّاء

إلى الّذين فارقوا دنياي

إلى كلّ من تمنّى ليَ الأفضل، ووقف بجانبي وأنار لي الدّرب

وساندني ودعمني لأحقّق ما أصبو إليه

أُهدي جهدي هذا عرفاناً بدورهم

الباحثة

شكر وتقدير

أشكر الله ربيّ وخالقي الّذي أنار لي طريقي لأستكمل عملي هذا

وأتقدّم بالشّكر لأسرتي وعائلتي الكريمة على دعمهم وصبرهم، لأتمكّن من إنجاز بحثي

وأتقدّم بجزيل الشّكر والعرفان إلى أستاذي الدّكتور حسام التّميميّ

الّذي كان لي خير معين ولجهوده المضنية والبنّاءة الّتي مكّنتني من إعداد بحثي هذا

ولنصائحه وإرشاده وعطائه الدّائم.

المحتويات

الموضوع رقم الصفحة

الإهداء..... ... ب

شكر وتقدير..... ت

المحتويات..... ث

ملخّص..... ح

مقدّمة..... خ

مدخل..... 1

الفصل الأوّل

آليات تصوير الفضاء المكانيّ في شعر الصّراع مع الرّوم **9-56**

- **فضاءات مفتوحة** 9
  - استحضار صورة المدن والقرى في الحروب..... 9
  - تصوير أراضي العدوّ..... 15
  - تجسيد مظاهر الطبيعة..... 23
- **فضاءات مغلقة** 40
  - تصوير أماكن التّخفّي..... 40
  - الحصون 40
  - الثّغور الإسلاميّة 43
  - القلاع 48
- **حضور الأماكن الدّينيّة** 49

- **إبراز ملامح صورة المعتقل 51**

الفصل الثّاني

تأثير الزّمان على أحداث الصّراع 58-97

- **الفترات الزّمنيّة في شعر الصّراع 58**
  - **الزّمن الكلّي 59**
  - **الزّمن الجزئيّ 72**

الفصل الثالث

أبعاد المكان والزّمان في شعر الصّراع 99-122

- **البعد التّاريخيّ 99**
- **البعد الدّينيّ 108**
- **البعد النّفسيّ 115**
- **البعد الانتمائيّ 119**

خاتمة 123

المصادر والمراجع 125

ملخّص باللّغة الإنجليزيّة 133

ملخّص

تمثّل الزّمكانيّة في شعر الصّراع محوراً مهمّاً في بناء القصيدة ، لأسبابٍ عدّة أهمّها : أهميّة المكان في إبراز عناصر الصّراع ، وحضور الزّمن بأشكال عدّة، فشعراء تلك الحقبة واكبوا الأحداث المحيطة، وقدّموا رؤيتهم وتصوّرهم للحروب ودوافعها المختلفة؛ لكون الشّعر انعكاساً للواقع بكل تطوّراته السّياسيّة والاجتماعيّة، فكان من الطّبيعيّ وجود أدب الحرب في نتاجهم الأدبيّ، إذ ضمّ شعرهم تلك الحروب، وافتخارهم بالانتصارات، وغضبهم من العدوّ وممارساته، ووقوفهم بجانب سياسة دولتهم ورؤيتها، وأظهر تمسّكهم بإعلاء راية الإسلام، وترسيخ دعائم الدّولة الإسلاميّة، فتناولوا معالم بارزة لحروب المسلمين مع الرّوم، وأقوام أخرى في صراعات شتّى شكلّت سلسلة من الحروب الطّاحنة بين الطّرفين، ليصوّر الشّعراء فرحتهم بتذوّق طعم النّصر تارة ، وحزنهم من الخسارة تارة أخرى.

مثّلت الدّراسة المعنونة ب" الزّمكانيّة في شعر الصّراع مع الرّوم" حضور المكان بأشكاله المتعدّدة، وصور الزّمن بأبعاده المختلفة، وكيف شكّلت الزّمكانيّة مرآة لصراعات طويلة، فجاءت قصائدهم مليئة بأسباب الحروب ودوافعها، ومشكّلة أبعاداً نفسيّة وسياسيّة واجتماعيّة عايشها هؤلاء الشّعراء، باختلاف منابعهم وتصوّراتهم للأوضاع المحيطة بهم، فقدّموا إسهاماتهم، ليكون حضورهم فاعلاً في إنارة شعلة الحق، من خلال نتاجهم الشّعريّ، فجاء دورهم منصبّاً على إبراز تلك الحقبة التّاريخيّة، بمختلف أهدافها وتطلعاتها، فتلك القصائد الزّاخرة بالصّور والأساليب الفنيّة والأبعاد المختلفة، شكّلت مادّة توثيقيّة هي ذروة تجربة الحرب لديهم.

وحوت الدّراسة هذه الأفكار في ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول الفضاء المكانيّ الّذي قسّم إلى فضاءات مفتوحة وفضاءات مغلقة، وجاء الفصل الثّاني بعنوان: تأثير الزّمان على أحداث الصّراع، بنوعيه الكليّ والجزئيّ، وبحث الفصل الثّالث أبعاد الزّمان والمكان المختلفة، ومنها النّفسيّة والتّاريخيّة والدّينيّة .

فشعر الحروب لم يكن حكراً على زمن دون آخر، فمنذ بدء الخليقة والإنسان في صراع مع محيطه، لأسباب ودوافع شتّى؛ لذا فهذه الدّراسة مثّلت الظّاهرة لدى طائفة من الشّعراء أخذوا على عاتقهم بيان تطلّعاتهم ومواقفهم الّتي نسجوها في أشعارهم، مدفوعين بأصالة انتمائهم وإيمانهم الرّاسخ المتين.

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيّدنا محمّد وعلى آله وصحابته والتّابعين وبعد؛

فإنّ الزّمكانيّة هي ارتباط بين فضاء المكان وحركة الزّمن، ليتداخل هذا المفهوم مشكّلاً إطاراً حاوياً لأحداث تاريخيّة وسياسيّة واجتماعيّة جمّة، ظهرت لدى الشّعراء والأدباء، فجاءت أشعارهم، وكتاباتهم وثيقة حيّة لعصور مضت، فعبّروا عن مكنونات نفوسهم وشعورهم تجاه ما يدور حولهم من أحداث، ليجعلوا من نتاجهم وثيقة تجسّد مجريات الأحداث، ومن تلك الأحداث شعر الصّراع وما شهدته حومات الوغى من صليل للسّيوف والتحامٍ للجيوش، في أشرف أيام العرب، وأقسى حروبهم، فالأدب العربيّ زاخر بنثره وشعره، بصراعات وحروب، كان لشعرائه دورٌ في مواكبة الأحداث وتسجيلها ، في فضاء يعجّ بالرّوح الحماسيّة والمقاتلين الشّجعان، وأماكن وأزمنة عدّة، شهدت انتصارات العرب وهزائمهم، فمنذ العصر الجاهليّ تناحرت القبائل طلباً للكلأ والماء، واستمرّت الصّراعات عصوراً لاحقة، لتتباين أسبابها ودوافعها، سياسيّة كانت أم اجتماعيّة أم دينيّة، ولكون الشّعر أداة تعبيريّة لمكنونات النّفس البشريّة وما يعتريها من إحساس بالمتغيّرات حولها، جاء شعر الصّراع معبراً عنها، ولكون الزّمكانيّة ثنائيّة جسدت تلك الأحداث، وقع الاختيار على كوكبة من شعراء العصر العباسيّ وهم:" أبو تمّام والمتنبّي وأبو فراس"؛ لما حواه نتاجهم الشّعريّ من حضور بارز للزّمكانيّة بمختلف أبعادها، لتظهر لديهم بصمةٌ واضحةٌ لزمن ترك ملامحه على وجه المكان، لهذا وجدت رغبة في نفسي لدراسة هذه الظّاهرة، وإظهار الأبعاد المختلفة الأشكال الّتي ساهمت في رسم صور تلك الحروب بأماكنها وتعاقب أزمنتها.

ركّزت هذه الدّراسة على إبراز صور المكان والزّمان، وما تحملانه من دلالات شتّى، صوّرها الشّعراء بما يتوافق مع رؤيتهم لمجريات الأحداث، فرسالة الأديب أو الشّاعر تظهر في صور دعمهم لأمتهم ورؤيتها وشعبهم وتطلعاته، وستحاول الدّراسة الكشف عن البعد الزّمكانيّ عند طائفة من شعراء العصر العباسيّ، الّذين تبوّءوا مكانة عالية في ذلك العصر، ووقع الاختيار عليهم لما تضمّنه شعرهم من أبعاد ودلالات مهمّة رسمت بوضوح مجريات الأحداث، والأماكن الّتي شهدت نصر قادتهم، وآمالهم وطموحاتهم ، فكانت مظاهر الطّبيعة شاهداً حياً لوجودهم وانتصاراتهم، وجاء رسم الشّعراء للوقائع معبّراً عن تجاربهم في عصر شهد

حروباً، مهّدت لبزوغ دولة قويّة سياسيّاً واقتصاديّاً وثقافيّاً، فدارت المعارك في فضاء مكانيّ وزمانيّ، فتداخلا ليشكّلا لوحة فنية عبّرت عن تجربة إنسانيّة ملأتها آهات وويلات الحرب تارة ، وفرحة النّصر تارة آخرى.

إنّ من أهم الأهداف الّتي تسعى الباحثة الوصول إليها من خلال الدّراسة، هي الرّغبة في الكشف عن الدّلالات الزّمكانية في شعر كل شاعر، وكيف تم توظيف عنصريّ الزّمان والمكان لدى كل واحد منهم لرسم ملامح الحروب، والرّغبة في إيجاد العلاقة بين هذين المحورين وبقيّة محاور الصّراع، وركّزت الدّراسة على عنصري الزّمان والمكان لكونهما دليلاً حياً على عصرهم وما شهدته الأماكن في تلك العصور الغابرة وما سجلّه الزّمن لهم، ومن الأهداف الأخرى إبراز الظّاهرة من خلال الشّواهد الشّعريّة وصفاً وتحليلاً، لتوضيح جماليات الزّمكانية في بلورة العمل الأدبي وإحيائه.

اقتضت طبيعة البحث اختيار المنهج التّكاملي، لكونه المنهج المناسب لطبيعة البحث القائم على التّاريخ والتّحليل، والوصف، وتمّ التّركيز على المنهج الوصفي والتّحليليّ لتفسير الأبيات الشّعريّة وتحليلها؛ ولإظهار الدّلالات وأبعادها، واستخدم المنهج النّفسيّ لإيضاح التأثيرات النّفسيّة في خضم الانفعال الشّعريّ، والمنهج الجماليّ لإظهار جماليات المكان والزّمان في صور الشّعراء وأساليبهم، والمنهج الاجتماعيّ لبيان تأثير المجتمع المحيط على الأفراد ونتاجهم الأدبيّ، وبناءً على ذلك قسّمت الدّراسة إلى مدخل وثلاثة فصول وخاتمة على النّحو التّالي:

تناول المدخل تعريف الظّاهرة لغةً واصطلاحاً، فجاءت المادّة النّظرية لإيضاح مفهومي المكان والزّمان ودلالاتهما، وبعض الآراء الفلسفيّة حولهما؛ للوصول للمعنى المتكامل لمفهوم الزّمكانيّة، ، أمّا الفصل الأوّل: فعرض آليات تصوير الفضاء الزّمكانيّ وتمثّلت في: الفضاءات المفتوحة كاستحضار المدن والقرى، وتصوير أراضي العدوّ، وتجسيد مظاهر الطّبيعة، وفضاءات مغلقة تمثّلت في اختيار أماكن التّخفي والحصون والثّغور الإسلاميّة والقلاع، وإبراز ملامح صورة المعتقل، وحضور الأماكن الدّينيّة.

وتناول الفصل الثّاني: تأثير الزّمان على أحداث الصّراع كالزّمن الكلّي المتمثّل بالزّمان والدّهر، والزّمن الجزئيّ المتمثّل بالسّنين واللّيالي والنّهار والصّباح والشّمس والسّاعة والشّتاء وأيام الأسبوع.

وبحث الفصل الثّالث في أبعاد المكان والزّمان في شعر الصّراع، كالبعد التّاريخيّ والبعد الدّينيّ، والبعد النّفسيّ والبعد الانتمائيّ وخاتمة ضمّت نتائج البحث .

قامت الدّراسة على استقراء المادّة من مصادرَ ومراجعَ مهمّةٍ، كدواوين الشّعراء الثلاث الّتي استخدمت مصادر أساسيّة للدّراسة، ومنها : ديوان أبي الطّيب المتنبّي بشرح أبي العلاء المعرّي، وديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التّبريزي، وديوان أبي فراس الحَمْدانيّ، ومن الكتب القديمة: معجم البلدان لياقوت الحموي، إضافة إلى قائمة من الكتب والدّراسات الحديثة ومنها: شعر الصّراع مع الرّوم – في ضوء التّاريخ" العصر العباسيّ حتى نهاية القرن الرّابع" لنصرت عبد الرّحمن، شعر الحرب في أدب العرب – في العصر الأمويّ والعباسيّ إلى عهد سيف الدّولة لزكي المحاسني، ومفهوم الدّهر– في العلاقة بين المكان والزّمان في الفضاء العربيّ القديم لمحمّد الرّحموني، إضافة إلى العديد من البحوث والمقالات، والرّسائل الجامعيّة الّتي تحوي مادة مرتبطة بطبيعة البحث.

وفي حدود معرفتي لم يقم أحد من الدّارسين بدراسة الزّمكانيّة في شعر الصّراع كموضوع مستقلّ، إنّما وُجدت دراسات وجزئيات تحت موضوع الزّمان أو المكان لشعر تلك الحقبة، إضافة إلى دراسات عدّة لكل شاعر، إذ وجدت دراسة بعنوان " روميات أبي فراس الحَمْداني (دراسة جماليّة) ودراسة آخرى بعنوان " شعر جهاد الروم(حتى نهاية القرن الرّابع الهجريّ في موازين النّقد الأدبيّ)" .

ومن الدّراسات الّتي تناولت الزّمكانية:

أوّلاً: "البنية الزّمانية والمكانيّة في رواية زقاق المدق" وهي دراسة دكتوراة لجويدة يحياوي، إذ قسّم البحث إلى فصلين تناول الباحث في الفصل الأوّل مفهوم الزّمان والمكان، وجاء الفصل الثّاني تطبيقاً للمفهومين في ثنايا الرّواية، ليظهر الباحث فيه مدى تأثير عنصريّ الزّمان والمكان في تشكيل هذا العمل الرّوائيّ.

ثانياً: الزّمن في شعر أبي تمّام – دراسة موضوعيّة فنّيّة، لعاطف عبد اللّطيف، ركّز الباحث على مفهوم الزّمن ومفرداته في شعر أبي تمّام بشكل عام، وأهم موضوعات الزّمن في شعره، فقدّم مفهوماً دقيقاً لشيوع مفردات الزّمن في أغراض عدةّ.

من الصّعوبات الّتي واجهت سير البحث، صعوبة تحديد نسبة الأبيات لأحداث الصّراع الزّمنيّة، وتداخل الشّعر الحربيّ الّذي قيل في الصّراع مع الفرس والرّوم لدى الشّعراء، وصعوبة تحديد المواقع الجغرافيّة لتلك الأماكن في زمننا الحالي، لتغيّر مسمياتها واندثار معالم الكثير منها، وغياب الدّراسات المستقلّة الّتي تدرس

الزّمكانيّة في الشّعر القديم، وقلّة المصادر والمراجع الّتي تدرس الزّمكانيّة في العمل الشّعريّ، وإن وجدت كانت تقدّم مفهوماً مختصراً يبعد عن التّحليل العميق في الشّعر.

وأخيراً : أشكر الله على توفيقه وإلهامي الصّبر لإتمام هذا العمل، وأخصّ بالشّكر والعرفان أستاذي ومشرفي الفاضل الدّكتور حسام التّميميّ، لتوجيهاته ونصائحه القيّمة، كما وأشكر اللّجنة الكريمة، بتفضّلها لقراءة البحث ومناقشتي، والحمد لله ربّ العالمين.

مدخل

إضاءات حول ماهيّة الزّمكانيّة

البحث في المعنى اللّغويّ للكلمة يتيح التّعرّفَ على أصول الكلمات وامتدادها، والمعنى الاصطلاحيّ يبيّن مدلولها، والعلاقة بين المعنى اللّغويّ والمعاني الاصطلاحيّة المشتقّة منه علاقة ترابطيّة، تشبه علاقة الجذر بفروع النّبتة، إذ تعدّدت المفاهيم والمصطلحات المتعلّقة بالمكان والزّمان، منذ القدم حتّى العصر الحديث، لتعطي تصوّراً حسّياً وشعوريّاً لعمق المعنيين ودلالاتهما المختلفة، لأنّ المكان والزّمان لايزالان يشكّلان محوراً مهمّاً للفكر البشريّ عامةً وللأدباء والمفكّرين خاصّة.

فالمكان لُغويّاً هو: "الموضع والجمع أمكنة، كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع،قال ثعلب: يبطُل أن يكون مكان فَعالاً؛ لأنّ العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دلّ هذا على أنّه مصدر من كان أو موضع منه"[1]، وهو في التّنزيل العزيز: ﴿**وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ**﴾[2].

ويعرّف الباحث السّيميائيّ لوتمان (Lottmann) المكان بقوله:" هو مجموعة من الأشياء المتجانسة من الظّواهر، أو الحالات أو الوظائف أو الأشكال المتغيّرة، تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانيّة المألوفة العاديّة مثل الاتّصال، والمسافة، وغيرها"[3].

والمكان هو الكيان الاجتماعيّ الّذي يضمّ تفاعل الإنسان مع مجتمعه، فيعكس أفكارهم ووعيهم، وأخلاقهم، فهو القرطاس المرئيّ الّذي سجّل عليه البشر مخاوفهم وفكرهم وفنونهم، وكلّ ما آلمهم، ليكون وثيقة لماضيهم الّذي أرادوا أن يورثوه للمستقبل[4].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " مكن".
[2] **مريم**،75.
[3] يوري، لوتمان، **جماليّات المكان**، 69.
[4] يُنظر: النّصير، ياسين، **الرّواية والمكان**، 16-17.

ويُلاحظ تضافر المعنى المعجميّ والاصطلاحيّ في إيضاح مفهوم المكان كونه الحيّز والكيان والموضع الحاوي الّذي يضمّ خلاصة تجارب الإنسان، والبيئة الّتي استلهم منها المفكّرون والنّقاد آراءهم وتطلّعاتهم، وبرع فيها الشّعراء في رسم لوحاتهم المعبّرة عن واقعهم وتجاربهم.

أمّا فلسفيّاً فقد تعدّدت آراء الفلاسفة فوضعوا مفاهيم شتى للمكان. ومن المفاهيم ما أورده أرسطو (Aristotle) بقوله: "يفترض أنّ كلّ ما يوجد لابد أن يحصل في "أين" ما، أي في مكان معيّن، في مقابل أن ما ليس بموجود فليس هو في موضع أصلاً، وللمكان ثلاثة أبعاد هي : الطّول والعرض والعمق، بها يحدّ كل جسم"[1].

وميّز هوفدينغ (Hovding) بين المكان النفسيّ والمكان المثاليّ فقال: " إنّ المكان النفسي هو الّذي ندركه بحواسنا، وهو مكان نسبيّ لا ينفصل عن الجسم المتمكّن، على حين أنّ المكان المثاليّ الّذي ندركه بعقولنا مكان رياضيّ مجرّد ومطلق وهو وَحده متجانس ومتّصل"[2].

وقيل هو" التقاء أفقيّ المحيط والمحاط به، وهو سطح الجسم الحاوي وسطح الجسم المحويّ والمكان لا يُتصوّر فيه الانتقال دفعة؛ إذ إن المكان قابل للانقسام والجسم كذلك، فإنّما يفارق مكانه جزءاً بعد جزء ويتقدّم البعض منه على البعض، لا يُتصوّر إلّا كذلك"[3]. ورأى الجرجانيّ أنّ المكان هو:" الفراغ المتوهّم الّذي يشغله الجسم ويتّخذ فيه أبعاده"[4].

وتعدّدت الآراء الفلسفيّة للمكان لتعطي تصوّراً شكليّاً للأبعاد الّتي يحويها، سواء أكان واسعاً أم ضيّقاً، أم شكّل بعداً نفسيّاً يُستمد من الحواس، لتلاحظ رؤية مشتركة يتوافق فيها على كون المكان الجزء الضّام لما يحويه بأبعاده المختلفة ، وليتناسب المحتوى مع الإطار الخارجيّ وتغيّراته.

---

[1] أرسطو، طاليس،**الفيزياء"السّماع الطّبيعيّ"**، 99-101.
[2] صليبا، جميل، **المعجم الفلسفيّ**، 2/ 413.
[3] جيهامي، جيرار، **موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب**، 839.
[4] **معجم التّعريفات**، 191.

أمّا الزّمن، فعُني الإنسان به منذ القدم، ليكون دليله في حلّه وترحاله، وميقاتاً لضبط أوقاته وتسيير أموره الحياتيّة، فتعدّدت مسمياته ومفاهيمه اللّغوية والاصطلاحيّة لتعطي بعداً دقيقاً لاهتمام العرب بالزّمن ودلالاته المختلفة.

وارتبط وعي الإنسان بالزّمن منذ وعيه بطبيعة الأشياء والكون الّذي يحيط به، وما تعتري الأشياء من تحوّلات، وتعاقب اللّيل والنّهار والفصول[1]. "والزّمن مظهر نفسيّ لا ماديّ، ومجرّد لا محسوس، ويتجسّد الوعي به من خلال ما يتسلّط عليه بتأثيره الخفيّ غير الظّاهر، لا من خلال مظهره في حدّ ذاته، فهو وعي خفيّ، لكنّه متسلّط ومجرّد، ويتمظهر في الأشياء المجسّدة"[2]

والزّمان لغويّاً:

جاء في لسان العرب في مادة "زمن" ، بأنّ الزّمن" اسم لقليل الوقت وكثيره، وفي المحكم: الزّمن والزّمان: العصر، والجمع أزمُنٌ وأزمان وأزمنة. وأَزمَن الشّيء: طال عليه الزّمن، والاسم من ذلك الزّمن والزُّمنة وأزمن بالمكان: أقام به زمناً"[3]. والتّصوّر الفلسفيّ لدى أفلاطون(Plato) تحديداً " كل مرحلة تمضي من حدث سابق إلى حدث لاحق" [4].

وجوهر الزّمان يتميّز بالتّواتر والتّكرار، تتعاقب فيه دورات الموت والميلاد، والنّمو والانحلال، عبر دورات الشّمس والقمر والفصول، فيستمرّ عبر فترات منتظمة، تبيّن أداء الأشياء في وقتها المناسب[5]، وعُدّ الزّمان فكرة مشتقّة من الحركة الشّاملة الّتي أحاطت وجود الإنسان ومحيطه بالغموض، لتظهر على شكل تغيّر لا نهائيّ، فالحركة هي الأسلوب الّذي يجمع الموجودات والزّمان، وهو محور تصوّري يختزل تلك الحركة اللّانهائيّة ليعيننا على فهمها[6].

---

[1] يُنظر: فريحات، مريم، **الزّمن في شعر أدونيس- قصيدة الوقت نموذجاً**، المجلّة العربيّة للآداب، المجلّد 3، العدد1، 2006،51.
[2] مرتاض، عبد الملك، **في نظريّة الرّواية**، 173.
[3] ابن منظور، **لسان العرب**،7-60/8.
[4] مرتاض، عبد الملك، **في نظريّة الرّواية**، 172، نقلاً عن:.Platon, Timee, in Andre Lalande, op.cit
[5] يُنظر: كامل ، فؤاد،**فكرة الزّمان عبر التّاريخ**، 12.
[6] يُنظر: الجهاد، هلال، **جماليات الشّعر العربيّ- دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشّعري َالجاهليّ**، 79.

ويعدّ من الصّعب وضع مفهوم دقيق للزّمن، كونه قضيّة تجريديّة، فالزّمن ظاهرة كونيّة تؤثّر في حضور حسّي غير مرئيّ، وفي هذا المُعطى الوجوديّ الجوهريّ تستمدّ الموجودات هويّتها ووظيفتها، أي تحيّزها الماديّ ضمن محيطها ومع ذاتها، فتحكم المادّة في مظاهر عدّة، ضمن نظام طرديّ منتظم، فالدّيانات السّماويّة نظرت إلى مفهوم الزّمن كمجال حسّيّ، تتجسد فيه قدرة الله ومشيئته في الكون، بما شمله من أمور مدركة ومغيّبة[1].

فتعدّد تعريفات الزّمن لتعطي مفهوماً دقيقاً لارتباطه بالظّواهر الكونيّة المختلفة، ومدى تأثيرها على الإنسان وتأثره بها، فينساب الزّمن بتكراره وأزليّته اللّانهائيّة، ليمنح الله تعالى الوجود الإنسانيّ بقاءه ونهايته ضمن الزّمن، وليرسم مجريات حياته، لتتناسب مع حيثيّات الزّمن وتواتره.

وقد تنوّعت مقولات الزّمن، فمنها الفلسفيّة والعلميّة والأدبيّة ، فظهر الاهتمام بالزّمن في الآداب القديمة والأساطير، لتتعدّد الأقطاب الجاذبة لفكرة الزّمن، فعُني الجانب الفلسفيّ بها، وحاولت المناهج الفلسفيّة الكشف عن مفاهيم الزّمن، وعلاقته الجدليّة بالإنسان، ليتركّز اهتمام الفلاسفة حول ثنائيات شتّى متعلقّة بالكون والحياة والإنسان والميلاد والموت وغيرها[2].

ومع ارتقاء الفكر الإنسانيّ واقترابه من الفلسفة، وعى الإنسان حقيقة الزّمن وما يحويه من تناقضات، فالوجود والحياة مرتبطان به، فالزّمن ينقص الحياة ويدنيها من الفناء، ليجعلنا نتساءل هل الزّمن صديق ننسج فيه حياتنا أو عدوّ يقوّض هذه الحياة ؟ لذلك نجد للزّمن وجهين، وجهاً محبوباً وآخر مكروهاً، فجاء الشّعر معبّراً عنه[3].

وللزّمن تأثيره الإيجابيّ والسّلبيّ في حياة البشر، ومن هنا يأتي دور الفرد في تسيير أموره الحياتيّة بشكل يتلاءم مع ظروف زمانه وأحداثه، ليصنع من العقبات طريقاً يتجاوز فيها كلّ الصّعوبات مهما بدت شائكة صعبة، فالوعي الجادّ والإدراك البنّاء يجعل الإنسان ممسكاً بزمام الأمور، قادراً على مجاراة الزّمن وتقلّباته.

---

[1] يُنظر: عشراتي، سليمان، **الخطاب القرآنيّ- مقاربة توصيفيّة لجماليّة السّرد الإعجازيّ**،107.
[2] يُنظر: العالي، قمر، **البينة الزّمكانيّة في رواية " الرّماد الّذي غسل الماء"** ماجستير، جامعة الحاج لخضر،الجزائر، 2011-2012،11.
[3] يُنظر:فريحات، مريم، **الزّمن في شعر أدونيس" قصيدة الوقت أنموذجاً"**، المجلّة العربيّة للآداب، المجلّد3،العدد51،2006،1.

ويرى هيبوليت تين (Hippolyte Taine) أنّ الزّمان هو أحد المؤثّرات الثّلاثة(الجنس والبيئة والعصر) فهي تحدّد ماهيّة العبقريّة عند المفكّر أو الأديب، ففهم الأديب لعصره أو زمانه يتضمّن أوجه النّمو الفكريّ والاجتماعيّ لذلك العصر الّذي من شأنه تحديد الاتّجاه الفكريّ والاجتماعيّ لفترة لاحقة[1].

ويقول الفيلسوف هنري برغسون (Henri Bergson):" ما من أحد يحسّ بالزّمن كالشّعراء، لأن الشّعراء أكثر إحساساً بكون الآدميّ ضحيّة الزّمان الوحيدة، إذا اعتبرنا الوعي بالجلّاد هو أصل المشكلة! فالفلاسفة أنفسهم ينصحوننا بالذّهاب إلى الشّعراء حين يتعلّق الأمر بمحنة إنسانيّة لها طابع الدّيمومة"[2]. وأتّفق مع الفيلسوف " برغسون" في قدرة الشّعراء على تجسيد حيثيات الزّمن وتصوير مدى تأثيره، ودوام أثره في حياة البشر، ودورهم في توثيق الحدث وإبراز أهمّيته ليضفي الزّمن على الحدث صفة الاستمراريّة والبقاء.

وتبقى جدليّة الفلسفة قائمة في بحثها عن تفسيرات دقيقة للزّمن، لتنظر إليه نظرة تفاؤليّة تارة وتشاؤميّة تارة أخرى، ولتكون مرتكزة على مدى وعي الإنسان بما يحيط به، منذ لحظة ميلاده حتّى وفاته، ليرسم الزّمن بأنامله صورة حيّة لمجريات الأحداث وتعاقبها وإدراك البشر لها باختلاف ثقافاتهم ورؤيتهم.

ففي حياة البشر يتزامن وجود المكان والزّمان، ليشكّل التقاؤهما محوراً تدور حوله الأحداث الحياتيّة جميعها، فينبثق من المكان وجود الإنسان وعالمه، وكلّ الأحداث الّتي عاشها؛ ليبقى المكان شاهداً حيّاً على الوجود الإنسانيّ، وما تبعه من إنجازات حفرت صداها في أماكن وجوده واستقراره، وليتعاقب الزّمن على تلك الأماكن، مؤثّراً فيها إيجاباً وسلباً، فكلاهما يؤثّران في حياة البشر بكل أطيافها.

أمّا الزّمكانيّة فهو مصطلح غربيّ:" نحت من كلمتيّ الزّمان والمكان، ومشتقٌّ من اللّفظ اللاتينيّ:"(hronotope) لجذرين لغويين لاتينيين هما: (Chronos) ويعني الزّمان و(Topos) يعني

[1] ينُظر: وهبة، مجدي، وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب**، 271.
[2] فريحات، مريم، **الزّمن في شعر أدونيس" قصيدة الوقت نموذجاً"**،المجلة العربيّة للآداب، المجلّد3، العدد1،2006، 52. نقلاً عن: منصور، خيري، **أبواب ومرايا**، 72.

المكان، ودمجهما يعطي(Chronotope)[1]. "وكرونوتوب هي طبيعة المقولات الزّمنيّة والفضائيّة المعروضة والعلاقة بينهما، ويحدّد المصطلح ويؤكّد الاعتماد التّام المتبادل بين الفضاء والزّمن لأي من أشكال التّصوير الفنيّ ويعني حرفيّاً " الزّمان – المكان"[2].

والزّمكانيّة عند ميخائيل باختين (Mikhail Bakhyin) مصطلح مقتبس من علم الأحياء الرّياضيّ، والتّفاعل بين الطّرفين يتأسّس على بُنى دراميّة أدبيّة (البنى الزّمكانيّة) هي نفسها بُنى إدراكيّة ذهنيّة يوظّفها القارىء والمؤلّف ليركّب عناصر تاريخيّة ونصيّة تحمل دلالة مختلفة لكنّها ثابتة، فالزّمكانيّة من وجهة نظره لا تخضع لمعرفتها التّاريخيّة فحسب بل هي ذاكرة تحفظ الأبعاد التّاريخيّة والاجتماعيّة معاً "[3].

ويمثّل كلّ من الزّمان والمكان إحداثيّات أساسيّة تحدّد الأشياء الفيزيقيّة، فيمثّل المكان إحداثيات الوقوع الأرضيّ، والزّمان يوضّح إحداثيات الوقوع الزّمنيّ، فمتى وأين أدوات استخدمت لتعريف الظّاهرة، ومن البدهيّ أن لا يشغل جسمان نفس المكان في الوقت ذاته ، ولا أن يحتلّ جسم مكانين مختلفين في الوقت نفسه[4]. ويمثّل كلاهما إحداثيّات أساسيّة تحدّد الأشياء الفيزيقيّة، فتمييز الأشياء قائم على وضعها في المكان الملائم، وتحديد الحوادث يعتمد على تأريخ وقوعها في الزّمان[5].

والاقتران والالتحام بين المكان والزّمان ظاهر، فالشّعراء كثيراً ما كانوا يستعيرون الألفاظ الدّالة على الزّمن للتّعبير عن المكان؛ لاقتران التّجربة الفنيّة بطبيعة الزّمان والمكان، فهما يتداخلان مع العناصر الأخرى بما تحويه من لغة ومضمون وموقف ، وهما يتجانسان مشكّلين بعداً دراميّاً في بلورة الفضاء الإبداعيّ في أعمال أدبيّة شتى، فيصبحان رمزاً إنسانيّاً تأخذ دلالاته منحًى جماليّاً يعبّر عن موقف وجوديّ، فيصوّر المبدع لحظة خصوصيّة ذات ثنائيّة سرمديّة : المأساويّة والتّفاؤليّة[6].

---

[1] العتيبي، منير، **البنية الزّمكانيّة في روايات وليد الرّجيب**، ماجستير، جامعة الشّرق الأوسط، 2015، 20.
[2] برنس، جيرالد، **قاموس السّرديات**، 32.
[3] الرّويلي، ميجان، وسعد البازعي، **دليل النّاقد الأدبيّ**، 170-171.
[4] يُنظر:عشاب، أمنة، **الحبك المكانيّ في السّياق القصصيّ القرآنيّ-سورة يوسف أنموذجاً**، ماجستير ، جامعة حسيبة بن بوعلي الجزائر، 2006-2007، 72.
[5] يُنظر: بوعزة، محمد، **تحليل النّص السّرديّ- تقنيات ومفاهيم**، 99.
[6] يُنظر: بلوحي، محمد، **آليات الخطاب النّقديّ الحديث في مقاربة الشّعر الجاهليّ**، 99.

الفكر البشريّ أقرب إلى الأمور المحسوسة من اللّامحسوسة، فمعرفة الإنسان بالزّمن تتطلّب إدراكاً أكثر تعقيداً، وتساؤلات شتّى، يثيرها وجوده في الزّمان، والّذي لابد من استيعاب تأثيره ومؤثراته في فضاء المكان الّذي حوى نتاج الفكر البشريّ على مدى العصور والأزمنة.

فالمكان يحتوي الزّمن ويرسم البعد الإنسانيّ للواقع الّذي نعيشه، وهو جزء من تكويننا البشريّ، وشاهد على تاريخ البشر وحضارتهم وتطورهم، والزّمان يذوب في المكان أو يوازيه، ويكمن اكتشافه بقدرة البشر على إدراكهم لواقعهم[1].

وشهد تاريخ البشريّة حروباً عدّة ، خلّدها الشّعراء والأدباء في شعرهم وأدبهم، فالعرب خاضوا الحروب منذ العصر الجاهليّ، ولكون الشّعر ديوان العرب الّذي حوى أشعاراً ضمّت توثيقهم لمواقع غزواتهم، وحال أبطالهم وفروسيتهم في ساحات الوغى، برز عنصر المكان في تلك الوقائع، ليجيء شعرهم معبّراً عن مكنونات نفوسهم وشعورهم تجاه ما يدور حولهم ، وليجعلوا منه وثيقة جامعة لتلك الحقب.

ويعدّ الصّراع بين العرب والرّوم صراعاً قديماً، لم يظهر في فترة الحكم العباسيّ فحسب بل أرّخت بدايته مع ظهور الإسلام، فخرج العرب من شبه الجزيرة العربيّة؛ لنشر الدّين الجديد قاصدين الشّعوب المجاورة، فكانت الفتوح والغزوات، وبسيطرة المسلمين على العراق وبلاد فارس والشّام ومصر، اتّسعت حدود الدّولة، وأصبح تأمين حدودها أمراً مهمّاً؛ لانطلاق الجيوش في غزواتهم، فمجاورتهم لبلاد الرّوم شكّل تهديداً لهم، ومنذ تلك الحقبة بدأ الصّراع بين العرب والرّوم[2]. وقد صوّر هذا الصّراع مجموعة من الشّعراء منهم (أبو تمّام، والمتنبّي، وأبو فراس الحَمْدانيّ) وغيرهم .

[1] يُنظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطّيّب المتنبّي**، 23.
[2] يُنظر: إسماعيل، عز الدّين، **في الأدب العباسيّ - الرّؤية والفن**، 129.

الفصل الأوّل

آليّات تصوير الفضاء المكانيّ في شعر الصّراع مع الرّوم

- **فضاءات مفتوحة**
  - استحضار صورة المدن والقرى في الحروب
  - تصوير أراضي العدوّ
  - تجسيد مظاهر الطّبيعة

- **فضاءات مغلقة**
  - تصوير أماكن التخفّي
  - الحصون
  - الثّغور الإسلاميّة
  - القلاع

- حضور الأماكن الدينيّة
- إبراز ملامح صورة المعتقل

شهد التّاريخ العديد من الصّراعات والحروب الضّارية، الّتي تعدّدت مسمّياتها وغاياتها، لتصنع الانتصارات والهزائم منها تغييراً جذريّاً في حياة الشّعوب، فالدّولة العبّاسيّة كغيرها من الدّول دخلت غمار الحرب، مدافعة عن أرضها ووجودها، فسيّرت جيوشها لمجابهة عدوّها، وقام شعراؤها بتسجيل تلك اللّحظات التّاريخيّة، فدافعوا بشعرهم وانتمائهم عن بلادهم، ليكون الزّمن شاهداً على ما ضمّنوه في شعرهم من توثيق لأماكن الصّراع، وزمن حدوثها.

ولشعر الحرب مساحة في القصيدة العربية، إذ تعدّدت مدلولاتها ومفرداتها وألفاظها لتجيء انعكاساً لقدرات المقاتلين وعطائهم اللّامحدود في إيقاد سعير الحرب ببطولاتهم وشجاعتهم وجرأتهم في قتالهم[1]، وظّل شعر الصّراع في القرن الثّالث مرتبطاً بالمدح، فعكس عواطف الشّعراء في الحرب مع الرّوم؛ لأنّ فيها شيئاً من الخصوصيّة الّتي رسمت نضال هؤلاء الأبطال وقتالهم[2].

ومع توالي حروب الرّوم في العصر العباسيّ، هبّ الشّعراء يصوغون رؤيتهم للمعارك الّتي جرت، فرسموا تفاصيلها، وأخذوا القارئ للماضي في رحلة رسمت أحداثاً دارت في تلك الأماكن، فقدّموا مادّة تاريخيّة مهمّة، خطّوها بأشعارهم، فجاءت قصائدهم صوتاً حيّاً مدوّياً، عكست نزاع طرفين في أحداث متلاحقة حامية الوطيس، سارع كلاهما فيها للظّفر بالنّصر بغية تحقيق طموحاته، وترسيخ كيانه في ضوء رؤيته الخاصة.

- **الفضاءات المفتوحة**
  - **استحضار صورة المدن والقرى في الحروب.**

عبّر الشّعراء عن الصّراع القائم في زمنهم، فتضمّن شعرهم مدناً وقرى تلاحم فيها العرب والرّوم في معارك ضارية نشبت هناك، لتكون شاهداً حيّاً على صراع دام طويلاً، ليرسم كل شاعر رؤيته للمكان وما دار فيه من معارك، فقدّم الشّعراء لوحات للحرب، استحضروا تفاصيلهامن تحرّك الجيوش وعديدهم في تلك المدن والقرى الّتي مرّوا بها منتصرين تارة ومهزومين تارة أخرى.

[1] يُنظر:القيسي، نوري، **شعر الحرب في عصر الرّسالة**، 2.
[2] يُنظر: عبد الرّحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،151.

نقل شِعْر الصّراع في معارك العرب والرّوم الوقائع التّاريخيّة كما حدثت، فالشّعراء لم يأتوا بحوادث لم تقع، ومن الظّواهر التّاريخيّة كثرة ذكرهم لأماكن الرّوم، فحرصوا على إدخال الأسماء الرّوميّة للأماكن كما هي، تلك الّتي كانت بنيتها تختلف عن الكلام العربيّ، فلا يوجد في كلام العرب ما يماثل أموريوم وكبادوسيوم، فحوّر الشّعراء تلك الألفاظ؛ لتلائم الذّوق العربي[1].

وقد صوّر المتنبّي أماكن الصّراع الّتي لم تعد مجرد مدن أو دروب مرّوا بها، بل استطاع الشّاعر بثّ الحياة فيها، حتى أصبحت رؤية تلك الأماكن أُمنيةً، كرؤية الحدث[2] وأرسناس[3] الّذي عبره المتنبّي وجنود سيف الدّولة سباحة، وتل بطريق[4] حيث اختفى ابن الشمشقيق مرتعداً في شجرها الكثيف[5].

ومن هذه المدن حرّان الّتي قدّم لها المتنبّي صورتين، إذ يقول: [الطّويل]

وَمَـا هِـيَ إلَّا خَطْـرَةٌ عَرَضَـت لَـهُ بِحَـــرَّانَ[6] لَبّتْهَـــا قَنَـــاً وَنُصُـــولُ[7]
وَخَيـلٍ بَراهَـا الـرَّكْضُ فـي كُـلِّ بلـدةٍ إذا عَرَّسَـــت فيهـــا فَلَـــيْسَ تَقِيـــلُ
فَلَمَّـا تجَلَّـى مِـنْ دَلُـوكَ[8] وصَـنْجَةٍ عَلَـــتْ كُـــلَّ طَـــوْدٍ رَايَـــةٌ وَرَعِيـــلُ[9]
عَلى طُرُقٍ فيها على الطُّرْقِ رِفعَةٌ وَفـــي ذِكْرِهـا عِنـدَ الأَنـيسِ خُمـولُ[10]

فسيف الدّولة عازمٌ على ترك حرّان ليقصد بلاد الرّوم، فالسّيوف والرّماح لبّت هذا النّداء، فكانت على أهبة الاستعداد. وعندما بلغ حرّان استجابت له الذّوابل ولبّته المناصل، فقصد دلوك وصنجة بجيش جبّار، فبلغتها الجياد بعد أن أتعبها الجري والرّكض من غير راحة لتقطع الجبال، وتعبر الشّعاب

---

[1] يُنظر: عبد الرّحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم-في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،154-155.

[2] **الحدث**: قلعة حصينة بين ملطية وسُميساط ومرعش من الثّغور، يُقال لها الحمراء؛ لأنّ تربتها جميعاً حمراء،وقلعتها على جبل يُقال له الأحيدب،الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،277/2.

[3] **أرسَناسَ**: اسم نهر في بلاد الرّوم، يوصف ببرودة مائه، عبره سيف الدّولة ليغزو الرّوم، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،151/1.

[4] **تل بطريق**: بلد كان بأرض الرّوم في الثّغور، خرّبه سيف الدّولة بن حمدان، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 40/2.

[5] **يُنظر**: عبد الرّحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**، 326-327.

[6] **حرّان**: مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقود، وهي قصبة ديار مُضر، وهي على طريق الموصل والشّام والرّوم،الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 235/2. حرّان: تقع مدينة حرّان التّركيّة على الحدود السّوريّة، وعلى الضّفة الشّرقيّة لنهر بليج أحد روافد نهر الفرات، آمنة ، أبو حجر، **موسوعة المدن الإسلاميّة**،263.

[7] **نصول**: النّصل حديدة السّهم والرّمح، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " نصل".

[8] **دَلوك**: بليدة من نواحي حلب بالعواصم، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 461/2. دلوك: بلدٌ من الثّغور المتّصلة ببلاد الرّوم وراء الفرات، الحميري، محمد، **كتاب الرّوض المعطار- في أخبار الأقطار**، 236.

[9] **رعيل**: قطعة من الخيل، متقدّمة كانت أو غير متقدّمة،، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "رعل".

[10] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،340/3-339.

صَنجَة: نهر بين ديار مضر وديار بكر عليه قنطرة عظيمة من عجائب الأرض، الحمويّ، ياقوت،**معجم البلدان**، 425/3.

في مناطق ما وطئتها قدم سالك قط[1]، وظهر الرّمز في البيت الثّاني، في جعل الطّرق الّتي تدوسها الخيول طرقاً فيها رفعة؛ لأنّ خيول سيف الدّولة مرّت بها فأصبحت مختالةً[2].

وظهرت صورة الخيول وقد انتهت إلى آخر السّهل عند دَلوك وصَنجَة، صاعدة الجبل لتبلغ قمّته فتزحمها بنفسها وحركتها حيث تملأ الجوّ رايات وأعلام، أمام عدوٍّ لا يعرف ما دبّر له[3]. وتلك الخيول دائمة الرّكض والسّير، وهي تحسّ آثار الزّمن عليها والخطر الّذي يداهمها في حرّان فتلبّيها السّيوف والجيوش المغيرة على أعدائها، تتردّد بين حلب وبلاد الرّوم يطاردها الزّمن[4].

ويقول المتنبّي: [البسيط]

وَالنّقْـعُ[5] يَأخُـذُ حَرَّانـاً وَبَقْعَتِهَـا وَالشَّـمْسُ تُسْـفِرُ أحيانـاً وَتَلْتَـثِمُ[6]

تظهر الصّورة اللّونيّة في حرّان معبّرة عن اشتداد المعركة، فالغبار يتصاعد من وقع أقدام الخيول وحركتها المستمرّة والسّريعة مسبّبةً تناثر الغبار ، فتظهر الشّمس تارة وتختفي تارة أخرى، نظراً لتكاثف هذا الغبار، ويظهر الانزياح اللّغوي في صدر البيت الشّعريّ، فالشّاعر خلع على الغبار صفة إنسانيّة هي "يأخذ"، فيظهر الانزياح عن الكلام المألوف، لأنّ الغبار يُغطِّي ولا يأخذ، فأراد الشّاعر خلق جوٍّ من الغرابة والدّهشة، في لوحة بديعة شخّص فيها الشّاعر الجمادات وبثّ فيها الحياة.

ولبعض القرى الّتي مرّت بها الجيوش حضور في شعر العباسيّين، يقول أبو تمّام: [الكامل]

قُـدتَ الجِيـادَ كَـأَنَّهُنَّ أَجـادِلٌ[7] بِقُـرَى دَرَوْلِيَـةٍ[8] لَهـا أَوْكـارُ[9]

---

[1] يُنظر: عبد الرّحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم - في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،، 212.
[2] يُنظر: المحاسني ، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،239-240..
[3] يُنظر: نهر، هادي، **مع المتنبّي في شعره الحربيّ**، 155.
[4] يُنظر: **الدّسوقي**، عبد العزيز، **أبو الطّيّب المتنبّي- شاعر العروبة وحكيم الدّهر**، 265.
[5] **النّقع:** الغبار السّاطع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "نقع".
[6] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي**،548/3.
بقعتها: قطعة من الأرض على غير هيئة الّتي بجنبها، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" بقع".
[7] **الأجادل**: الصّقور، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" جدل".
[8] **دَرَولِيَة**: مدينة في أرض الرّوم،الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**، 453/2.
[9] **الدّيوان**: 168/2.

ويقرّب الشّاعر صورة الأحداث في هذا البيت لتبقى عالقة في الذّهن، فيصوّر سرعة تحرّك الجياد الّتي شبّهها بالصّقور تحوم فوق قرى درولية لتشكّل لها مأوًى، في انزياح واضح عن المعنى في استخدامه للفعل " قدت" للصّقور المحلّقة، رغم أنّها لا تُقاد، ويكرّر الشّاعر في البيت حروفاً كالجيم والدّال لتدلّ على القوّة، والشّدّة، والفخامة في رسم صورة المعركة، فاستخدام الشّاعر لكلمة أوكار يجعل قرى درولية تبدو وكأنّها مبنيّة بأماكن تصلح للاحتماء والاختباء، لكن رغم ذلك فالفرسان كالصّقور استطاعوا بمهارتهم الحربيّة الاهتداء لتلك القرى، والقضاء على العدوّ.

وللقرى حضورها في شعر أبي فراس الحمدانيّ أيضاً، فيقول: [الوافر]

تَــأَمَّلَني " الدُّمســتُقُ[1] " إذ رَآنِــي، فَأبْصَــرَ صِــيغَةَ اللّيْــثِ، الهُمَــامِ
أتُنْكِرُنـــي كَأنّـــكَ لَسْـــتَ تَـــدْري بِــأَنّي ذَلِــكَ البَطَــلُ، المُحَــامِي
وَإنّـــي إذا نَزَلْـــتُ عَلـــى "دُلُـــوكٍ" تَرَكْتُــكَ غَيــرَ مُتَّصِــلِ النِّظَــامِ[2]

يظهر الشاّعر مدى الرّعب الكبير الّذي سيحدث عند وصول القائد لبلدة دلوك، ليشهد المكان معركة حامية الوطيس، ستؤدّي إلى تشتيت جيش الدّمستق، ليحمل المكان دلالات الخوف والفزع من القدر القادم.

ومدينة أَذْرَبيجان[3] من المدن الّتي ورد ذكرها في دواوين شعراء أمثال أبي تمّام والبحتريّ وأبي فراس الحَمدانيّ ، وكثرت الأشعار فيها بعدما صارت جزءاً من الدّولة الإسلاميّة[4]؛ لتكون أذربيجان وغيرها من المدن من مناطق الصّراع بين الفرس والمسلمين.

---

[1] **الدّمستق**: **دومستيكوس تون سكولون** δομέστικος τῶν σχολῶν, domestikos tōn scholōn باليونانيّة أو الدّمستق بالعربية هو لقب عسكريّ بيزنطيّ وأعلى رتبة عسكريّة في الجيش البيزنطيّ والمنصب الأقوى بعد الإمبراطور . Rodolphe Guilland, "Le grand domestique". Recherches sur les institutions byzantines, Tome I (1967). Berlin: Akademie-Verlag. pp. 405–425

[2] **الدّيوان**: 318.

دّلوكُ: بليدة من نواحي حلب بالعواصم،كانت بها وقعة لأبي فراس بن حمدان مع الرّوم، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،461/2.

[3] **أَذْرَبيجان**: أذربيجان مسماة باذرباذ بن إيران بن الأسود بن سام بن نوح، وقيل : بل أذر اسم للنّار بالفهلويّة، وبايكان معناه الخازن، فكان معناه بيت النّار، وهي في الأقليم الخامس، طولها ثلاث وسبعون درجة، وعرضها أربعون درجة،وحدّ أذربيجان من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً؛ ويتّصل حدّها من جهة الشّمال ببلاد الدّيلم، والجيل ، والطّرم وهو إقليم واسع. الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**، 128/1.

أذربيجان: تقع جمهوريّة أذربيجان بشرق بحر قزوين في الجزء الجنوبيّ الغربيّ من قارة أسيا، آمنة ، أبو حجر، **موسوعة المدن الإسلاميّة**،5.

[4] يُنظر: منتصر، حازم، **أذربيجان في الشّعر العربيّ**، مجلة التّراث، جامعة الأزهر، عدد 7 ،2015،40.

يقول أبو تمام : [الكامل]

فَلِأَذْربيجـــانَ اختِيالٌ بَعدَمـــــــــا كانَتْ مُعَـــــرَّسَ[1] عَبْرَةٍ وَنَـــــكَالِ[2]

ومنح الشّاعر لفظة المكان" أذربيجان" صفة إنسانيّة وهي"الاختيال" متجاوزاً دلالتها المعجميّة، إلى دلالات إيحائيّة؛ بغية إثارة ذهن القارىء، فالتّكبر والتّباهي صفة إنسانيّة، منحها الشّاعر للمكان ليضفي عليه صفة العظمة المتجسّدة في ذلك الفتح العظيم.

أمّا أبو فراس الحَمدانيّ فيقول: [الطّويل]

فَتَحنـا أَقاصِـي" أَذْرَبيجـانَ" عَنـوَةً وَقَد عَجِزَت عَنها المُلوكُ المَساعِرُ[3]

ويتحدّث أبو فراس الحمدانيّ عن فتح أذربيجان الّذي تمّ بالقوّة، بعد عجز الملوك عن اختراق أراضيها؛ ليُظهر قوة الجيش الإسلاميّ وعظمته في تحقيق النّصر المنشود.

يقول أبو تمّام أيضاً في وصف مناطق نزاع الفرس والمسلمين: [الوافر]

بِـأَرْضِ البَـذِّ[4] فـي خَيْشُـومِ حَـرْبٍ عَقـــيمٍ مِـــنْ وَشـــيكِ ردًى وَلَـــودِ
قَضَـى مِـنْ سَـنْدَبَايَا[5] كـلَّ نَحْـبٍ وأَرشَــقَ[6] والسّـيوفُ مــنَ الشُّــهودِ
وَأَرْسَــلها علـــى مُوقـــانَ[7] رَهْـــواً تُثِيـــرُ النَّقْـــعَ أَكْـــدَرَ بالكَدِيـــدِ[8]

---

[1] **معرّس**: موضع التّعريس، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عرس".
[2] **الدّيوان**: 132/3.
[3] **الدّيوان:** 155.
مَساعِر: مِسعر الحرب: موقدها، يُقال: رجل مسعر حربٍ إذا كان يُؤرّثُها أي تحمى به الحرب ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "سعر".
[4] **البذّ**: كورة بين أذربيجان وأرّان، بها كان مخرج باب الخزّمي أيام المعتصم، الحموي، ياقوت، ،**معجم البلدان**،361/2.
[5] **سَنْدَبَايَا**: موضع بأذربيجان بالبذّ من نواحي بابك الخرَّميّ، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**، 267/3.
[6] **أرشَق**: جبل بأرض موقان من نواحي أذربيجان عند البذّ مدينة بابك الخرّمي،، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،152/1.
[7] **موقان**: ولاية فيها قرى ومروج كثيرة تحتلها التّركمان للرّعي فأكثر أهلها منهم،وهي بأذربيجان، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،225/5.
[8] **الدّيوان**:34-37/2. ويُنظر أيضاً: 39/2 و 332/2 و329-332/1.
رهواً: يُقال: جاءت الخيل رهواً أي متتابعة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "رهو".
الكديد: ما غلظ من الأرض، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "كدد".

امتدّت الحرب لتصل البذّ أولاً، ليصوّر الشّاعر الحرب عقيمة؛ لكثره ما فقدت من الأبطال الّذين هم أبناؤها، وجعل الرّدى ولوداً لكثرة القتل وسفك الدّماء[1]، ويظهر بدقّة تسلسل الأماكن الّتي مرت بها الجيوش بدءاً بالبذّ ومروراً بسندبايا وأرشق، وانتهاءً بموقان، ليظهر في صورة حركيّة انتشار الغبار الّذي أحدثته حركة الخيول في المكان.

أمّا أبرشتويم فيقدّم أبو تمّام صوراً عديدة لها، فيقول: [الوافر]

وفـــي أَبْرِشْـــتَويمَ[2] وَهَضْـــبَتَيْهَا طَلَعــتَ عَلــى الخِلافــةِ بالسُّــعُودِ
بِضَــربٍ تَــرقُصُ الأَحشــاءُ مِنْــهُ وتَبْطــلُ مُهْجَــةُ البَطَــلِ النَّجِيــدِ[3]

أضفى الانتصار لهذين الموضعين الحياة من جديد، ليرسم البهجة والأُنس في تلك الجبال، حيث حقق المسلمون النّصر على أعدائهم، وفرحوا بنصرهم وسُرّ المكان بهذا النّصر، فالشّاعر أنسن المكان عندما جعل الأحشاء تطرب فرحاً.

وورد ذكر أذربيجان ونواحيها في شعر أبي تمّام لتكون مكان صراع الفرس مع المسلمين، فيظهر انتصار المسلمين في تلك القصائد وسيطرتهم على أماكن فيها كأبرشتويم والبذ، بينما ظهر في قصيدة أبي فراس كموضع صراع بين المسلمين والرّوم.

ظهرت رؤية الشّعراء وتفردهم في إظهار مواقع المدن والقرى، من خلال إبراز أماكن الصّراع الّتي خاضتها الدّولة الإسلاميّة حفاظاً على منعتها واستقرارها، فانعكس في الشّعر جوهر هذا الصّراع القديم، وتعدّدت الفضاءات المفتوحة لتأخذ صوراً وأشكالاً شتى من مدن وقرى ووصف لأماكن القتال فصوّر الشّعراء أثر الحرب في فضاءات تلك المدن تصويراً دقيقاً، بينما لم يقدّموا صوراً واضحة لمعالمها المختلفة من حيث سكانها، وحضارتها ومحيطها، ونالت المدن النّصيب الأكبر من الصّورة الشّعريّة إذا ما قورنت بصور القرى في تلك الأماكن.

---

[1] يُنظر: الشّنتمري،أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،447/1.
[2] **أبرَشتَويمَ**: هو جبل في البذّ من أرض مُوقان من نواحي أذربيجان، كان يأوي إليه بابك الخرميّ. الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**، 65/1.
[3] **الدّيوان**: 38/2. ويُنظر أيضاً: 138/3.

- **تصوير أراضي العدوّ**

اتّسعت رقعة الدّولة العباسيّة، وزادت مخاطر الدّول المحيطة بها، فخاضت حروباً لحماية نفسها ونشر الدّعوة الإسلاميّة، فالتّنافس بينها وبين دولة الرّوم[1] قام؛ بغية توسيع رقعة نفوذها، وحماية أرضها، وبذلك دارت مشاحنات بينها وبين دولة الرّوم، وكانت المعارك بينهما سجالاً، لتخضع تلك الأماكن لصراع الطّرفين.

يقول أبو تمّام: [الطّويل]

كَـأَنَّ بِـلادَ الـرُّومِ عُمَّـتْ بِصَـيحَةٍ فَضَمَّتْ حَشَاها أَو رَغَا وَسْطَهَا السَّقْبُ[2]
بصَاغِرَةِ[3] القُصْوَى وطِمِّيْنَ[4] واقْتَرَى بِـلاد قَرَنْطَـاوُوَس[5] وَابِلُـكَ السّـكْبُ[6]

ويظهر التّناصّ الدّينيّ مع القصّة القرآنيّة، ليأتي الشّاعر بقصّة هلاك ثمود، فيقابل بين مصير جند توفيل "امبراطورية بيزنطة" ومصير ثمود مشيداً بالقائد الّذي نشر الخوف والرّعب في بلاد الروم، فكانت صيحة مدويّة أطارت قلوبهم[7]، ففي قوله "السّقب" عنى ولد الناقة الّتي عقرتها ثمود، فصارت شؤماً عليهم، بعد أن رغا السّقب أهلكهم الله ، كما سيُهلك بلاد الرّوم[8]، لتبرز أنسنة الشّاعر لبلاد الرّوم، فمنح المكان صفة إنسانيّة ألا وهي" الصّيحة".

---

[1] **دولة الرّوم**: نشأت الدّولة الرّومانيّة الشّرقيّة وعُرفت باسم الإمبراطوريّة البيزنطيّة نسبة إلى الاسم القديم لعاصمتها بيزنطة، لكن العرب أطلقوا على تلك الدّولة الجديدة قبل الإسلام وبعده اسم دولة الرّوم،ونعتوا أهلها بكلمة الرّوم،العدوي، إبراهيم، **الدّولة الإسلاميّة وامبراطوريّة الرّوم**،12-13.

[2] **السَّقبُ**: ولد النّاقة، وقيل الذّكر من ولد النّاقة، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"سقب".

[3] **صاغِرة**: بلدٌ من بلاد الرّوم، الحموي، ياقوت،معجم البلدان،389/3.

[4] **طِمّينُ**: موضع ببلاد الرّوم وسمّي باسم بانيه طِميّن بن الرّوم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السّلام، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،41/4.

[5] **قرنطاووس**: قَرْنَطاوُوس : هي كلمة مركّبة من قرن وطاوُوس، وهو موضع ذكره أبو تمّام، **معجم البلدان**،331/4.

[6] **الدّيوان**: 189/1-190. **اقترى**: قَرَوت الأرض أي سرت فيها، وهو أن تمرّ بالمكان ثمّ تجوزه إلى غيره ثمّ إلى موضع أخر، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"قرا".

[7] عيسى، عبد الخالق، **التّناصّ مع القصّة القرآنيّة في شعر أبي تمّام**، مجلة جامعة الأزهر، العدد 2، 2012، 440.

[8] **الدّيوان** ، 189.

يقول أبوتمّام: [الخفيف]

وَطِئَــتْ هامَــةَ الضَّــواحي إلــى أَنْ أَخَـــذَتْ حَقَّهـــا مِـــنَ الفَيْـــدُوقِ[1]
أَلْهَبَتْهــا السِّــيَاطُ حَتَّــى إذا استَنَــ نــتْ بإطلاَقِهــا علــى النَّــاطَلُوقِ[2]
ســارَ مُسْــتَقْدِماً إلــى البَــأسِ يُزجــي رَهَجــاً[3] باسِـــقاً إلـــى الإبسِـــيقِ[4]

فعند وصول القائد وطئت الخيول ضواحي بلاد الرّوم، حتى وصلت إلى الفيدوق، وساق غباراً عالياً وصل إلى الأبسيق "هو عظيم من عظماء الرّوم"[5]، فالشّاعر يقدّم صورة حركيّة لمكان عبرته الخيول مجتازة بلاد الرّوم الواحدة تلو الأخرى، محدثة بسرعة انطلاقها غباراً كثيفاً، ليرمز من خلالها لقوة القائد وعتاده وسرعته على تلك الأرض.

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

ثُــمَّ أَلْقَــى علــى دَرَوْلِيَــةَ[6] البَــرْ كَ مُحِـــلاًّ باليُمـــــنِ والتّوفـــيقِ
فحَـــوَى سُـــوقَها وغَـــادَرَ فيهـــا سوقَ موتٍ طَمَتْ على كلِّ سُوقِ[7]

فأبو تمّام يقدّم صورة معبّرة عن مكان الصّراع في بلاد الرّوم المرتعدة، فقد ألقى القائد البركة والسّلام على أسواقها الّتي كان الموت حاضراً فيها، لتصبح ببركته آمنة بعد أن ضمّها وأحكم سيطرته عليها. ويبرز في البيت الثّاني نغمة على السّينات، تسري في السّمع كلحنٍ حربيّ، ويطلقها اللّسان كأنشودة حماسيّة[8].

---

[1] **الفيدوق**: فَيذوقِيَةُ هي موضع في الشّعر، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان، 283/4.** هكذا ورد، وبحثت عن تعريف لهذا المكان ولم أجد.
[2] **ناطَلُوق**: موضع في الشّعر ذكره أبو تمّام يصف خيلاً، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،252/5. هكذا ورد، وبحثت عن تعريف لهذا المكان ولم أجد.
[3] **رهجاً**: الغبار،، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "رهج".
[4] **الدّيوان**: 434/2.
[5] يُنظر: الشّنتمري،أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،195/2.
[6] **دَرَولَيَةَ**: مدينة في أرض الرّوم، الحمويّ ، ياقوت،معجم البلدان،453/2.
[7] **الدّيوان** 2 /435.
[8] يُنظر:المحاسني ، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،226.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وَكَـرَّتْ فَمَـرَّتْ فـي دِمـاءِ مَلَطْيَـةٍ مَلَطْيَـــةُ أمٌّ للبَنـــينَ ثَكُـــولُ[1]

ويقدّم الشّاعر هنا صورة أخرى لديار الرّوم الّتي أكلتها النّيران، لتبرز صورة لونيّة تجسّد غرق المدينة في دماء أهلها، فصدْر البيت يرمز لشدّة الحرب وهولها، في معركة جعلت المدينة تغرق في الدّماء، والنّساء الثّكالى، ليصّور ملطيّة بامرأة ثكلى مفجوعة، غادتها الحياة لتتحوّل ملطية لمنطقة خالية خاوية من الحركة ، ويحوم شبح الموت والخراب حولها، فينشر الصّمت ليكون الموت سيّد المكان . وكان أبو تمّام يورد أسماء البلدان الروميّة، الّتي دارت في رحاها المعارك، ليكون شعره مَوْرِداً لتلك البلدان[2].

أمّا الشّاعر أبو فراس الحمدانيّ، فيبيّن ما حدث لعرقة[3] وملطيّة من دمار، ويشير لعودة سيف الدّولة إلى موزار، فيقول: [الطّويل]

وَأَلْهَـبنَ لَهْبَـيْ" عَرْقَـةٍ" وَ" مَلَطْيَـةٍ" وَعـادَ إلـى " مَـوْزارَ[4]" مِـنْهُنَّ زائِـرُ[5]

وللأماكن الرّوميّة حضور كبير في شعر المتنبّي؛ لارتباطها بالصّراع بين العرب والرّوم، وغزواتهم وحروبهم الّتي خاضها سيف الدّولة، وصَحِبه المتنبّي في كثير منها، وقد تنوّعت الأماكن بين مدن وجبال وحصون وقلاع وثغور وأنهار[6]، ومن أماكن الرّوم "اللّقان[7]" ولحضوره في شعر المتنبّي مكان.

---

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان المتنبّي**،343/3.
مَلَطية: هي من بناء الاسكندر وجامعها من بناء الصّحابة: بلدة من بلاد الرّوم مشهورة مذكورة تتاخم الشّام وهي للمسلمين، ياقوت،معجم البلدان،192/5. **ملطية**: تقع مدينة ملطية التّركيّة إلى الشّمال الغربيّ من ديار بكر، وإلى الشّرق من هضبة الأناضول **الثّكول**: الّتي ثكلت ولدها، وأكثر ما يستعمل في فقدان المرأة زوجها، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" ثكل".
[2] يُنظر: عبد الرّحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،174.
[3] **عَرقَة**: هي من نواحي الرّوم غزاها سيف الدّولة، الحموي ،ياقوت،معجم البلدان،110/4.
[4] **مَوزار**: حصنٌ ببلاد الرّوم استجدّ عمارته هشام بن عبد الملك، الحمويّ ،ياقوت،معجم البلدان، 221/5.
[5] **الدّيوان**: 155.
[6] يُنظر: عيسى، فوزي، **صورة الآخر في الشّعر العربيّ**، 139.
[7] **اللّقان**: بلد بالرّوم وراء خرشنة، غزاه سيف الدّولة، الحمويّ ،ياقوت،معجم البلدان، 21/5.

يقول: [البسيط]

يَـذْري[1] اللُّقـانُ غُبـاراً فـي مَناخِرِهَـا وَفـي حَناجِرِهـا مِـن آلِـسٍ[2] جُـرَعُ[3]

وتظهر الصّورة الحركيّة لوصول الخيول إلى اللّقان، بعد شربها من ماء آلس لتقطع بين المكانين مسافة كبيرة، مما أدّى إلى دخول غبار اللّقان في مناخرها قبل أن يصل ماء آلس إلى أجوافها، فعمد الشّاعر إلى الانزياح، حيث أنسن المكان "اللّقان"؛ ليجعل القارىء يستعرض مجريات الحرب في صورة حسيّة حقيقيّة. أمّا أبو فراس الحمدانيّ، فيقول: [الطّويل]

وَقـادَ إلـى "اللُّقـانِ" كُـلَّ مُطَهَّـمٍ لَـهُ حـافِرٌ فـي يـابِسِ الصَّـخر حـافِرُ[4]

فيقّدم الأحداث الّتي حواها المكان" اللّقان" في صورة حركيّة، تُظهر حركة حوافر الخيول، في دلالة رمزيّة لقوة تلك الخيول وعددها.

ومن أشهر معارك سيف الدّولة مع الرّوم معركة خرشنة الّتي حدثت في سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة[5]. فيقول المتنبّي: [البسيط]

لا يَعْتَقـي[6] بَلَـدٌ مَسـراهُ عـن بَلَـدٍ كـالمَوتِ لَـيسَ لَـهُ رِيّ وَلا شِـبَعُ
حَتّـى أَقـامَ عَلَـى أَرْبـاضِ[7] خَرْشَـنَةٍ تَشْـقَى بِـهِ الـرُّومُ والصُّـلْبانُ والبِيَـعُ
مُخْلًـى لَـهُ المَرْجُ[8] منصوباً بِصارِخَةٍ لَـهُ المَنـابِرُ، مَشْـهُوداً بِهـا الجُمَـعُ[9]

---

[1] **يُذري**: أي يرمي بها، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"ذرا".
[2] **آلِس**: اسم نهر في بلاد الرّوم،وآلس هو نهر سلوقيّة قريب من البحر، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**، 55/1.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان المتنبي**،182/3. ويُنظر أيضاً: 196/3و3\300.
[4] **الدّيوان**: 155و 31 و 141.
مُطَهَّم: الخيل المطهّمة هي المقرّبة والمُكرمة العزيزة الأنفس، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" طهم
[5] يُنظر: المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان المتنبي**،167/3.
[6] **يعتقي**: أي يحبس ويمنع،ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عقا".
[7] **أرباض**: جمع الرّبض، وهي ما حول المدينة، وقيل : هو الفضاء حول المدينة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " ربض".
[8] **المرج:** الأرض الواسعة فيها نبت كثيرٌ تمرَحُ فيها الدّواب أي تذهب وتجيء. الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،100/5.
[9] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان المتنبّي**،180/3-181. ويُنظر أيضاً: 277/3.
صارِخة: بلدة غزاها سيف الدّولة في سنة 339 ببلاد الرّوم. الحمويّ ، ياقوت،معجم البلدان، 388/3.

لم يُعق شيء تقدّم سيف الدّولة، حتى وصل خرشنة، مسبّباً شقاءً وبؤساً لعدوه، ومدمّراً كنائسهم، وصلبانهم. ليتم إخلاء المرج وصارخة، إذ نصبت فيها المنابر، وبنيت فيها المساجد، ليقيم صلاة الجمعة، فيشهد النّاس الجمع بها[1]. فالتّغيير في ملامح المكان بادٍ فيما أصاب المعالم الدّينيّة، وتحويلها إلى ركام لا حياة فيه، لتقام المساجد مكانها. فالشّاعر في هذا البيت يقدّم انزياحاً غير مألوف، عندما شبّه اندفاع سيف الدّولة من بلد لآخر بالموت الّذي لا يتوانى عن سلب الأرواح، فقارن شيئاً محموداً بشيء مذموم، ليكون خراب المكان وما أصابه من تغيير فال خير له.

أمّا أبو فراس فيذكر خرشنة ويقول: [الطويل]

وَمـازالَ مِنّـا جـارَ خَرشَـنَةَ امـرُؤٌ يُراوِحُهـا فـي غـارَةٍ ويُبـاكِرُ[2]

يصوّر الشّاعر مدينة خرشنة، وتعرّضها للغزو، ليتمّ دخولها في أول النّهار، فالقتال فيها لا يتوقّف في المساء والصّباح، فالقائد وجنده لا يتركونها بسلام، فيعمّ القتل والتدمير فضاء المكان في ظل غارات متواصلة، حوّلت المكان لبؤرة تملؤها أصوات سيوف تلاحم الجيشين.

يقول أبو فراس: [مجزوء الكامل]

إنْ زُرْتُ «خَرْشَـنَةً» أسِـيراً فَلَكَـمْ أحَطْـتُ بهـا مُغِيـرا
وَلَقَـد رَأَيـتُ النَّـارَ تَنـ تَهِـبُ المَنـازِلَ والقُصـورا[3]

ويظهر مكان أسره، رغم قدومه لخرشنة في مرات سابقة غازياً وفارساً، فوظّف الشّاعر الماضي والحاضر بين واقعين، أحدهما سار والأخر محزن؛ ليرفع من معنويات نفسه في ذلك المكان، وقدّم في البيت الثّاني انزياحاً عن المعنى في قوله " النّار تنتهب المنازل" في خرشنة، في حين أنّ النّيران تأكل

[1] يُنظر: المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 3\ 181.
[2] **الدّيوان** : 141.
[3] **الدّيوان**: 116. ويُنظر أيضاً: 314.

كلّ شيء تلامسه، ولا تنهب، فشاهد النّيران تأكل المنازل والقصور، ليقدّم صورة حزينة لمدينة أكلتها النّيران، وتركت فيها خراباً ودماراً كبيرين.

ولقسطنطينة[1] أيضاً حضور في شعر الصّراع عند أبي تمّام، يقول: [الكامل]

حَتَّى التَوَى مِنْ نَقْعِ قَسْطَلِها[2] على حِيطَانِ قُسطَنْطِينةَ الإعْصارُ[3]

حيث تبيّن الصّورة الحركيّة في البيت الشّعري حركة لحوافر الجياد الّتي أثارت غباراً فأحدثت إعصاراً من الغبار لفّ حيطان قسطنطينة، كناية عن شدّة المعركة الّتي حمي وطيسها في ذلك الموقع.

وجاء في شعرهم أيضاً ذكر لبلاد الروّم عامةً، يقول أبو تمّام أيضاً: [الخفيف]

طَاعِناً مَنْحَرَ الشَّمَالِ مُتِيحاً لِبلاَدِ العَدُوّ مَوْتاً جَنُوبَا[4]

ومن بلاد الرّوم الأخرى التي ذُكرت في شعره إحدى المدن الواقعة شمالاً فالشّاعر أخذ يصوّر الغزوة من الجنوب إلى الشّمال، فكأنّ الجنوب قد جلب موتاً للشّمال وهنا جسد الشّاعر الشّمال وجعله إنساناً له منحر ينحر به، وجعل الجنوب إنساناً يحمل في جعبته الموت الزّؤام لأعدائه، كناية عن كثرة ما أتى به الجنوب من المطيّ[5]، وفي الوقت نفسه يصوّر قوّة الجيوش الإسلاميّة وانتشارها في أراضي الرّوم، لتنقل الموت معها أينما حلّت.

---

[1] **قُسطَنطِينة**: عمّرها ملك من ملوك الرّوم يقال له قسطنطين فسمّيت باسمه والحكايات عن عظمتها وحسنها كثيرة ، لها خليج من البحر يطيف بها من وجهين مما يلي الشّرق والشّمال وجانباها الغربيّ والجنوبيّ في البرّ، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 347/4.

[2] **القسطل**: الغبار، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "قسطل".

[3] **الدّيوان**: 169/2. ويُنظر أيضاً: 436/2.

[4] **نفسه**: 165/1.

[5] يُنظر: الشّنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**، 395/1.

يقول أبو فراس الحمدانيّ: [الطّويل]

وَأَرْكَزْنَ في قُطرَي" قَلُونِيَّةَ " القَنا وَمِن طَعنِها نَوءٌ[1] ب" هِنريطَ[2]" ماطِرُ[3]

ويبرز قوّة المسلمين وبأسهم في دحر عدوّهم في أي أرض، ويصوّر اشتداد القتال وحدّته في قلونيّة، ليصل تأثيره إلى هنريط واصفاً هذا التّأثير بالمطر الشّديد الّذي امتدّ أثره إلى هنريط .

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وَأشقَى بـلادِ اللهِ مـا الـرُّومُ أَهلُهَـا بَهـذا وَمَـا فِيهـا لمَجـدِكَ جَاحِـدُ
شَـنَنتَ بِهـا الغـاراتِ حتّـى تَرَكْتَهـا وَجَفنُ الَّذي خَلْفَ الفَرَنجـةِ سَاهِدُ[4]

ويصف الشّاعر شقاء بلاد الرّوم، وما حلّ بها من دمار وخراب، سبّبه سيف الدّولة لتلك البلاد، وكثّف غاراته على أهلها الّذين أدركوا قوّته، وجبروته ومجده، رغم كرههم له، فسبّب لهم الأرق رغم انسحابه من أرضهم، فرجوعه متوّقع في أيّ وقت.

يقول: [الوافر]

بِـأَرْضٍ تَهْلِـكُ الأَشـواطُ فيهَـا إذا مُلِئَـت مِـنَ الـرَّكضِ الفُـرُوجُ[5]

يصوّر المتنبّي انطلاق سيف الدّولة من بلاد الرّوم، في جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وثلاثمئة ليرافقه الشّاعر في رحلته، فأرض العدوّ واسعة وكبيرة، إذ أشار الشّاعر لاتّساعها من خلال حديثه عن عَدْو الفرس فيها وعدم تمكّنهم من قطعها إلّا إذا جرت أشد الجري[6].

---

[1] **النّوء**: هو النّجم الّذي يكون فيه المطر، ابن منظور ،**لسان العرب**، مادة"نوأ".
[2] **هنريط**: من الثّغو رالرّوميّة، وهي في الإقليم الخامس، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،418/5.
[3] **الدّيوان**: 154. ويُنظر أيضاً: 141/140.
قَلونِيةَ: بلدٌ بالرّوم بيّنه ،الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 393/4.
[4] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي**،205/3-206.
[5] **نفسه** : 172/3.
[6] يُنظر: المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي** ، 171/3- 173.

يقول المتنبّي أيضاً: [الوافر]

رَضِـــينَا والدُّمُسْـــتُقُ غَيـــرُ رَاضٍ بمَـــا حكَـــمَ القَوَاضِـــبُ[1] والوَشْـــيجُ[2]
فَـــإِن يُقـــدِمْ فَقَـــد زُرْنـــا سَـــمَندُو وإن يُحْجِـــم فَمَوعـــدُنا الخَلـــيجُ[3]

غزا سيف الدّولة سمندو في بلاد الرّوم؛ ليهدّد الدّمستق في عقر داره، ليكون اللّقاء الآخر في الخليج، فالشّاعر يبني البيتين على صور متقابلة متضادّة، إذ يبرز التّضاد بين لفظتي "رضينا" و"غير راضٍ" فيُظهر موقفه ويقارنه بموقف الآخر؛ ليبيّن القوّة والثّقة في سيطرة المسلمين وتفوّقهم، وعدم استسلامهم وإصرارهم على التّقدم، ويبرز أيضاً التّضاد العكسيّ بين كلمتي" " يُقدم" و" يُحجم" ليرمز لاختلاف الموقفين، فيعكس ثقة المسلمين في معركتهم، وتراجع وتقهقر الجيش الرّوميّ في تلك الأماكن.

وقد مرّت جيوش الدّولة العباسيّة على كثير من الأماكن، الّتي تقع في القسم الشّمالي والأوسط من بلاد الرّوم، كعمّورية[4] وطمّين ودرولية وآلس والقُفل[5]، إذ وصلت الغزوات العربية خليج البسفور ومسرح الأحداث انتقل في القرن الثّالث من جبال طوروس إلى جميع بلاد الرّوم[6].

وقد شاع ذكر أسماء أماكن بلاد الرّوم في شعر الصّراع، فبعض الأماكن أوردها الشّعراء ذكراً فقط مثل: عرقة وملطيّة وموزار وطمنين وغيرها، وبعض الأماكن صوّروا فيها ما دار من أحداث بدّقة لتظهر الصّورة الشّعريّة تفاصيل المواجهات ومعالمها، وما حوته من أحداث متعاقبة كخرشنة وقسطنطينة وصاغرة وغيرها.

---

[1] **القَواضب**: القضب بمعنى القطع، ابن منظور ،**لسان العرب**، مادة"قضب".
[2] **الوشيج**: هي عامّة الرّماح واحدتها وشيجة، ابن منظور ،**لسان العرب**، مادة"وشج".
[3] المعرّي،أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 174/3.
سَمَندو: بلد في وسط بلاد الرّوم غزاها سيف الدّولة في سنة 339 وهرب منه الدّمستق، الحموي، ياقوت، الحموي، **معجم البلدان**،253/3.
[4] **عمّورية**: بلد من بلاد الرّوم غزاه المعتصم حين سمع شُراة العلويّة، الحموي ،ياقوت،**معجم البلدان**،158/4.
[5] **القُفل**: موضع في شعر أبي تمّام، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 384/4. هكذا ورد وبحثت عن تعريف لهذا المكان ولم أجد.
[6] يُنظر: عبد الرّحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**، 155.

- **تجسيد مظاهر الطّبيعة**

دارت رحى الحروب لتشمل أماكن عدّة تنقّل الجيش الإسلاميّ والرّوميّ في ربوعها، فوطَأت الجيوش وحوافر الخيل الجبال ودروبها، والأنهار والبحار، ومرّوا عبر أوديتها وسهولها، لتكون تلك الطّبيعة شاهدة على تنقّل الجيوش ومعدّاتهم الحربيّة، وليؤكّد ماضيَ أحداث جرت في ذلك الزّمن.

وظاهر معنى لفظ الطّبيعة يدلّ على صفات الأمكنة والأزمنة بما فيها من أجواء وفصول وشمس وأصيل وقمر وليل ونجوم وحيوانات برّية وبحريّة وجوّية[1]، وكثيراً ما جاءت الصّور الشّعريّة في ذلك العصر مجسّدة للطّبيعة، لتكون ظاهرة في عصر شُغف بالطّبيعة[2]. فاستطاع الشّعراء أن يتتبّعوا سير الجيوش في تلك الأماكن الطّبيعيّة، الّتي عدّت حلقة وصل بين مدن عديدة مرّوا بها للوصول إلى ساحات القتال.

الجبال وطرقاتها

الجبال من المظاهر الطّبيعة في شعر الصّراع ، وللجبل شموخه وعظمته في الثّبات في وجه الدّهر وتقلباته، فالجند فيه قد اجتازوا وعورة الدّروب والوديان ، فصوّر الشّعراء تلك المسارات؛ ليتأتى لنا رؤية مواقع الأحداث في تلك الجبال الّتي عبروها، وقادوا خيولهم فيها في صور رسمت طبيعة تلك الجبال وما شهدته من حروب.

ويتوافق التّشكيل المكانيّ في القصيدة مع التّشكيل الزّمانيّ في إخضاع الطّبيعة لحركة النّفس ومتطلباتها، فيشكّل الشّاعر الطّبيعة ويرسم مفرداتها، وصورها الزّاخرة بالحياة وفقاً لرؤيته الخاصّة وتصوّراته[3].

وفي شعر المتنبّي تظهر الجبال في صور عدّة، فيقول: [الطّويل]

تَسـاوَت بِـهِ الأَقْطـارُ حَتَّـى كَأَنَّـهُ يُجَمِّـعُ أَشْـتاتَ الجِبـالِ وَيَـنْظِمُ[4]

---

[1] يُنظر: الطّيّب،عبد الله،**الطّبيعة عند المتنبّي**، 5.
[2] يُنظر: عبد الرّحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم -في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،317.
[3] يُنظر: إسماعيل،عز الدّين، **الشّعر العربيّ المعاصر- قضايا ه وظواهره الفنّية والمعنويّة**،126.
[4] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 156/3.

يصوّر انتشار الجيش حتى ملأ الجبال فتساوت به جميع الأرض، وصارت الأرض جبالاً، فهو قد جمع الجبال المتفرّقة[1].

يقول المتنبّي: [البسيط]

وَمَــا الجِبــالُ لِنَصــرانٍ بِحامِيَــةٍ وَلَـو تَنَصَّرَ فيها الأَعصَمُ[2] الصّدَعُ[3]

إنّ الجبال العالية والوعرة صعبة الوصول، فلا تصل إليها إلّا الوعول، فهي لم تعد عصيّة على سيف الدّولة، ولن تمنح الحماية للنّصارى حتى ولو التجؤوا إليها، وتنصّر ما فيها من كائنات، فهو لن يجعلهم ينعمون بالسّكينة والهدوء، فالشّاعر ينفي صفة الأمان عن الجبال، ويوظّف الجانب الدّينيّ؛ ليُظهر ضعف الدّين في نصرة الرّوم، وليبّث العزيمة في نفوس المسلمين.

يقول المتنبّي : [الطّويل]

حَوالَيْــهِ بَحْــرٌ للتَّجــافيفِ[4] مــائِجٌ يَســيرُ بِــهِ طَــوْدٌ مِــنَ الخَيــلِ أَيْهَــمُ[5]

وفي وصف آخر لحركة تلك الخيول، يشبّه الشّاعر الجيش بالبحر تارة، وبالجبل القويّ الشّامخ تارة أخرى في صورة حركيّة صوّرت حركة الخيول متوجّهة إلى أرض المعركة، فاختار الشّاعر البحر والجبل كصفتين لتلك الخيول ليظهر قوّتها وبأسها. ووَلدّت تلك الاستعارة في البيت الشّعري شعوراً قوياً باتساع البحر، وعظمته وارتفاع الجبل وشموخه، فهذا الشّعور قد انطبع لديه لدى مشاهدته جبال لبنان وشواطىء سواحل الشّام[6].

---

[1] يُنظر: **نفسه**.

[2] **الأعصم**:من الظّباء والوعول، الّذي في ذراعيه بياض، ابن منظور **لسان العرب**، مادة"عصم".

[3] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي** ،191/3.ويُنظر أيضاً: 207/3 و277/3.
الصّدع: الوعل بين الوعلين، ابن منظور **لسان العرب**، مادة"صدع".

[4] **التّجافيف**: مفردها تجفاف والتّجفاف: الّذي يوضع على الخيل من حديد مغيره في الحرب، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" جفف".

[5] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،156/3.
الأيهم: الّذي لا يعي شيئاً ولا يحفظه، ابن منظور **لسان العرب**، مادة"يهم".

[6] يُنظر: الطّيّب، عبد الله، **الطّبيعة عند المتنبّي**، 28.

ويقول المتنبّي : [الطّويل]

وَتَرْدي[1] الجِيادُ الجُرْدُ فَوق جِبالِها وَقد نَدَفَ[2] الصِّنَّبْرُ[3] في طُرُقِها العُطْبَا[4]

ففي صورة لونيّة حركيّة بديعة يصوّر المتنبي عَدْوَ الجياد على تلك الجبال البيضاء الّتي اكتست بلون أبيض ناصعٍ كالقطن المندوف، قدمته السّماء لها، فامتزج في تلك الصّورة، ليُكسب تداخل اللّون الأبيض بسواد لون الخيول، في صورة تعكس تضاد اللّونين.

ويقول المتنبّي: [الطّويل]

نَثَـــرْتَهُمُ فَـــوْقَ الأُحَيْـــدِبِ[5] نَثْـــرةً كمَا نُثِرَتْ فَوْقَ العَرُوسِ الـدّراهِمُ [6]

بدا الأحيدب في البيت الشّعريّ كأنّه عروس تدخل في رحاب الإسلام، في طقوس احتفاليّة زيّنت هذا الجبل رغم المعركة طاحنة، فالشّاعر يقدّم مفارقة واضحة للمكان ليجمع صورتين في مناسبتين مختلفتين، الأولى لجثث ملأتها الدّماء في يوم حربٍ، تناثرت هنا وهناك، لمكان تلقّى القتلى، وفي صورة مقابلة لعرس تجمّع فيه الناس محتفلين بالعروس، فأظهروا فرحتهم بنثر المال. وفي وصف آخر يظهر التّشبيه التّمثيليّ في تصوير الشّاعر لتفرّق الجيوش قتلى على الجبل، بصورة نثر الدّراهم على العروس. فتتفرق مصارعهم على هذا الجبل، كما تتفرّق الدّراهم إذا نُثرت، فسيف الدّولة قد تحكّم في الرّوم قتلاً وأسراً، وجعل جيشهم منثوراً على سطح تلك الجبال[7].

ويظهر الأحيدب في شعر أبي فراس الحمدانيّ، فيقول: [الطّويل]

وَيَومٍ عَلى ظَهرِ الأُحَيدِبِ مُظلِمٍ جَـلاهُ، وبـيضُ الهِنـدِ فيـهِ أَزاهِـرُ[8]

---

[1] **تردي**: من الرّديان ورَدَت الخيل رديا ورديانا: رجمت الأرض بحوافرها في سيرها وعَدوها، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" ردي".
[2] **ندف**: القطن يندفه ندفاً، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"ندف".
[3] **الصَّنَّبرُ**:الرّيح الباردة، ابن منظور **لسان العرب**، مادة" صنب".
[4] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 240/3.يُنظر أيضاً: 512/3.
[5] **الأحَيدب**: اسم جبل مشرف على الحدث في الثّغور الرّومية، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،118/1.
[6] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،431/3.
[7] يُنظر: أبو حمدة، محمد، **في التذوّق الجماليّ لقصيدة أبي الطّيّب المتنبّي-على قدر أهل العزم تأتي العزائم** ،56-57.
[8] **الدّيوان**: 155. ويُنظر أيضاً : 242.
أزاهر: الأزهر وهو الأبيض المستنير، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" زهر".

ظهر الجبل في البيت الشّعريّ مظلماً، ليصوّر الشّاعر معركة دارت ليلاً بين الجيشين في صورة لونيّة تجمع لونين ضدّين، هما اللّون الأسود مشكّلاً عتمة اللّيل الّتي ملأت المكان، والأبيض متمثّلاً في لمعان السّيوف، فظهرت السّيوف لامعة لتضيء عتمة الجبل ووحشته في ذلك اليوم على ظهر الأحيدب.

يقول أبو فراس: [الوافر]

عَلَونـا " جَوشَـنًا[1] " بِأَشَـدَّ مِنـهُ، وَأَثْبَـتَ عِنْـدَ مُشْـتَجَرِ[2] الرِّمـاحِ
بِجَـيشٍ جَـاشَ بِالفُرسـانِ، حَتّـى ظَنَنـتَ البَـرّ بَحـراً مِـن سِـلاحِ [3]

ورد ذكر الجبل ليكون رمزاً للعلوّ والارتفاع والعظمة، ولتبيّن الصّورة الحركية شدّة اشتباك الرّماح في قتالهم مع الرّوم، فلوحة الحرب امتلأت بالسّلاح والفرسان، حتى يبدو البرّ في عين النّاظر بحراً ، إذ وظفّ الشّاعر هنا مفردتين متضادّتين هما" البرّ والبحر"، ليبرز من خلالهما امتداد الجيش وعظمته الّتي عمّت البرّ، وليتراءى كالبحر من كثرة الجيش وعديده.

أمّا الدّروب فهي" كلّ مدخل إلى الرّوم، درب من دروبها، وأصل الدّرب هو المضيق في الجبل؛ ومنه قولهم: أدرب القوم إذا دخلوا أرض العدوّ من بلاد الرّوم"[4].

ويقول أبو تمّام: [الكامل]

لمَّـا فَصَـلْتَ مِـنَ الـدُّروبِ إِلَـيْهِمُ بِعَرَمْـرَمٍ لـلأَرْضِ مِنـهُ خُـوارُ[5]

---

[1] **جَوشَن**: جبل مطلٌّ على حلب في غربيها، في سفحة مقابر ومشاهد للشّيعة، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان** 186/2.
[2] **مشتجر**: اشتجروا برماحهم وتشاجروا بالرّماح، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" شجر".
[3] **الدّيوان**: 78.
[4] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" درب".
[5] **الدّيوان**: 170/2. ويُنظر أيضاً: 188/1.

في صورة حركيّة وصوتيّة يصوّر أبو تمّام عبور الجيش عبر تلك الدّروب؛ للوصول للرّوم، فتحدث حركة الخيول على الأرض صوتاً يشبه خوار الأبقار، ليبيّن الشاعر شدّة وقع حوافر الخيل وسرعتها في ذلك المكان.

وفي صورة أخرى لتلك الدّروب، يقول المتنبّي: [البسيط]

وَفـارِسُ الخَيْـلِ مَـن خَفّـت فَوَقَّرَهـا في الدّرْبِ والدّمُ في أَعطافِهِا دُفَـعُ[1]

واستطاع الشّاعر من خلال الطّبيعة " الدّرب" بلوغ صورٍ تفيض بالحركة واللّون، ليتراءى ذلك الفارس ماراً بالدّرب، فهو الّذي يتحكّم بحركة تلك الخيول النّازفة دماً في أعطافها ويثبّتها في ذلك الدّرب عند الضّرورة.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

رَمَـى الدّرْبَ بالجُرْدِ الجِيادِ إلـى العِدا ومـا عَلِمـوا أن السّـهامَ خُيُـولُ
شَـوائِلَ[2] تَشْـوالَ العَقـارِبِ بالقَنَـا لهَـا مَـرَحٌ مـن تَحتِـهِ وَصَـهيلُ[3]

ينقل المتنبّي القارىء إلى دروب الرّوم الّتي داهمتها الخيول والفرسان برماحهم، إذ شبّه الخيول بالسّهام في سرعتها، وصوّر الفرسان يحملون رماحهم على ظهرها بصورة أذناب العقارب، فتلك الخيل تعدو مرحة رغم اشتداد القتال[4] .

وقال أبو فراس الحمدانيّ: [الطّويل]

ولَمّـا وَرَدنـا الـدّرْبَ والـرُّومُ فَوْقَـهُ وَقَدَّرَ قُسطَنطينُ أَن لـيسَ صادِرُ[5]

---

[1] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،: 179/3.
[2] **شوائل**: شولة العقرب هي ما شال من ذنبها، والعقرب تشول بذنبها، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" شول".
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،338/3-339.يُنظر أيضاً: 537/3.
[4] يُنظر: **نفسه**،338/3-339.
[5] **الدّيوان**: 141.

ولدى وصول الجيش الإسلاميّ للمكان، تلاقى مع الرّوم، ليجدوا قسطنطين" ابن الدّمستق" عاجزاً عن المواجهة.

انقسمت الدّروب في شعر الصّراع إلى دروب: مألوفة حملت النّصر للمسلمين، فقدّمها الشّعراء في صور مشرقة، تفيض بالحياة والألوان الزّاهرة، وفي مواضع أخرى شكّل الدّرب مكاناً معادياً تخللته الهزيمة، والنّصر كان صعب المنال، لقسوة الطّبيعة ووعورتها.

ومن المظاهر الطّبيعيّة الأخرى ظهرت الأراضي والسّهول والأودية، مشكّلة مناطق صراع بين طرفي القتال. فالشّاعر أبو تمام يقول: [البسيط]

هَيْهَاتَ! زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ عَن غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزْو مُكتسِبِ[1]

وسبب هذا الغزو زعزعة للأرض، ويبدو أنّ هذه الطّريق كانت وسط مناطق زراعيّة بعيدة عن أماكن الكّر والفر، فظهر في قوله"الأرض الوقور"، فاستهجنت تلك الأرض لمرور المعتصم منها غاضباً، ليرجّها رجّة فزع وخوف، فزاد هلعها كون هذا الغزو احتساباً لثواب الله تعالى[2]، فأبو تمّام لا ينسى الصّور الجانبيّة الّتي تضيف رعباً وهولاً، وخاصّة تلك الصّور الّتي تؤثّر على سير المعركة كتصويره للطّبيعة القاسية[3]، فحمل الشّاعر رؤيته لتلك الغزوة الّتي كانت مقدّرة بأمر من الله تعالى، ولم تكن لكسب غنائم الحرب .

[1] **الدّيوان**: 65/1.
[2] يُنظر: أبو حمدة، محمد، **في التّذوق الجماليّ لقصيدة أبي تمّام الطّائيّ في فتح عمّورية**،86-87.
[3] يُنظر: عبد الرّحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،،163.

يقول أبو تمّام : [البسيط]

وَلَّــى، وَقَــدْ أَلجَــمَ الخَطِّــيُّ[1] مَنْطِقَــهُ بِسَــكْتَةٍ تَحْتَهــا الأَحْشَــاءُ فــي صــخَبِ
أَحْذَى[2] قَرَابينــه[3] صَرْفَ الرَّدَى ومَضى يَحْتَــثُّ أَنْجــى مَطَايــاهُ مِــن الهَــرَبِ
مُــوَكَّلاً بِيَفَــاعِ[4] الأَرضِ يُشــرِفُهُ مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ[5]

وشكّلت الأرض لقائد الرّوم خزياً وعاراً، فالجيش المسلم قد وجد الطّريق إلى حصار عموريّة، فتمكّن من عبور الأودية والأماكن المنخفضة، فأوكل "لتوفلس" مهمة مراقبة الأماكن العالية؛ بحثاً عن طريق الهرب في خفّة سببها الخوف لا الطّرب[6].

أمّا المتنبّي فقد قدّم صوراً عدّة للأرض، فيقول: [الطّويل]

وتَضرِبهم هَبْراً[7] وَقد سَكَنوا الكُدَى كمــا سَــكَنَت بَطْــنَ التُّــرابِ الأَســاوِدُ[8]

يصّور الشّاعر الأرض" الكدى" بمكان آمن احتمى به جيش الرّوم من بعد أن ألحق بهم سيف الدّولة الهزيمة مشبّهاً إيّاهم في مخبئهم بالأفاعي الّتي احتمت بالتّراب لتحمي نفسها.

ويقول المتنبّي: [البسيط]

أَلزَمــتَ نفسَــكَ شــيئاً لَــيسَ يَلزَمُهــا أَلّا تُــــــوارِيَهُم أَرضٌ ولا عَلَــــــمُ[9]

يحوّل الشّاعر أرض العدوّ إلى أرض تألف الجيش الإسلاميّ، فهذا الجيش العظيم قادر على تطويع تلك الأرض وسلبها، لتأبى طاعة الرّوم ، وفي الصّورة نفسها يبرز شجاعة البطل وقدرته على ملاحقه

---

[1] **الخَطِّي**: الرّماح، ونسبته إلى الخط خط البحرين وإليه تُرفأ السّفن إذا جاءت من أرض الهند، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" خطط".
[2] **أحذى**: حذاه حذياً أي وهبها له، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" حذا".
[3] **قرابين**:قرابين الملك : وزراؤه، وجلساؤه، وخاصّته، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" قرب".
[4] **اليفاع**: المشرف من الأرض والجبل، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" يفع".
[5] **الدّيوان**:66/1-68.
[6] يُنظر: أبو حمدة،محمد، **في التّذوق الجماليّ لقصيدة أبي تمّام الطّائيّ في فتح عمّوريّة**، 93.
[7] **هبرا**: الضّرب والقطع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" هبر".
[8] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 208/3. يُنظر أيضاً: 443/3.
[9] **نفسه**: 250/3. ويُنظر أيضاً: 303/3 و 502/3.

العدوّ في أرضٍ معادية.في صورة أخرى صوّر الشاعر سيف الدّولة وقد كلّف نفسه في طلب أعدائه، ليهزمهم ويفرّق جموعهم، رافضاً أن تسترهم أرضٌ أو جبلٌ، فهو سيخرجهم من مكان من الأرض ويحطّمهم على رؤوس الجبال[1].

يقول المتنبّي: [الخفيف]

يَجْمَــعُ الــرّومَ وَالصَّــقالِبَ[2] وَالبُلْــ غَــــرَ فيهَــــا وَتَجْمَــــعُ الآجَــــالا
وَتُــوافيهُمُ بهــا فــي القَنَــا السُّمْــ رِ كمَــا وَافَــتِ العِطــاشُ الصِّــلالا[3]

ويسعى الرّوم لهدم قلعة الحدث بينما سيف الدّولة يجمع آجالهم ومناياهم، ليتمّ قتلهم هناك، فهو حاضر يجمع آجالهم ويوافيهم على أطراف القنا، فشبّه الشّاعر تسابق آجالهم إليهم بتسابق العطاش إلى الأرض الممطورة[4].

يقول المتنبّي: [الخفيف]

وَإذا مــا خَــلا الجَبَــانُ بــأَرْضٍ طَلَــبَ الطّعْــنَ وَحْــدَهُ وَالنِّــزَالا
مَـا يَشُـكُّ اللّعِينُ فـي أَخْـذِكَ الجَيـ شَ فَهَـلْ يَبعَـثُ الجُيـوشَ نَـوَالا
مَـا لمَـنْ يَنصِـبُ الحَبَائِـلَ فـي الأَرْ ضِ وَمَرْجـاهُ أن يَصِـيدَ الهِـلالا[5]

ضمّن المتنبّي نصّه المثل العربيّ " كلّ مُجرٍّ في الخلاء يُسَرُّ[6] " ويضرب هذا المثل لمن يُعجب بالفضيلة وتكون منه من غير أن يقيسها بفضائل غيره، فيسرّ بما يرى من سرعته إذا قورن بغيره، إذ أخذ المتنبي هذا المثل وأعاد سياقه اللّغوي ليعبّر عن جيش الرّوم[7]. فالشّاعر يستخدم الاستفهام للتّعجب

---

[1] يُنظر: المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 250.
[2] **الصّقالب**: جيل حمر الألوان، صُهب الشّعور، يتاخمون الخزر وبعض جبال الرّوم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"صقلب".
[3] **المعرّي**، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،505/3.
الصّلال: هي مواقع المطر فيها نبات فالإبل تتبعها وترعاها، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" صلل".
[4] **المعرّي**، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،505/3.
[5] **نفسه**: 510/3-511.
[6] الميدانيّ، أبو الفضل احمد بن محمد، **مجمع الأمثال**، 135/2.
[7] إبراهيم، جوخان، **التّناصّ في شعر المتنبّي**، دكتوراة، جامعة اليرموك، الأردن، 2012، 220.

من حال العدوّ وأمانيه في النّيل من سيف الدّولة، فحالهم يشبه من يمدّ الحبال من الأرض بغية صيد الهلال الّذي منزله السّماء العالية.

يقول المتنبّي: [البسيط]

جَـيْشٌ كأنّـكَ فـي أرْضٍ تُطاوِلُـهُ فـالأرْضُ لا أَمَـمٌ وَالجَـيشُ لا أَمَـمُ
إذا مَضَـى عَلَـمٌ منهـا بَـدا عَلَـمٌ وَإنْ مَضَـى عَلَـمٌ مِنْـهُ بَـدَا عَلَـمُ[1]

وهنا يمنح الشّاعر الأرض الإمتداد ليوازيها بجيش سيف الدّولة الممتدّ فيها، فالحيّز المكانيّ للأرض ممتدّ امتداد جيشه من جبل إلى آخر؛ ليكون الجيش رمزاً للعِظم والقوة .

أمّا أبو فراس فيقول: [الوافر]

بِخيـلٍ لا تُعانِـدُ مَـن عَلَيهـا وقَـومٍ لا يَـرَونَ المَـوت عَـارا
وَراءَ القـافِلينَ بِكُـلِ أَرضٍ وَأَوّلُ مَـن يُغيـرُ إذا أغـارا[2]

ومثّلت الأرض هدفاً لسيف الدّولة وجنوده، فحتى الخيول كانت مطيعة وخاضعة لجنود المسلمين، في عزمهم على النّصر وعدم الخشية من الموت، قاصدين كل صوب وحدب، فتلك الأراضي هي هدفهم وبغيتهم والفتح المرجوّ لديهم.

يقول أبو فراس: [الوافر]

وَمُهـرِي لا يَمَـسُّ الأرْضَ، زَهـواً، كَـأنّ تُرَابَهَـا قُطْـبُ النِّبَـالِ[3]

والمُهر في بيت أبي فراس لا يدوس الأرض من شدّة كبريائها ، لأنّ تربة تلك الأرض كحد السّيف القاطع الّذي يؤذي إذا ما وطَأته حوافرها، فتلك الخيول تجري مزهوّة، تختال بقوّتها وسرعتها.

---

[1] **المعرّي**، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،549/3.ويُنظر أيضاً: 552/3.
[2] **الدّيوان**: 120. ويُنظر أيضاً: 152.
[3] **نفسه**: 271.

ودارت المعارك في الأودية والسّهول أيضاً، يقول أبو تمّام: [الخفيف]

وَبِـــوادي عَقَـــرْقُسٍ[1] لَـــمْ تُعَـــرِّدْ عـنْ رَسـيمٍ إلـى الـوَغى وعَنيـقِ[2]

إذ قصد القائد وادي عقرقس وهو لم يحد في سيره عن نيل المبتغى، ليصل ذلك الوادي.

أمّا المتنبّي فيقول: [الطّويل]

فَهُـنّ مَـعَ السِّـيدانِ[3] فـي البَـرِّ عُسَّـلٌ[4] وَهُـنَّ مَـعَ النِّيْنـانِ[5] فـي المَـاءِ عُـوَّمُ
وَهُـنَّ مَـعَ الغُـزلانِ فـي الـوَادِ كُمَّـنٌ وَهُنَّ مَـعَ العِقبـانِ فـي النِّيـقِ[6] حُـوّمُ[7]

كلّ الأماكن تملؤها خيول القائد، وينتشر الجيش في بقاع عدةّ منها، إذ شبّه الشّاعر الخيول في البرّ بالذّئاب تحوم وتتحرّك مضّطربةً، وهي في البحر كالحيتان، وتكون مع الغزلان في كل وادٍ، وتحوم مع العقبان، فهي تعلن وجودها في كلّ مكان، فالأماكن بكلّ ما عليها تحتضن الجيش الإسلاميّ العظيم، في طريقه للمعركة.

وفي بيتين آخرين يقول المتنبّي: [البسيط]

هَلاّ عَلَـى عَقَبِ الـوادي وقّد صَـعِدَت أُسـدٌ تَمُـرُّ فُـرادَى لَـيسَ تَجتَمِـعُ؟
تَشُـــقّكُمْ بفَتَاهَـــا كُـــلُّ سَـــلْهَبَةٍ والضّرْبُ يأخذُ منكُم فوْقَ ما يَدَعُ[8]

---

[1] **عَقَرقَس**: اسم وادٍ في بلاد الرّوم، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**، 137/4.
[2] **الدّيوان**: 440/2. **تعرّد**: التّعريد هو الفرار، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" عرد".
رسيم: من سير الإبل، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"رسم".
عَنيق: السّير، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"عنق".
[3] **السّيدان**: السّيد هو الذّئب، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" سيد".
[4] **عسّل**: عسل الذّئب والثّعلب يعسل عسلاً وعسلاناً : مضى مسرعاً واضطرب في عدوه وهزّ رأسه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"عسل".
[5] **النّينان**: مفردها نون وهو الحوت، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" نون".
[6] **النّيق**: الطّويل من الجبل، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" نيق".
[7] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي**، 3/ 153.
[8] **نفسه :188/3.** ويُنظر أيضاً: 209/3. **سلهبة**: السّلهب من الخيل: الطّويل على وجه الأرض، **لسان العرب**، مادة"سلم".

قدّم الشّاعر في هذين البيتين صورة للأحداث الّتي جرت في ذلك الوادي، فخيول المسلمين قد لاحقت العدوّ في أسفل الوادي وآخره، محاصرة إياه من كل حدب وصوب، كالأسود تمرّ فرادى، تحمل سيف الدّولة وجيشه، فقتلوا وجرحوا من العدّو أكثر من الّذين نجوا بحياتهم.

ورسم الشّعراء في شعر الصّراع صوراً عدّة للأرض، فتبدّلت رؤيتهم في تصويرها، فحوّلوا صورتها لدى الرّوم من وطن آمن إلى مكان معادٍ، بينما حوّلوها عند المسلمين من مكانٍ معادٍ إلى مكان ضمّ في حناياه الأمن والقوّة والاستقرار لهم.

وشكّلت الوديان أماكن مرور الجيش الإسلاميّ، وما تخللها من أحداث شتّى في وصف التحام الجيشين المتصارعين، إذ ظهرت في شعر المتنبّي وأبي تمّام، بينما لم تظهر الوديان في شعر أبي فراس الحمدانيّ.

ومن مناطق الصّراع ظهرت الصّحاري في قول المتنبّي: [الطّويل]

تَضِيقُ بِهِ البَيداءُ من قَبْلِ نَشرِهِ وَمَـا فُـضّ بالبَيْـداءِ عَنــهُ خِتَـامُ[1]

ويصف المتنبّي الصّحراء كحيّز ضيّق، في مفارقة واضحة تُظهر انزياح الشّاعر عن المساحة الشّاسعة إلى المساحة الضّيقة في حديثه عن الصّحراء، فالوجود الكثيف لجيش سيف الدّولة فيه جعل المكان الشّاسع ضيّقاً لعظم ذلك الجيش.

ودارت رحى الحرب في بيئات مائيّة، لتشمل العديد منها، فالشّعراء تطرّقوا إلى عالم المياه الّذي عبره الجنود في طريقهم إلى الحرب، لتشمل البيئة المائيّة الخلجان والأنهار والبحار.

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،442/3.

يقول أبو تمّام في الخلجان: [الكامل]

أَوقَـدتَ مِـن دُونِ الخَلـيجِ لِأهلِهـا نَـاراً لهَـا خَلـفَ الخَلـيجِ شَـرَارُ[1]

وأوقد القائد ناراً دون هذا البلد، ليستدفىء بها العسكر، إذ يُرى شررها خلف الخليج، ليخيف قلوب الأعداء، فهو قد أحرق قلوبهم بها ، خوفاً منه ومن انتقامه[2].

يقول: [الكامل]

فالحَمَّـةُ[3] البَيْضـاءُ مِيعَـادٌ لَهُـمْ والقُفـلُ حَـتْمٌ والخَلـيجُ شِـعارُ [4]

يستعرض الشّاعر في قصيدته هذه المناطق الّتي سيصلها الجنود فالوصول إلى" القفل" من الأمور الواجب إنجازها، في تلك الحرب.

أمّا أبو فراس فيقول: [الطّويل]

وَنَقْفـوهُمُ خَلـفَ الخَلـيجِ بِضُـمّرٍ[5] تَخـوضُ بِحـاراً بَعـضُ خُلجانِهـا دَمُ
إذا ضُـرِبَت فَـوقَ الخَلـيجِ قِبابُنـا وَأَمسَـى عَلَيـكَ الـذُّلُّ وَهـوَ مُخَـيّمُ[6]

وها هي خيول القائد تلاحق أعداءها، وتقطع البحار، الّتي صبغ الشّاعر بعض خلجانها باللّون الأحمر، لتحمل الصّورة اللّونيّة دلالة كثرة القتل وسفك الدّماء في أرض العدوّ.

وقد ذُكرت الأنهار أيضاً في شعر الصّراع، فيقول المتنبّي: [الطّويل]

---

[1] **الدّيوان**:.169/2.
[2] يُنظر:**نفسه.**
[3] **الحَمّةُ**: العين الحارّة يستشفى بها الأعِلّاء والمرضى، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،306/2.
[4] **الدّيوان**: 171/2. ويُنظر أيضاً: 435/2.
[5] **ضمّر**: الفرس ضمر أي دقيق الحجاجين؛ عن كراع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"ضمر".
[6] **الدّيوان**: 295-296.

أَخـو غَـزَواتٍ مـا تُغِـبُّ سُـيوفَهُ رِقـــابُهُمُ إلّاَ وَسَـــيْحانُ[1] جامِـــدُ[2]

يؤكّد الشّاعر استمرار غزوات سيف الدّولة على الرّوم وعدم توقّفها إلّا عند تجمد مياه نهر سيحان.

يقول المتنبّي أيضاً: [الكامل]

حَتــى عَبَـرنَ بِأَرْسَـناسَ سَـوابِحاً يَنشُــرْنَ فيــهِ عَمــائِمَ الفُرســانِ
يَقْمُصْنَ فـي مثلِ المُدَى من بـارِدٍ يَـذَرُ الفُحُــولَ وَهــنّ كالخصْــيانِ
وَالمــاءُ بَـينَ عَجـاجَتَينِ مُخَلِّـصٌ تَتَفَرّقـــانِ بِـــهِ وَتَلْتَقِيَـــانِ[3]

شكّل النّهر هنا حاجزاً بين سحابتين من غبار، تنعقدان فوقه، فإحدى السّحابتين تمثّل الجيش المتقدّم الّذي يريد اجتياز الشّاطىء الجنوبيّ، والثّانيّة تمثّل الجيش الّذي عبر النّهر مبتعداً عن الشّاطىء الشّماليّ؛ ليجعل الشّاعر تلك التّفاصيل تحاكي الحواس وتستثيرها[4]، وفي البيت الثّالث يشبّه الغبار الّذي ثار على جانِبي النّهر بالموج الّذي يفرّق بين المسلمين والرّوم.

يقول المتنبّي : [البسيط]

وَجـاوَزُوا أَرْسَنَاسـاً مُعْصِـمِينَ بِـهِ وكيـفَ يَعصِـمُهُمْ مـا لـيسَ يَنعَصِـمُ؟
وَمـا يَصُدّكَ عَنْ بَحْرٍ لَهُمْ سَعَةٌ وَمَـا يَـرُدُّكَ عـن طَـوْدٍ لهُـمْ شَـمَمُ
ضـرَبْتَهُ بصُـدورِ الخَيْـلِ حامِلَـةً قَوْمـاً إذا تَلِفـوا قُـدْماً فَقَـد سَـلِمُوا
تَجَفَّـلَ المَـوْجُ عـن لَبّـاتِ خَـيلِهِمُ كَمَـا تَجَفَّـلُ تحـتَ الغـارَةِ الـنَّعَمُ[5]

---

[1] **سيحان**: نهر كبيرٌ بالثّغر من نواحي المصيصة، وهو نهر أذنة بين أنطاكية والرّوم يمرّ بأذنة ثمّ ينفصل عنها نحو ستة أميال، فيصبّ في بحر الرّوم، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،293/3.

[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 210/3. ويُنظر أيضاً: 340/3.

[3] نفسه: 532/3-533.

[4] يُنظر: نهر، هادي، **مع المتنبّي في شعره الحربيّ**، 158.

[5] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،552/3-553.

وتجاوز الرّوم نهر أرسناس؛ ظنّاً منهم أنّه يحول بينهم وبين سيف الدّولة وجيشه، ولكن كيف لنهر أن يعصمهم عن قوة سيف الدّولة وبأسه، وهو قد تجاوزه، ولم يكن له مانعاً[1]، ويقول زكي المحاسني معلّقاً:" فيا لمنظر الموج وهو ينكشف عن صدور الخيل فيجفل منها وهي لاتجفل منه، وكان سيف الدّولة في مقدمة الجيش أول الخائضين في نهر أرسناس يعبر بالجيش إلى بلد مقدور عليه الحريق"[2].

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وَأَضْعَفْنَ ما خَلَّصْنَهُ مِنْ قُباقِبٍ[3] فأَضْحَى كَأنّ الماءَ فيهِ عَليلُ
وَرُعْنَ بنا قَلبَ الفُراتِ كأنّما تَخِرُّ عَلَيهِ بالرّجال سُيُولُ
يُطارِدُ فيهِ مَوْجَهُ كُلُّ سابحٍ سَواءٌ عَلَيْهِ غَمْرَةٌ وَمَسيلُ[4]

جاء ذكر لنهر الفرات في شعر الصّراع في صورة بديعة قدّمها المتنبّي، فالخيول الّتي شبّهها بالسّيل، اتجهت ناحية الفرات مسرعة تحرّك الماء، وتندفع إلى الأمام. وقد اعتنى المتنبّي في تصوير عبور النّهر، لكونها عمليّة دقيقة برع سيف الدّولة وفرسانه في تنفيذها، فعبروا فرعاً من الفرات" قباقب" ثمّ الفرات نفسه[5]. فجاء الاهتمام بالصّورة الحركيّة من خلال استخدامه للأفعال: " رعن"و" تخرّ و"يطارد"، ليقدّم للقارىء تصوّراً دقيقاً لحركة الخيول في المكان، لتحمل دلالة القوّة والعزم، فيتحدّث عن منعة النّهر، لينقلنا إلى تصوّر سير الخيول عَبره، ويُتبع ذلك بانتصارها في الوصول إلى الهدف.

---

[1] يُنظر: **نفسه**.
[2] **شعر الحرب في أدب العرب- في العصر الأمويّ والعباسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،286.
[3] **قباقب**: ماء لبني تغلب خلف البشر من أرض الجزيرة، وهو قرب ملطية، نهر يدفع في الفرات، الحمويّ، ياقوت،**معجم البلدان**،303/4.
[4] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،3/343-344. ويُنظر أيضاً:376/3.
[5] يُنظر: نهر، هادي، **مع المتنبّي في شعره الحربيّ**، 158.

يقول المتنبّي: [البسيط]

وَشُزَّبٌ[1] أَحْمَتِ الشّعرَى[2] شكائِمَهَا[3] وَوَسَّمَتْها[4] علـى آنَافِهـا الحَكَـمُ
حتـى وَرَدْنَ بِسِـمْنِينٍ[5] بُحَيْرَتَهَـا تَـنِشُّ بالمَـاءِ فـي أشْداقِهَا اللُّجُمُ[6]

توافدت الخيول على بحيرة سمنين، بعد أن اشتد الحرّ عليها ونزلت ماء البحيرة، فأحدث لمس لجامها الحار الماء نشيشاً [7]. فقدمّ المتنبي صورة سمعيّة وحركية لتملأ المكان ضجيجاً، أحدثه صوت الماء وحركة الخيل.

أمّا أبو فراس الحمدانيّ فيقول: [الطّويل]

وَشَـقَّ إِلـى ثَغرِ" الدُّمُستُقِ"جَيشُـهُ بِـأَرضِ "سُـلَامٍ[8]" والقنـا مُتَشـاجِرُ
سَقى أَرسناساً مِثلَـهُ مِـن دِمـائِهِمْ عَشِـيَّةَ غَصَّـت بِـالقُلوبِ الحَنـاجِرُ[9]

ويبرز في هذا النّص التّناصّ مع القرآن الكريم، فبعد أن اختلطت الدّماء بماء أرسناس، واستولى الخوف على القلوب، بلغت القلوب الحناجر من شدّة خوفهم وهلعهم. وقد أخذ الشّاعر هذه الصّورة المعبّرة[10]، من قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً** ﴾[11].

---

[1] **الشّزّب**: الشّازب هو الضّامر اليابس من النّاس وغيرهم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"شزب".
[2] **الشّعرى**: كوكب نيّر يُقال له المرزم يطلع بعد الجوزاء، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"شعر".
[3] **شكائمها**: الشّكيمة من اللّجام هي الحديدة المعترضة في الفم، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"شكم".
[4] **وسمتها**: الوسم هو أثر كيّه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"وسم".
[5] **سُمنين**: بلدٌ من ثغور الرّوم، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،255/3.
[6] **المعرّي**، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،550/3.
[7] **نفسه.**
[8] **سُلَام**: "و أبو يقظان الأعلى بن مسلمة السّلميّ، نازلة سيف الدّولة ، وردّه إلى بلاده، حتّى فتحه، وهرب إلى بلاد الرّوم، ومدّه "بطريق" في عشرين ألفاً، فهزمهم، ورضي عنه سيف الدّولة"،**الدّيوان**:140.
[9] **الدّيوان**: 140. ويُنظر أيضاً : 142و197.
[10] يُنظر: البطاينة، ماهر، **التّناصّ في شعر أبي فراس الحمدانيّ**، دكتوراة ، جامعة اليرموك، الأردن، 2012، 87-88.
[11] **الأحزاب**، 10.

أمّا البحر فقد تعدّدت العلاقات بينه وبين العرب في عصور عدّة، ليكون له نفع اقتصاديّ واجتماعيّ وحربيّ لهم ، فقد رُكبت البحار قديماً؛ بغية السّفر والتّجارة والصّيد، والتّوجّه لفتح معالم جديدة، فصوّر الشّعراء البحار الّتي اجتازها الجنود، متحدّين الطّبيعة؛ لتحقيق مرامهم.

ومع بداية الدّعوة للدّين الجديد، خرج العرب من الجزيرة العربية حاملين دينهم هداية للعالم، فبدأت الحروب، والفتوح الإسلاميّة بحراً وبرّاً، فكانت الفتوحات الإسلاميّة عبر البحر ميداناً لانتشار العرب في البحار والمحيطات . أنشؤوا الأساطيل، فكانت استراتيجيتهم تهدف إلى الامتداد عبر البحار وإقامة دولة إسلاميّة كبرى[1].

وصور البحر في الشّعر العربيّ من المكوّنات المهمّة المرتبطة بالخيال الشّعري، ومازالت صور البحر تسحر قارئها وتدعوه لاكتشاف مخزونها وأنساقها، وعلاقتها المكانيّة المرتبطة بموضوعات شتّى كالمغامرة، والعودة، والانتماء وغيرها من الدّلالات الّتي حوتها مكانيّة البحر في متن النّص[2].

وقدّم أبو تمّام البحر في قصائده، فقال: [الخفيف]

مـا رَأَى قُفْلَهـا كَمـا زَعَمُـوا قُفْـ لاً ولا البَحْـــرَ دُونَهـــا بِعَمِيـــقِ[3]

نقل الشّاعر القارىء إلى مجريات الحرب، فقد ادّعى العدوّ بأنّ "قفلا" تصعب هزيمتها ، فهي لم تكن عصيّة عليه، كما أن البحر ليس بعميق عليه، فالجناس بين كلمتي قفلها وقفلاً، تدلّ في معناها الأوّل على الشّيء المغلق، وفي معناها الثّاني على اسم مكان.

أمّا المتنبّي، فيقول: [البسيط]

فَنحنُ في جَذَلٍ والرّوم في وَجَلٍ وَالبَرّ في شُغُلٍ والبَحرُ في خَجَلِ[4]

---

[1] يُنظر: عطيّة ، أحمد، **أدب البحر**،17.
[2] يُنظر: خليفة، خالد، **توظيف المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر**، 34.
[3] **الدّيوان:**436/2. ويُنظر أيضاً: 64/1.
[4] **المعرّي**، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،273/3.

ويبرز التّقسيم واضحاً في هذا البيت، والتّشخيص في كلمة البحر في تصويره بالإنسان الّذي يخجل؛ فأظهره الشّاعر خجلاً من كثره عطاء سيف الدّولة وكرمه.

يقول أبو فراس: [الطّويل]

فَلَــم تَــرَ إِلّا فالِقــاً هــامَ فَيْلَــقٍ وَبَحراً لَهُ تَحتَ العَجاجَةِ ماخِرُ[1]

ويصوّر استمرار المعركة، وما لبث أن تحوّلت أرض العدوّ إلى بحر من دماء يشقّ الأرض تحت عجاج التّراب، فكأنّ العجاج أمطر عليهم السّيوف والرّماح، وممّا زاد نزفها وقع حوافر الخيول تطأ جثث القتلى[2]، ليبدع الشّاعر في مزج الصّورة اللّونيّة والحركيّة، فاللّون الأحمر تراءى بحراً من الذّل والهوان، يزيد من تدفّقه وجريانه شدّة وطيس المعركة واشتدادها.

يقول أبو فراس، مفتخراً: [الكامل]

نحنُ البِحارُ بَل البِحارُ مِياهُها مِلــحٌ، وَمَورِدُنــا لَذيــذُ المَطعَــمِ[3]

إذ شبّه جيش سيف الدّولة بالبحر، لكنّه ينفي صفة الملوحة الّتي تلازم البحر، ليستبدلها بالمورد الطّيّب.

تنوّعت البيئة المائيّة في شعر الصّراع، فجاء ذكر الخليج في شعر أبي تمّام وأبي فراس، ولم يظهر في شعر المتنبّي، ولم يتحدّث أيّ من الشّعراء الثّلاثة عن الأساطيل البحريّة في تلك البيئات المائيّة أمّا الأنهار فقدّم المتنبي طائفة من أسماء الأنهار الّتي عبرتها الجيوش في لوحات مهيبة تملؤها الحياة والحركة، وجاء ذكرها أيضاً لدى أبي فراس، ولم تظهر في شعر أبي تمّام، أمّا البحر فقدّمه الشّعراء الثّلاثة في أشعارهم.

---

[1] **الدّيوان**: 137. ويُنظر أيضاً:299.

[2] يُنظر: الخشرميّ، شاكر، **صورة الحرب بين أبي فراس الحمدانيّ والبارودي**، ماجستير، جامعة طيبة،المملكة العربيّة السّعوديّة، 2013، 143-144.

[3] **الدّيوان**: 314.

- **الفضاءات المغلقة**

  - **تصوير أماكن التّخفّي**

شهد التّاريخ حروباً دامية ، أزهقت فيها أرواح كثير من البشر، فمعالم الأماكن وذاكرة التّاريخ تحكي قصصاً لصراع الإنسان، وسعيه للدّفاع عن وجوده، بكل ما أوتي من إرادة وعزم، مستخدماً أساليب دفاعيّة مختلفة، تبدأ في رسم استراتيجيات الهجوم، وتجهيز الجيوش وعتادها، وبناء أماكن للتّخفي كالقلاع والحصون.

- **الحصون**

عاش العرب في الجاهليّة حياة بداوة، فلم يعرفوا الحصون أو الاحتماء بالأسوار، فشّكل ظهور الأحصنة وشفرات السّيوف، حصوناً لهم، فعرف أهل الحيرة الحصون لمجاورتهم الفرس، وأهل الشّام لمجاورتهم الرّوم، أمّا أهل الحجاز فعرفوها عن طريق رحلتهم إلى اليمن وعن طريق اليهود الّذين نزحوا إليها من الشّام، بعد طردهم من قبل الرّوم، فأعادوا إليها نظام الآطام (الحصون) [1].

ومن الصّعب في الوقت الحاضر الاهتداء إلى مواقع البلدان في شعر الصّراع، ويزداد الأمر صعوبة عند تحديد أمكنة الحصون التي أُنشئت لأغراض عسكريّة، واندثر بعض منها مع مرور الأيام، وعفا عليها الزّمن[2]. وباتّساع الفتوحات الإسلاميّة، وتأسيس المسلمين لمدن مختلفة متاخمة لأعدائهم، قاموا بتحصينها ببناء أسوار عاليّة وأبراج، كما حصّنوها بالخنادق، فأحيطت المدن المهمّة بأسوار عالية تحوي أبراجاً لحراسة الجند المدافعين[3].

[1] يُنظر: عون، عبد الرؤوف، **الفن الحربيّ في صدر الإسلام**، 197-198.
[2] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، **شعر الصراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**، 155.
[3] يُنظر: عون، عبد الرؤوف، **الفن الحربيّ في صدر الإسلام**، 198.

ويصف أبو تمّام حال الحصون في ذاك اليوم العصيب، فيقول : [الخفيف]

كُلُّ حِصْنٍ مِن ذِي الكَلاَعِ[1] وَأَكْشو ثَاءَ[2] أَطلَقْتَ فيهِ يَوْماً عَصيبَا[3]

والشّاعر أبو تمّام قد صوّر الحصن ملجأً يتمنى "منويل" الاحتماء به فيقول: [الكامل]

إلّا تَنَل "مَنوِيلَ" أَطرافُ القَنا أَو تُثنَ عَنهُ البِيضُ وَهْيَ حِرارُ
فَلَقَدْ تَمَنَّى أَنَّ كُلَّ مَدِينَةٍ جَبلٌ أَصَمُّ وكُلُّ حِصْنٍ غَارُ[4]

أمّا المتنبّي، فيقول: [الوافر]

وَمَنْ أَمَرَ الحُصونَ فَما عَصَتْهُ أطاعَتهُ الحُزُونَةُ والسُّهولُ[5]

فيصوّر طاعة الحصون لسيف الدّولة في أنسنة للمكان لتكون طوعاً لهذا القائد، إذ لم يستعصِ عليه فتح الحصون؛ لأنّه البطل الّذي لم يعق تقدمه سهل ولا حَزن الأرض.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وَتُضْحي الحُصونُ المُشْمَخِرَّاتُ[6] في الذُرى وَخَيلُكَ في أَعنَاقِهِنّ قَلائِدُ[7]

ويصوّر الشّاعر الحصون بالنّساء، والخيل بالقلائد الّتي تزيّن جيد تلك النّسوة، في صورة تعكس البعد الجمالي الّذي بيّنه الشّعر للمكان "الحصن" .

---

[1] **الكلاع**: اسم حصن، وكأنّه في الأصل منسوب لرجل من ذي الكلاع، **الدّيوان**: 166/1.
[2] **أكشوثاء:** حصن أضنّه بأرمينيا، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 240/1.
[3] **الدّيوان**: 166/1.
[4] **نفسه**: 171/2.
[5] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،37/3.
الحزونة: الحزن ما غلظ من الأرض،ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" حزن".
[6] **مشمخرات**: مفردها مشمخر وهو العالي من الجبال ،ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" شمخر".
[7] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،208/3.

يقول المتنبّي أيضاً: [الطّويل]

تَمَــلُّ الحُصُــونُ الشُّــمُّ طُــول نِزالِنــا فَتُلقـــى إِلَينـــا أَهلَهـــا وتَـــزول
وبتنَ بِحِصْنِ الرّانِ[1] رَزحى من الوَجى[2] وَكُـــلُّ عَزيـــزٍ للأميـــرِ ذَليـــلُ[3]

وفي صورة أخرى يُؤنسن الشّاعر المكان" الحصن" ليصوّره إنساناً ملّ طول النّزال وشدّته، فقصد حصن الرّان كمأوًى لطلب السّلامة، والرّاحة بعد طول القتال واشتداد المعركة. وفكرة الزّمن تتجلى في هذا البيت في وصفه للخراب والدّمار وما أصاب أهلها، بعد إبادة جيش سيف الدّولة لها بكل ما فيها؛ ليجعلها زائلة[4]، وضعف العلاقة تظهر بين العدوّ والحصون، فهي تتخلى عن حماية الرّوم، وكأنّها كانت تنتظر قدوم المسلمين لتحريرها، فهي رهن طاعة سيف الدّولة وتحت إمرته.

يقول المتنبّي أيضاً: [الطّويل]

تَشَــرَّفُ عَــدْنانٌ بــهِ لا رَبيعَــةٌ وَتَفْتَخِـرُ الـدّنْيا بــهِ لا العَواصِـمُ[5]

ويشير الشّاعر إلى حصن آخر هو " العواصم" يمثّل مملكة الممدوح وحصنه الأمين، فليس هو وحده مصدر الفخر والامتنان لانجازات هذا البطل بل أماكن عدّة شهدت انتصاراته وبطولاته لأنه مصدر الفخر لهم. وفي معركة أخرى، يقول المتنبّي: [الطّويل]

وَأَمســى السَّــبايا يَنتَحِــبنَ بِعِرْقَــةٍ[6] كَــأَنَّ جُيــوبَ الثّــاكِلات ذُيــولُ
وَعــادَت فَظَنُّوهــا بِمَــوْزَارَ[7] قُفّــلاً وَلَــيسَ لَهــا إلّا الــدّخولَ قُفُــولُ[8]

---

[1] **الرّان**: حصن ببلاد الرّوم في الثّغر قرب ملطية وبالقرب من حصن كركر، الحموي، ياقوت،معجم البلدان،19/3. الرّان: مدينة من بلاد أرمينية، الحميري، محمد، **كتاب الرّوض المعطار-في خبر الأقطار**، 264.
[2] **الوجى**: هو أن يجد وجعاً في حافره، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" وجا".
[3] **المعرّي**، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،346/3. يُنظر أيضاً:532/3.
[4] يُنظر : الدّسوقي، عبد العزيز، **أبو الطّيّب المتنبّي- شارع العروبية وحكيم الدّهر**، 265.
[5] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،434/3. يُنظر أيضاً: 548/3.
العواصم:حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية وأكثرها في الجبال فسمّيت بذلك، وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النّواحي، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،165/4.
[6] **عَرقَة**: هي من نواحي الرّوم غزاها سيف الدّولة، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،110/4.
[7] **مَوزارُ**: حصن ببلاد الرّوم استجدّ عمارته هشام بن عبد الملك، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 221/5.
[8] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،342/3.

فهو يصوّر خيول سيف الدّولة وقد أغارت على أعدائها وحملت السّبايا إلى عرقة، فعبرت من موزار، ثم رجعت إلى بلادها، فلمّا رأوها في موزار اعتقدوا بأنها راجعة إلى بلاد الإسلام، لكنّ وجهتها كانت بلادهم للمرّة الثّانية، فصار دخولها قفولا[1] .

وجاء ذكر الحصون في شعر أبي فراس الحمدانيّ، حين قال: [مجزوء الكامل]

وَحُصـــــونُهُم مِـــــن بَأسِـــــهِم زُرقُ الأَســـــــنَّةِ وَ البَـــــــواتِرْ[2]

ويتحدّث أبو فراس عن السّيطرة على حصن عيون جيحان، ليشاهد من هذا العلوّ أفضل الأماكن، فيقول: [الكامل]

وَمَلَكتَ" حِصنَ عُيونِ جَيحانٍ[3]**"وَقَد أَعيــا الــوَرَى فــي دَهــرِهِ المُتَقَــدِّمِ**
فَأَخذتـــه فَرَأَيْـــتَ أَحسَـــنَ مَنظَـــرٍ مِــن سُــورِهِ المُتُهَتِّــكِ، المُتَقَــدِّمِ[4]

ورصد الشّعراء الحصون في شعر الصّراع، فأبو تمّام صوّرها كمكان حصين، وقدّمه المتنبّي كمكان أليف، وجعله أبو فراس الحمدانيّ مكاناً قوّياً ومرتفعاً.

- **الثّغور الإسلاميّة**

قام العبّاسيون بتقوية الحدود مع الرّوم، وأطلقوا عليها اسم الثّغور، فعمّروها وحصّنوها وزوّدوها بالجند من أنحاء العالم الإسلامي، وأحلّوهم في المدن الّتي هجرها الرّوم في أيام الفتوحات الأولى، وزوّدوهم بالمؤن والأراضي حتى أضحت آهلة بالسّكان.[5] والثّغور كانت مواقع محصّنة تحوي محاربين مرتزقة، وظيفتهم حماية الحدود برواتب تأمّنها لهم الدّولة[6].

---

[1] يُنظر:. المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،342/3.
[2] **الدّيوان**: 114. ويُنظر أيضاً: 138.
[3] **جيحان**: نهر بالمصيصة بالثغر الشامي،ومخرجه من بلاد الرّوم ويمرّ حتى يصبّ بمدينة تُعرف بكَفربيا بإزاء المصيصة، وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة ، فيدخل منها إلى المصيصة، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،196/2.
[4] **الدّيوان**: 315.
[5] يُنظر: عبد الرّحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم -في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،11.
[6] يُنظر: إسماعيل، عز الدّين، **في الأدب العباسيّ- الرؤية والفن**، 131.

وكان أكثر الغزوات يتمّ صيفاً لملاءمة الجوّ لطبيعة العرب وسمّيت بالصّوائف، أمّا الّتي تتمُّ شتاء فسمّيت بالشّواتي، وكان الغرض منها تأمين التّخوم ، وتدريب الجند، والحصول على المعلومات، وزيادة خبرتهم الحربيّة، وهذا معنى قولهم:" وشتّى فلان بأرض الرّوم" و" كان فلان بأرض الرّوم مرابطاً بها"[1].

وتتابعت الحملات بين المسلمين والرّوم مما جعل الحدود الشّماليّة في حركة مدّ وجزر، فنشط المسلمون بالصّوائف يأخذون من الرّوم ما يأخذون ويصلحون ما دمّروه، وكان الرّوم ينشطون شتاء عند خلوّ تلك الثّغور من المسلمين بسبب عودة المتطوعين لبلادهم؛ بسبب الثّلج والأمطار[2].

وشكّلت الثّغور الّتي أسّسها العباسيّون خطّ دفاع قويّ، تملؤه الحصون، ويعجّ بالسّكان، وامتدّ خطّ الثّغور من نهر اللّامس[3] في سهل سلوقية [4]، إلى طرسوس[5] وأذنة[6]، إلى المَصِّيصة[7] على نهر جيحان، وإلى عين زربى[8]، وسمّيت بالثّغور الشّاميّة لمقابلتها بلاد الشّام ويستمر هذا الخطّ ليمرّ بمرعش والحدث وزِبَطرة[9] وسميساط وملطيّة، وأُطلق عليها الثّغور؛ لأنها تقابل الجزيرة[10].

وأغار البيزنطيّون على ثغور العرب وهدّموا الحصون وذبحوا الرّجال والشّيوخ، وسبوا النّساء، ناهيك عن السّلب والنّهب الّذي تعرّض له المسلمون، وبعد انتهائهم عادوا لبلادهم حاملين الأسرى، والسّبايا من النّساء وقد زادوا على الألوف، وأحياناً يبقى هؤلاء الأسرى في تلك البلاد الرّومية وراء الثّغور–إذا لم يقتلوا– سنين وأياماً حتى يفادى بهم، أو يغزو المسلمون تلك الأماكن، فينتقمون من الرّوم ويردّون لهم الصّاع صاعين[11].

---

[1] يُنظر: عون، عبد الرؤوف، **الفن الحربيّ في صدر الإسلام**،201.
[2] يُنظر: **نفسه**، 203.
[3] **نهر اللّامس**: بحثت عنه ولم أجده.
[4] **سلوقيّة**: أقطع الوليد بن عبد الملك جند أنطالية أرض سلوقية عند السّاحل، فعمّروها وجرى لهم ذلك وبنى حصن سلوقية، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،242/3.
[5] **طرسوس**: كلمة عجميّة روميّة، ، وهي مدينة بثغور الشّام بين أنطاكية وحلب وبلاد الشّام تقع في الإقليم الرّابع ، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،28/4.
[6] **أذنة**: بلد في الثّغور قرب المصيصة، ولها نهر يقال له سيحان، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،133/1.
[7] **المَصِّيصة**: هي مدينة على شاطىء جيحان من ثغور الشّام بين أنطاكية وبلاد الرّوم تقارب طرسوس، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،145/5.
[8] **عين زربى**: هو بلد في الثّغر من نواحي المصيصة، الحمويّ، ياقوت،**معجم البلدان**،177/4.
[9] **زِبَطرة**: مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلاد الرّوم، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،130/3-131.
[10] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم - في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**، 12-13.
[11] ينظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب**، 189.

يقول أبو تمّام: [البسيط]

عَداكَ حَرُّ الثُّغورِ المُستَضَامَةِ عنْ بَرْدِ الثُّغُور وعَنْ سَلْسَالِها الحَصِبِ[1]

وفي بيت أبي تمّام، يظهر الجناس بين كلمتي الثّغور لتدلّ الأولى في معناها على ثغور الأعداء الّتي ينوي القائد مهاجمتها، وفي الثّانية لتعطي معنى ثغور النّساء الحسناوات. فشبّه الشّاعر ماء أفواه الجواري وجريه على ثغورهنّ بالماء العذب الّذي يجري على الحصباء،[2]، فحرّ الثّغور المستضامة جاء كناية عن حرارة القهر والضّيم، وهي صورة ما كان أحلاها أن تبرز فوق جباه الجيوش ليعلموا أنّ حر الثّغور المستضامة أولى بالمجابهة من أي شيء آخر[3].

ويُظهر أبو تمّام في بيت آخر الثّغر ليرمز به إلى السّمو والعلوِّ بعد أن وطأه سيف الدّولة، فيقول: [الكامل]

لَمَّـا حَلَلْـت الثَّغْـرَ أصـبَحَ عالِيـاً للـرُّومِ مِـنْ ذَاكَ الْجِـوارِ جُـوَارُ[4]

يقول أبو تمّام: [الطّويل]

ولَـمْ يَبْقَ فـي أرضِ الـبقلاّر[5] طـائرٌ ولا سَـبُعٌ إلاَّ وقَـدْ بَـاتَ مُولِمـا[6]

ويظهر حصن البقلاّر وقد امتلأ بالجثث الّتي طاب للطّير والسّباع أكلها، ليظهر الشّاعر عِظَم خسارة العدوّ في تلك المعارك.

---

[1] **الدّيوان**: 62/1. ويُنظر أيضاً: 335/1 و 188/1و 168/2.
[2] يُنظر: الشّمنتريّ، أبو الحجاج بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**، 181/1.
[3] يُنظر: أبو حمدة، محمد، **في التّذوق الجماليّ لقصيدة أبي تمّام الطائيّ في فتح عمّوريّة**، 78.
[4] **الدّيوان**: 174/2 .ويُنظر أيضاً: 235/3.
[5] **بُقّلاّرُ**: موضع بثغر أذربيجان، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،472/1.
[6] **الدّيوان**: 243/3.

فها هي نداءات أهل الثّغور تظهر في قول المتنبّي لسيف الدّولة: [المتقارب]

بــذا اللّفْـظِ نــاداكَ أهْـلُ الثّغُـورِ فَلَبّيْــتَ وَالهَــامُ تحــتَ القُضُــبْ[1]

يقول المتنبّي أيضاً: [الطّويل]

سَــراياكَ تَثْــرَى والدّمُسْــتُقُ هــاربٌ وَأَصْــحابُهُ قَتلــى وَأَموالُــهُ نُهبَــى
أتَــى مَرعَشــاً[2] **يَسـتَقرِبُ البُعـدَ مُقـبِلاً وَأَدبَــرَ إذ أَقبَلــتَ يَســتَبعِدُ القُرْبــا**[3]

وفي الحديث عن " مرعش" وهي مدينة في الثّغور، يتحدث المتنبّي في قصيدته عن بناء سيف الدّولة لمرعش في المحرم سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة للهجرة[4]، ليقدّم سرداً قصصيّاً يصوّر هروب الدّمستق، وخسارته العظيمة، فهو قد وطىء هذا البلد واثقاً يظن البعيد قريباً، وحال وصول سيف الدّولة اختار الهرب والإدبار.

ومن البلاد في الثّغور الرّوميّة ، يقول المتنبّي: [الطّويل]

وفي بَطنِ هِنزِيطٍ[5] **وَسُمْنينَ**[6] **للظُّبَى وَصُــمُّ القنــا مِمَّــن أبَــدْنَ بــديلُ**
طَلَعْــنَ عَلَــيهِمْ طَلعَــةً يَعرِفونَهــا لهــا غُــرَرٌ مــا تَنقضــي وَحُجُــولُ[7]

---

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 598/3.
القضب: السّيف اللّطيف الدّقيق، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"قضب".
[2] **مَرعَش**: مدينة في الثّغور بين الشّام وبلاد الرّوم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يُعرف بالمروانيّ بناهُ مروان بن محمد، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 107/5. مرعش: تقع مدينة مرعش في منطقة جبليّة لتركيّا ويقصد إليها من وسط الطّريق الممتد من أضنة غرباً إلى ملطيّة شمالاً وشرقاً،أبو حجر، آمنة، **موسوعة المدن الإسلاميّة**،274.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 235/3.
[4] **نفسه:** 225/3.
[5] **هِنريطُ**: من الثّغور الرّومية وهنريط في الإقليم الخامس، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،418/5.
[6] **سُمنين**: بلد من ثغور الرّوم، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،255/3.
[7] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 345/3.

ويستمر المتنبّي في إظهار سيطرة سيف الدّولة على ثغور الرّوم فيقول: [البسيط]

هِنديّةٌ[1] إن تُصَغِّرْ مَعْشَراً صَغُرُوا بِحَدِّها أَو تُعَظِّمْ مَعْشَراً عَظُمُوا
قَاسَمْتَها تَلّ بِطْرِيقٍ فكانَ لَهَا أبطالُهَا وَلَكَ الأطْفالُ وَالحُرَمُ[2]

فالسّيوف تملك القدرة على تمجيد من يجيد استخدامها والقتل بها، وتصّغر من قيمة المهزوم والمقتول في ساحات الحرب، فسيف الدّولة بسيوفه استطاع النيل من أهل هذا الثّغر، فقدّم للسّيوف الأبطال، وأخذ النّساء والأطفال سبايا له.

أمّا أبو فراس الحمدانيّ فقدّم صوراً عدّة للثغور في شعره ، فقال: [الطّويل]

وَوَيْلَكَ؛ مَن أَرْدَى أَخاكَ " بِمَرْعَش" وَجَلَّلَ ضرباً وَجهَ وَالِدِكَ العَضْبا؟[3]

ويخاطب الدّمستق ليذكّره بموت أخيه في مرعش، والضّرب المبرح الّذي تلقاه والده بذلك السّيف .

فيقول: [الطّويل]

رَمَى" مَرعشاً" مِن " أرقَنينَ[4]" وَدونَها سُهوبٌ نَأَت أطرافُها، وَأَوَاعِرُ[5]

ويصيب سيف الدّولة مرعش من مدينة أرقنين رغم بعد المسافة ووعورتها.

ويظهر في الأبيات اتفاق الشّعراء على إظهار مناطق الثّغور كأماكن شهدت نزاعات حامية بين الجيشين، لتكون أرض ذلٍّ وهوان للرّوم، ولتشهد على انكسار الجيش الرّومي وضعفه، وعلى قوّة المسلمين وبأسهم في السّيطرة عليها، وانتزاعها من براثن أعدائها.

---

[1] هنديّة: المهنّد هو السّيف المطبوع من حديد الهند، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة" هند".
[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 554/3.
[3] **الدّيوان**: 31. ويُنظر أيضاً: 139.
العضب: السّيف القاطع، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"عضب".
[4] **أرقَنينُ**: بلد بالرّوم غزاه سيف الدّولة بن حمدان، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**،153/1.
[5] **الدّيوان**: 155.

- **القلاع**

تعدّدت أماكن الصّراع الّتي تصادم فيها الجيشان ، فشكّلت القلاع والثّغور أماكن للتّخفى ورسم استراتيجيات وخطط القتال، فاحتمت الجيوش خلف تلك القلاع الحصينة والمنيعة؛ لتكون شاهداً على تاريخ الصّراع بين العباسيّين والرّوم.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

هَـلِ الحَـدَثُ الحَمْـراءُ تَعـرِفُ لوْنَهـا وَتَعْلَـمُ أيُّ السّـاقِيَيْنِ الغَمَـائِمُ
سَـقَتْها الغَمَـامُ الغُـرُّ[1] قَبْـلَ نُزُولِـهِ فَلَمّـا دَنَـا مِنهـا سَـقَتْها الجَمـاجِمُ[2]

ويظهر التّصوير من خلال وصف المكان، وتأثير الحدث عليه، إذ استمدّ الصّورة اللّونيّة لتعبّر عن المكان، فتحوّل القلعة إلى اللّون الأحمر ليحمل دلالة سفك الدّماء والقتل، والشّاعر يقدّم نوعاً من المفارقة بين ما كانت عليه القلعة وما أصبحت عليه من خلال التّنويع بين اللّون الأبيض الّذي يشير إلى طبيعة المكان قبل غزو سيف الدّولة واللّون الأحمر بعد الغزو ، ليكون اللّون الّذي آل إليه المكان، ودلّ عليه لفظ الجماجم[3] .

فالقلعة هي المكان الأوّل في النّص، إذ كانت تسقى بماء صافٍ فصارت بعد غزوها تُسقى بالجماجم، ووقعت القلعة في موقعين متضادّين في إطار الزّمن، موقف انتصر فيه العدوّ وموقف ملأه الحزن وسفك الدّماء[4].

---

[1] **الغرُّ**: غرّ عليه الماء وقُرّ عليه الماء أي صُبَّ عليه، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"غرر".
[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 3/422-423.
[3] ينظر: حسيب، عماد، **البناء الدراميّ في الشّعر العربيّ القديم**، 82.
[4] ينظر: محمود، عبيدات، **دور المكان في تشكيل الصّورة في قصيدة" على قدر أهل العزم لأبي الطّيّب المتنبي- دراسة تطبيقيّة أسلوبيّة**، مؤتة للبحوث والدّراسات- الأردن، المجلد 19، العدد 8، 2004، 174-175.

وفي وصف آخر لقلعة الحدث، يقول المتنبّي: [الخفيف]

لا أَلــومُ ابــنَ لاوُنٍ مَلِــكَ الــرُّو مِ وإن كــانَ مــا تَمنَّــى مُحــالا
أَقْلَقَتْــــهُ بَنِيَّــــةٌ بَــــينَ أُذْنَيْــــ هِ وَبَــانٍ بَغَــى السَّــماءَ فَنَــالا[1]

ويشير المتنبّي إلى صعوبة اختراق القلعة التّي حصّنها المسلمون، واستحالة دخولها، فالشّاعر يكلّم ملك الرّوم بأسلوب ساخر، لعجزه عن اختراق القلعة الّتي باتت وكأنّها مبنيّة على مؤخّر رأسه بين أذنيه، ليسبّب وجودها عدم راحة وثقل.

ولم تُذكر القلاع كثيراً في شعر المتنبّي، ولم يرد ذكرها قط في شعر أبي تمّام وأبي فراس الحمدانيّ.

- **حضور الأماكن الدّينيّة**

منذ بدء الخليقة بحث الإنسان عن الله في كلّ ما أحاط به من مخلوقاته وعجائبه، فعبد الشّمس والقمر والمخلوقات؛ بغية التّقرب إليها، والشّعور بالأمان في ظلّ وجوده ورحمته، إلى أن اهتدى إلى أنبياء الله جميعاً؛ ليكونوا عوناً للبشر، وخير معين في إيصال رسالة الله لهم. إذ شكّلت الأماكن الدينيّة لطوائف عدّة، رمزاً للهدوء والسّكينة، ومكاناً آمناً يلتجئون إليه طلباً للرّحمة والمغفرة، وليكون ملاذهم الآمن لأداء شعائرهم الدينيّة على اختلاف معتقداتهم، فظهرت في شعر العباسيين رموزٌ وأماكنُ دينيّة، أبرزت فكر الآخر ومعتقداته، في ظلّ تلك الدّولة، وما أحاطها من قوميات شتّى فرضت وجودها ضمن علاقات، منها السّلميّة، ومنها ما جاء نتيجة حروب ونزاعات كنزاعات دولة الرّوم والفرس معهم، فجاء الشّعر وثيقة أبرزت نظرة الآخر وفكره من كلا الطّرفين.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

فَأَصـبَحَ يَجتـابُ المُسـوحَ[2] مَخافَـةً وَقَد كـانَ يَجتـابُ الـدِّلاصَ[3] المُسَرَّدا

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 504/3.
[2] **المِسح**: ثوب من الشّعَر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"مسح".
[3] **الدّلاص**: الدّلاص من الدّروع: اللّينة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"دلص".

وَيَمْشِي بـهِ العُكّازُ فـي الـدّيرِ تائِباً وَما كـانَ يَرْضَـى مَشـيَ أشـقَرَ أجْرَدَا[1]

ففي هذه القصيدة يبدع الشّاعر في تصوير الحالة النّفسية للدّمستق، فأبرز الشّاعر الدّير ليكون رمزاً للتّستّر والاختباء، وطلب الرّحمة من القدر المحتوم، فالدّمستق قد ارتدى ثوب الرّاهب ليتوارى في هذا الدّير عن الأنظار، ويحمل عكازه بعد أن أنهكه المرض والضّعف. إذ كان هذا دأب القادة البيزنطيين عندما يخسرون الحروب، فيقصدون الدّيار للسّلوى[2].

يقول المتنبّي في موضع آخر: [البسيط]

حَتّـى أَقـامَ عَلَـى أَربـاضِ خَرشَـنَةٍ تَشقَى بِـهِ الـرُّومُ والصُّلْبانُ والبِيَـعُ[3]

يتقدّم سيف الدّولة، حتى يصل لأرض خرشنة معقل العدوّ، مسبّباً الخوف لكل مَعلمٍ من معالم هذا المكان. فأخذ يغير على نواحيها ويكسّر الصّلبان فيها ويهدّم بيعها[4].

في موضع آخر، يقول: [الطّويل]

مُخَضَّـبَةً والقـومُ صَـرعَى كَأنَّهـا وإن لَـم يَكونـوا سـاجِدينَ، مسـاجِدُ[5]

ويظهر التّناصّ الدّينيّ مع القرآن الكريم، فيتحدّث الشّاعر عن حرب المسلمين مع الرّوم ، وتركهم المدن ملطّخة بدمائهم، وأهلها صرعى، ومثله قوله تعالى: ﴿**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**﴾[6]حينما سخّر الرّيح على قوم "عاد"[7]، فتلك

---

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 377/3.
[2] يُنظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،275.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 180/3.
[4] يُنظر: **نفسه**.
[5] **نفسه**:206/3.
[6] **الحاقّة**،7.
[7] يُنظر:الصّادق، مصباح،**التّناصّ في شعر أبي الطّيّب المتنبّي**، المجلة الليبيّة العالميّة- ليبيا، العدد6، 2016، 9.

البلاد تلطّخت بدماء الرّوم كأنّها مساجد وهم قتلى طريحون على الأرض، يبدون سجّداً وهم ليسوا كذلك[1].

فقد جاء حضور الأماكن الدّينيّة في شعر الصّراع بارزاً في شعر المتنبّي فقط، فأبرز المكان المقدّس في الإسلام ومدى تأثيره، بينما جاء ذكر الأماكن الدّينيّة المسيحيّة كأماكن تعاني الضّعف تارّة، والسّكينة تارة أخرى.

- **إبراز ملامح صورة المعتقل**

في ظلّ استمرار الحروب بين الرّوم والعبّاسيّين، وقع العديد من الأسرى في السّجون من كلا الطّرفين، ومنهم الشّعراء الّذين وصفوا حياتهم داخل المعتقل، أو عكسوا حياة الآخرين في ظلال تلك المعتقلات وقسوتها؛ ليبيّن شعرهم صراع تلك الفترة وما حصدته من قتلى وأسرى ومعتقلين، وليكون شعر تلك السّجون وثيقة لمعاناتهم ومشاعرهم المضّطربة في تلك الأماكن.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

فإنْ كانَ خوْفُ القَتلِ وَالأسرِ ساقَهُمْ فقَد فعَلوا مـا القَتْلُ وَالأسرُ فاعِلُ[2]

برز الأسر مكاناً موحشاً ينشر الخوف والفزع، فالشّاعر يرسم صورة متمثّلة في خوف الرّوم من الأسر والموت، الّذي جاءوا من أجله ، بعد أن صنعوا أموراً لا تقل ترويعاً عن الأسر والقتل.

وأمّا أبو فراس الحمدانيّ فيقول: [الوافر]

فــلا بالشّــامِ لــذَّ بِفِــيَّ شُــرْبٌ وَلا فــي الأسْــرِ رَقّ عَلــيّ قَلْــبُ[3]

[1] يُنظر:الحفيظ، علي، **معارك سيف الدّولة مع الرّوم في شعر المتنبّي**،ماجستير،جامعة أمّ درمان الإسلاميّة،السّودان، 2011، 42.
[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،395/3.
[3] **الدّيوان**: 49. ويُنظر أيضاً: 25.

والظّاهر من إفادات أبي فراس التّاريخيّة، أنّه يعكس أوضاعه في محبسه، ومعاناته في السّجن، وأظهر فيها مرحلة أعمق وأكثر دلالة، فهي تزخر بالعاطفة وتدلّ على توقّد ذهنه[1].

يقول أبو فراس: [الطّويل]

وَمَا الأَسْرُ مِمّا ضِقْتُ ذَرْعاً بحَملِهِ وما الخَطْبُ مِمَّا أنْ أقولَ لهُ :قَدِ [2]

يستخدم الشّاعر أسلوب الاستفهام للتّهكم بالأسر، والتّعالي على المصائب والأرزاء وعدم الرّغبة في توقّفها.

يقول أبو فراس : [الطّويل]

وَهل غضَّ مني الأسرُ إذْ خفّ ناصِري وَقَلَّ على تلكَ الأمورِ مُساعِدي
ألا لا يُسَـــرّ الشّـــامِتُونَ؛ فَإنّهَـــا مَـوَارِدُ آبَـائي الأُولَـى، وَمَـوَارِدِي [3]

ويبرز الشّاعر تحدّيه للأسر، رغم ابتعاد أنصاره عنه، فهو رغم شماته الحسّاد وكيدهم، يشعر بالفخر والعزّة لوجوده في الأسر، في مفارقة واضحة لإبراز الأسر كمكان يبعث الكرامة.

يقول أبو فراس: [الطّويل]

وَمـا الأَسـرُ غُـرْمٌ والـبَلاءُ مُحَمَّـدٌ وَلا النَّصـرُ غُـنمٌ وَالهَـلاكُ مُـذَمَّمُ![4]

ويستمر الشّاعر في التّكبّر على الأسر وبلاه، فهو يتحدّى ظروفه بشجاعة، ولايهاب الموت، ويعّد قدر الله في أسره قدراً محموداً.

---

[1] يُنظر: شهاب، فيصل، **أبو فراس الحمدانيّ – دراسة في نطاقه وأغراضه، وتقنياته الشّعريّة**، ماجستير، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 2005، 329.
[2] **الدّيوان**: 96
[3] **الدّيوان** :100.
[4] **نفسه** :297.

يقول أبو فراس: [المنسرح]

يـــامَن رَأى لـــي بِحِصـــنِ خِرْشَـــنَةٍ أُسْـــدَ شَـــرًى فـــي القُيـــودِ أَرْجُلُهـــا[1]

فقد نُقل الشّاعر إلى حصن خرشنة، وأسر فيه قرابة عامين، فكان بائساً حزيناً، ففي أسره شكا من الحسّاد وتذكّر ماضيه الحربيّ وبني حمدان[2]، فالحوار الّذي دار كان بعيداً مع المجهول، فوظّف أداة النّداء للاستغاثة الممزوجة باليأس والحسرة، من وجهة نظره ليس منطقيّاً أن يكبّل الفرسان العظام، ليبرز هوّة مكانيّة عميقة بينه وبين أمّه في ذلك الحبس[3].

ويتحدّث الشّاعر عن ضيق الأسر وسوء الأوضاع في داخله، وكيف أُلبس ثياباً خشنة، فقال أبو فراس الحَمدانيّ: [المنسرح]

ياواسِـــعَ الـــدّارِ؛ كَيـــفَ تُوسِـــعُها؟ وَنَحـــنُ فـــي صَـــخرَةٍ نُزَلزِلُهـــا!
يانـــاعِمَ الثَّـــوبِ! كَيـــفَ تُبْدِلُـــهُ؟ ثِيابُنـــا الصُّـــوفُ مانُبَـــدِّلُها[4]

ويظهر الشّاعر هنا أسيرٌ لدى الأعداء، ينتظر افتداءه البطيء، لكنّ سيف الدّولة منشغل عنه، والشّاعر لا يعترف بهذا الانشغال، فهو مقيّد يلبس ثياباً خشنة، ويعامل معاملة العبيد في ذلك الأسر، فيظهر الشّاعر معذّباً لأنّ سيف الدّولة تناساه[5].

يقول أبو فراس: [الطّويل]

وَللهِ عِنـــدي فـــي الإِســـارِ وَغَيـــرِه مَواهِبُ لَم يُخصَص بِها أَحَدٌ قَبلِي!
حَلَلتُ عُقوداً أَعجَزَ النّاسَ حَلُّها وَمـــا زَال عَقـــدِي لايُـــذَمُّ ولا حَلّـــي
إِذا عـــايَنَتني الـــرُّوم كَفَّـــرَ صِـــيدُها كَـــأَنَّهُمُ أَســـرى لَـــدَيّ وفـــي كَبلـــي

---

[1] **الدّيوان : 263.**
[2] يُنظر: عبد الرّحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم -في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،281.
[3] يُنظر:يونس ، ساهرة،**الحوار في شعر أبي فراس الحمدانيّ-دراسة تحليليّة**، مجلة أبحاث كليّة التربيّة الأساسيّة-الموصل، المجلّد 3 العدد3 ، 2006م. 236.
[4] **الدّيوان**: 265.
[5] يُنظر**:** النّضال، فارس، **أبو فراس الحمدانيّ- فارس النّضال، 63.**

وَأُوسِــع، أيامــاً حَلَلــت، كَرامــةً، كَـأَنّيَ مِـن أَهلـي نُقِلـتُ إلـى أَهلـي[1]

ويتحدّث الشّاعر عن أسره، ليصوّر خضوع أبطال الرّوم له، فيصفهم بالأسرى لديه، وبالأهل الّذين خلّفهم وراءه، ليصوّر العلاقة بين السّجين والسّجان، فهو في بعض قصائده يصفهم بالأعداء الّذين أساؤوا معاملته ، وفي أبيات أخرى يظهر حسن معاملتهم وسيطرته عليهم.

ظهر الأسر في شعر أبي فراس الحمدانيّ، بصور جليّة. فشعر أبي فراس الحمدانيّ قد رقّ في الأسر، وظهرت فيه ملامح الأسر والحزن والعذاب[2]، ففي شعر الصّراع ثلاثة مناح: فإمّا أن يصف أسرى الرّوم، أو يتكلّم عن الأسرى العرب، أو يعبّر الشّاعر عن انفعالاته إذا ما وقع في الأسر[3].

وبذلك يمكن القول : إنّ المدن والقرى ظهرت في شعر أبي تمّام والمتنبّي وأبي فراس الحمدانيّ. وأظهر الشّعراء جميعاً ولاءهم وانتماءهم لدولتهم ودينهم وقضيّتهم، ليكون المكان حاضناً وحاوياً لهم، فقد عبروا إلى الماضي؛ ليقدّموا صوراً دقيقة للأحداث، إذ عبّر كل شاعر منهم عمّا يعتريه من انفعالات، وأبرز تأثير الأحداث من حوله.

فشعر المتنبّي امتاز بالدّقة في تصوير المعارك، مروراً بمناطق الصّدام، ليطوّع كل شيء حوله لخدمة القائد وجيشه العظيم، مستعرضاً الأحداث بدقّة متناهية، مظهراً عنصري الحركة واللّون لإضفاء صورة واقعيّة ومحسوسة للمكان وفضائه، فالمتنبّي لعب دور القاص في وصف المعارك مبيّناً بدقة سير الجيوش في مواقع القتال، فقدّم لوحة متكاملة العناصر، إذ حام في فضاء المكان بصورة فذّة مازجاً عناصر الحركة فيه.

واستحضار أبي تمّام للمدن جاء معبّراً عن علاقته الروحيّة والتّاريخية بها، فظهرت ثقافته الدّينيّة جليّة في قصائده، وأبرز قدرة الذّات الإلهيّة في نصرة دين الحق، وإعلاء راية الإسلام فوق الأراضي الّتي تمّ السّيطرة عليها، ليبيّن ضعف العدوّ وصغر حجمه أمام قوة الجيش الإسلامي وعظمته.

---

[1] **الدّيوان**: 283.
[2] يُنظر: النّضال، فارس، **أبو فراس الحمدانيّ- فارس النّضال**، 63.
[3] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،269.

وقام أبو فراس باستحضار للمكان الّذي حوى الحدث، وربط المكان بالأنا الشّاعرة، ليقّدم فضاءً نفسياً له، فقدّم في شعره تعداداً للأماكن، مستخدماً لغة سلسلة تتناسب مع شعر الحرب، في أسلوب متين.

وتلاحظ الأماكن الأخرى الّتي ظهرت في شعر الصّراع لتتمثّل في الهيمنة على أراضي الأعداء، لأسباب عدّه، فبرزت أسماء تلك المدن وما شهدت من معارك ضارية، امتدّت في مدن عدّة منها، كان الشّعر سجلّاً حيّاً لها.

ففضاء المكان أظهر صراعات شتّى ، وذُكرت الأماكن الرّومية الّتي غزاها المسلمون، فتجلت الصّورة الواقعيّة لتكون مرآة لصفحات تاريخ شهد انتصارات العرب وبطولاتهم، فالشّعراء لجؤوا لتحديد الأماكن الّتي دار فيها الصّراع بدقة مما أعطى الأحداث بعداً وثائقياً، أحاط النّص الشّعري بهالة من الواقعيّة لأحداث جرت في ذلك الزّمان، فيتجلى البعد الدّينيّ في أبيات أبي تمّام والمتنبّي، وجاء شعر أبي فراس الحمدانيّ معبّراً عن تسلسل الأحداث ومبرزاً دقّته في وصف المعارك، وجاءت الصّورة اللّونيّة في شعر المتنبي معبّرة عن مجريات الأحداث على أرض الواقع، ليستلهم الشّاعر من عناصر المكان كالخيول والطّبيعة صوراً حيّة، جاءت شاهداً حقيقياً لما دار في تلك المعارك.

وللطّبيعة نصيب من الأحداث الّتي مرت بها الدّولة العباسيّة، فتلك الأماكن كانت في زمن مضى زاخرة بالحروب والنّزاعات الّتي خاضتها الدّولة العبّاسيّة ، فأظهر كل شاعر تلك الأماكن الطّبيعيّة وما جرى فيها بأسلوبه، ليقدّم صوراً دقيقة لمظاهر الطّبيعة بجبالها ووديانها وأنهارها.

واستطاع الشّعراء من خلال أشعارهم وصف الجبال بمظاهر عدّة، وإضفاء الحياة على المكان، لتتّحد الطّبيعة الجبليّة مع الإنسان وتنصره، فتلك الجبال ودروبها شاهدة على معارك ضارية، حوت الجيوش وعديدهم، فهي تارة حصن وتارة مكان للموت، ورمز للعلوّ والارتفاع، وجاءت الصّور اللّونيّة بديعة في استحضارها للجبال وطبيعتها، لتضفي على المكان بعداً يصوّر أحداثاً جرت في ذلك الزّمان.

وقدّم الشّعراء صوراً عديدة لها، فالمتنبّي صوّر الجبل ساحة للقتال، طوّعها لخدمة الجيش العبّاسيّ، لتكون في صور مقابلة ملجأً أربك صفوف الجيش الرّوميّ، وليظهر الجيش الرّوميّ في صورة الجبل العظيم الّذي قهرته جيوش المسلمين، وجاء في شعر أبي فراس رمزاً للعلوّ، فوصف وعورتها، وعبور الجيشين عبر دروبها.

وتنوعت صورة الأرض لدى الشّعراء في شعر الصّراع، فالأرض عند أبي تمام تموج تارة بالحركة والحياة وترمز للأمان، فأكسبها القوّة والقسوة، وتارة أخرى هي رمز للخزي والعار لعدوّ المسلمين. وقدّمها المتنبّي أحياناً ذليلة، وأحياناً كمخبأ ومكان حاوٍ، ورمزاً للامتداد والاتساع، وشخّص الأرض في أبيات أخرى. وجاءت في شعر أبي فراس الحمدانيّ بصور عدّة فهي المبتغى والهدف، وهي المكان المنيع، وفضاء المسلمين الحامي. ورغم تنوّع الصّور لديهم ، إلّا أنّ تصويرهم لها جاء ليبيّن رؤيتهم للأحداث ومجرياتها وعكس رؤيتهم لتلك المعارك، فطوّعوا الأرض لترمز لقوة المسلمين وضعف الأعداء .

والملاحظ حضور البيئة المائيّة في شعر أبي تمّام، وخاصة ذكره للخليج " خليج القسطنطينيّة"، وجاء شعر المتنبّي زاخراً بأسماء الأنهر كجيحان وصنجة، وأرسناس، والفرات وغيرها، فصوّر الجيش الإسلاميّ قاهراً للطّبيعة، وجاء ذكر الحصون في شعرهم، ليمثّل مكان الحماية والترقّب والانطلاق، ولتكون القلاع فيها شاهدة على وقائع جرت في ذلك العصر، أمّا الأسر فقد برز في شعر أبي فراس والمتنبّي فقط، فقدّم صوراً حيّة طغت عليها مشاعر الحزن والغربة والاغتراب، والافتخار.

الفصل الثّاني

تأثير الزّمان على أحداث الصّراع

- **الفترات الزّمانيّة لشعر الصّراع**
  - **الزّمن الكلّيّ**
  - **الزّمن الجزئيّ**

الفترات الزّمانيّة في شعر الصّراع

للزّمان أثرٌ وحضورٌ في النّصوص الشّعرية والسّرديّة على حدٍ سواء، فالشّعراء وظّفوا الزّمن لإبراز الأحداث التّاريخيّة والاجتماعيّة والسّياسيّة الّتي ملأت عصرهم، ليكون شاهداً على مجريات حياتهم، وماضي حروبهم وصراعاتهم مع أعدائهم، ولأنّ للزّمن تأثيره المباشر على الإنسان في مختلف العصور والأزمنة؛ صوّر الشّعراء من خلال مفرداته دواخلهم وما يجول في خواطرهم، ورؤيتهم الّتي شكّلها كلّ شاعرٍ وفقاً لمفهومه للأحداث وتأثيراتها.

والزّمن من العوامل الفاعلة في الحياة؛ نظراً لقدرته على تغيير البيئة، وجعلها غير مستقرّة، فحركته تحرّك الحياة وتضفي عليها صفة الاستمراريّة، فكلّ حركة تُحدث معها تغييراً، ومن هنا برزت صلة الإنسان الأزليّة بالزّمن، فهو عمره، وماضيه، ومستقبله، فحضوره لا يكون في الذّهن فقط بل من خلال آثاره وجريانه، فالزّمن ينقل الإنسان من مرحلة إلى أخرى، لتتبدّل أحواله وأوضاعه[1].

والإنسان كائن متزمّن أي: يعيش ضمن الزّمان، سواء في إطاره الفرديّ أو الجماعيّ، فكل حركة يؤدّيها تعدّ فعلاً متزمّناً يرتبط بزمن محدّد، وعلاقة الزّمن بالإنسان هي علاقة تبدأ منذ الولادة، وهي نقطة التقائه بالزّمن، ليأتي الموت نهاية لها، وآخر محطة يلتقيان فيها، ويتشكّل بينهما عمر الإنسان لينهي الموت تلك الرّحلة، مع بقاء الزّمن مستمرّاً وحاضراً[2]، والشّعر يملك مقدرة في السّيطرة على الزّمن، فإمّا أن يجعله بطيئاً، أوسريعاً، اعتماداً على الغرض الفنيّ، بغية الإمتاع، وإبراز الشّعور بالمأساة، كما في وصف الأطلال، والرّثاء، أو أن يمنح الشّعور بالرّوعة والسّمو، كوصف الآثار والمعارك[3].

وقُسّمت الأشكال الزّمنيّة للصّراع إلى: الزّمن الكلّيّ كألفاظ الدّهر والزّمن، وزمنٍ جزئيّ شمل ألفاظاً كاللّيل والنّهار، والسّنين، والسّاعة وغيرها، فقدّم كل شاعر تلك الفترات الزّمنيّة وفق موقفه وتجاربه

[1] يُنظر: صدّام وجدان، **مستويات بناء الزّمن في شعر بشّار بن برد**، مجلة دراسات البصرة-البصرة، العدد 2014،17،264.
[2] يُنظر: خليل، لؤي،**الدّهر في الشّعر الأندلسيّ- دراسة في حركة المعنى**،67-68.
[3] يُنظر: اليافي، عبد الكريم، **دراسات فنّية في الأدب العربيّ**، 158.

الشّخصيّة والظّروف الّتي أحاطته، ليطرح الزّمن في مخيلتهم تساؤلات لواقعهم وتجاربهم وما عاصروه من صراع.

أوّلاً: الزّمن الكُلّيّ

"هو الزّمن الّذي يحمل في دلالات ألفاظه حمولات زمنيّة قد تكون مبهمة غير محدودة، وقد تكون محدودة لكنّها تحمل معنى الكلّيّة، وهذه المضامين غير محدودة كالزّمان، والدّهر، والأبد، والأزل ، والسّرمد، والعهد والحِقبة والعصر والعمر."[1]

الزّمان

ظهر الزّمان في شعر الصّراع ، ليكون شاهداً على أحداث دارت في رحاها تلك الحروب، ومن هؤلاء الشّعراء أبو تمّام، فالقارىء يستقرىء من خلال شعره صوراً شتى للزّمن وتقلباته، ليكون نصيراً لرسالة الدّين وحاملها، وخير معين لها.

يقول أبو تمّام: [الكامل]

يومٌ أضاءَ بـه الزَّمـانُ وَفَتَّحَتْ فيــه الأَسِّـنَةُ زَهْـرَةَ الآمــالِ[2]

استخدم الشّاعر الصّورة الضوئيّة في إبراز عظم النّصر على المسلمين في ذلك الزّمان، فبالسّلاح وعزم الأبطال على النّصر، تحققت آمال الجيش وتطلعاته وبلغ غايته.

يقول أبو تمّام: [الكامل]

يـومٌ وَسَـمْتَ بـهِ الزَّمـانَ ووَقعـةٌ بَـرَدتْ علــى الإســلامِ وهــيَ سَــمومُ[3]

[1] مطري، نجلاء، **الزّمن في الشّعر النسويّ السّعوديّ المعاصر-دراسة في الدّلالة والبناء**،ماجستير، جامعة أم القرى، السّعوديّة،24،2007.
[2] **الدّيوان**: 139/3.
[3] **نفسه**: 290/3.

قد ميّز القائد هذا الزّمان ووسمه بالخير، بوقعة انتصر فيها المسلمون على الفرس، فتلك الوقعة مرت بسلام وطمأنينة، ملأت قلوب المسلمين بهذا النّصر، رغم صعوبتها الّتي وصفها الشّاعر بالرّيح الحارّة.

يقول المتنبي : [الكامل]

دُونَ الحَـــلاوَةِ فـــي الزّمـــانِ مَـــرارةٌ لا تُحْتَظَـــى إلّا علـــى أهوالِـــهِ[1]
فَلِـــذاكَ جاوَزَهـــا عَلـــيٌّ وَحْـــدَهُ وَسَـــعَى بمُنْصُـــلِهِ إلـــى آمَالِـــهِ

قدّم الشاّعر في هذين البيتين حكمة تتلخّص في أهمّية خوض الحرب والقتال ومجابهة العدوّ، فتلك الأمور العظيمة لا تُنال إلّا بالقوّة والصّبر، ومجابهة المصاعب وتخطّيها، فإذا أراد الإنسان تجرّع حلاوة الزّمن عليه أن يذوق مرارته أوّلاً، فالقائد سيف الدّولة قادر على مجابهة الزّمن وتقلّباته بسيفه وعزيمته الجبّارة. واستمدّ المتنبّي أخيلته حول الزّمن كأسطورة ورمز للقوّة والهيمنة، لأنّه يسعى لرسم أبعاد هذه القوّة وتمثيلها في الممدوح، فهو سلطان لا يضاهيه بهذا المعنى إلاّ الزّمان[2].

يقول المتنبّي: [الخفيف]

فَـــإذا صَـــحَّ فالزّمـــانُ صَـــحيحٌ وَإذا اعْتَـــلّ فالزّمـــانُ عَليـــلُ[3]

واستطاع الشّاعر أن يطوّع الزّمن ليخدم ممدوحه، فالعلاقة بينهما طرديّة في مضمونها، ليكون تأثير الممدوح على الزّمن إيجابياً وفقاً لسلامته وعافيته، ويكون سلبيّاً إذا ما أصابه عارض، ولتكون المقابلة بين شطريّ البيتين واضحة، فالزّمن بمعناه السّياسي هو العصر وما تخلّله من أحداث وأحوال

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،113/3.
[2] يُنظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطيّب المتنبّي**،124.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،587/3.

اجتماعيّة، تعلّقت بالممدوح وتأثيراتها عليه، فظهر بُعد فكريّ في علاقة مترابطة جمعت الزّمن بسيف الدّولة[1].

وأبرزت حركة الأفعال بأنواعها، دلالات الزّمن في اللّغة الشّعرية للمتنبّي، فجسّدت تلك الأفعال البعد الزمنيّ أو الفكرة الّتي أراد الشّاعر إيصالها، وجاء أثرها تدريجياً في نمو مكوّنات التّجربة، ودلّ الاستقراء على أنّ الفعل الماضي يستوعب معنى الحاضر ويبرز عمق الشّكوى لدى الشّاعر، فظلّ مستنداً إلى فاعله الحقيقي وهو الزّمن[2].

أمّا الزّمان في شعر أبي فراس الحمدانيّ، فقد اتخذ صوراً شتّى، فيقول: [المتقارب]

أُثْنْكِـــرُ أنّـــي شَـــكَوْتُ الزّمـــانَ وأنّـــي عَتَبْتُـــكَ فـــيمَن عَتَـــبْ
فَهَـــــلّا رَجَعْـــــتَ فَـــــاَعتَبتَني وَصَـــيَّرْت لِـــي ولِقـــومي الغَلَـــبْ[3]

يخاطب الشّاعر سيف الدّولة من داخل أَسرِه، ويشكو ظلم الزّمن وقسوته، معاتباً قائده على بقائه في الأسر.

يقول: [الوافر]

زمـــاني كلّـــهُ غضـــبٌ وعَتْـــبُ وأَنْـــتَ عَلَـــيَّ والأيـــامُ إلْـــبُ[4]

وجاء الزّمان في البيت ممتلئاً بالغضب والعتاب، ليطوّع الشّاعر الزّمن في بعد سلبي يتناسب مع نفسيّته الحزينة وعتابه لسيف الدّولة، فيعلن الشّاعر اجتماع غضب الزّمان والأيام مع المصائب والأهوال لتعلن الغضب منه.

يقول أبو فراس: [مجزوء الكامل]

مَـــن ضَّـــرَّهُ كَيـــدُ الزّمَـــانِ فَإنَّـــهُ لِـــي غَيـــرُ ضَـــائِرْ[5]

[1] يُنظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطّيب المتنبّي**، 127.
[2] يُنظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطّيب المتنبّي**، 104.
[3] **الدّيوان**: 25. ويُنظر أيضاً: 45.
[4] **نفسه**: 48. ويُنظر أيضاً : 52.
[5] **نفسه**: 114

وأنسن الشّاعر الزّمن في صورة سلبيّة ليصوّره إنساناً يضمر الكيد والخبث، وصوّر قوّة نفسه مقابل الزّمن وتقلباته، ليبرز لديه حب الذّات والثّقة بالنّفس.

يقول أبو فراس: [مجزوء الكامل]

نَصَـــرَ الزَّمـــانُ نَـــدَى فَتًّـــى مَـــا زَالَ لِلمَظلـــومِ نَاصِـــرْ [1]

وفي صورة أخرى من القصيدة نفسها، أنسن الشّاعر الزّمن فمنحه صفة إيجابيّة؛ ليخدم نظرته للممدوح والقائد، الّذي كان ومازال نصير المظلومين.

يقول أيضاً: [الكامل]

وَلَقَـد رَضَـعْتُ مِـن الزّمـانِ لِبانَـهُ وَعَرَفـتُ كُـلَّ مُعَـوَّجٍ وَمُقَـوَّمِ [2]

وهنا أنسن الشّاعر الزّمن، ليجعل منه رمزاً لامرأة منحت ما عندها، لتحمل دلالة الزّمن الثّقةَ والأمومة والحنان، وليقدّم أبو فراس الحمدانيّ صورة لنفسه تملؤها القوّة والثّقة بالنّفس.

يقول: [الكامل]

وَلِقـومِيَ الشّـرَفُ المَنيـعُ مَحَلُّـهُ فَـوقَ المَجَـرَّةِ والسِّـماكِ[3] **المِـرْزَمِ**[4]
وَرِثـوا الرِئاسَـةَ كـابِراً عَـن كـابِرٍ مِـن عَهـدِ "عادٍ" فـي الزّمـانِ وَجُرْهُمِ[5]

وينتقل أبو فراس في القصيدة نفسها ليقدّم الزّمان في تناصّ تاريخيّ مع قبيلتي "عاد وجرهم" ليدلّل على قِدم القوم وشرف أصالتهم وعظم نسبهم.

---

[1] **الدّيوان**: 114 ويُنظر أيضاً: 197و 253.
[2] **نفسه**: 313.
[3] **السّماك**: نجم معروف وهما سماكان، رامح وأعزل، والرّامح لا نوء له وهو إلى جهة الشّمال، والأعزل من كواكب الأنواء وهوإلى جهة الجنوب، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "سمك".
[4] **المرزم**: المرزمان وهما نجمان أحدهما في الشّعرى والآخر في الذّراع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "رزم".
[5] **الدّيوان**:314.

وبذلك فقد ورد لفظ الزّمن في شعر أبي تمّام بصورة إيجابيّة تبعث على الفرح والأمل، واستحضر المتنبّي لفظ الزّمن في شعر الصّراع؛ ليبيّن قوّة الممدوح وجبروته الّذي فاق الزّمن وتغلّب عليه، لتتراجع قوّة الزّمن أمام الممدوح تراجعاً ملحوظاً وبارزاً ، فجعل الزّمن تحت إمرته وطاعته، ورغب أبو فراس الحمدانيّ في أخذ القوّة والسّيطرة من الزّمن لإيمانه بعظمته، فأعلى من شأن الأنا الشّاعرة لديه من خلال الزّمن.

الدّهر

إنّ الدّهر هو "الأمد الممدود، وقيل : الدّهر ألف سنّة "، ويُقال: بأنّ العرب وضعوا الدّهر مكان الله لاشتهاره عندهم[1]، ومنه الآية: ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [2]، و"الدّال والهاء، والرّاء أصلٌ واحدٌ، وهو الغلبة والقهر، وسمّي الدّهر دهراً لأنّه يأتي على كلّ شيءٍ ويغلبه [3].

وظنّ الجاهليّون بأنّ متغيّرات حياتهم هي نتيجة ردود أفعال لقوى مؤثّرة على تفاصيلها، فنسبوا للدّهر تلك القوى، ومع انتشار الدّين الإسلاميّ تغيّرت المفاهيم، لتشعّ توازناً بين الإنسان وربّه، فلم يعد الدّهر ذلك المارد المخيف الأسطوريّ[4]، ويظهر الفرق بين الرؤيتين الجاهليّة والإسلاميّة للدّهر والزّمان، إذ حلّ الله الخالق مكان الدّهر لدى المسلمين[5].

صوّر الشّعراء في شعرهم البطل العربيّ متفوّقاً على الدّهر، متغلّباً عليه، فبالعزيمة والإرادة استطاع تجاوز المصائب والمخاطر، وتحدّى الدّهر وأهواله، وبعض الشّعراء رفعوا مكانة البطل ليتمكّن من السّيطرة على الدّهر والزّمان، وذلك كلّه يمكن أن يترك أثراً نفسيّاً وانطباعاً تصويريّاً في قلوب النّاس[6].

---

[1] الآلوسي، حسام، **الزّمان في الفكر الدّينيّ والفلسفيّ القديم**،13.
[2] **الجاثية**: 24.
[3] ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللّغة**،305/2.
[4] يُنظر: خليل، لؤي،**الدّهر في الشّعر الأندلسيّ- دراسة في حركة المعنى**،16-17.
[5] يُنظر: الرّحموني، محمد، **مفهوم الدّهر – في العلاقة بين المكان والزّمان في الفضاء العربيّ القديم**،10.
[6] يُنظر: نيبونج أو ، كيم ، **الصّورة الشّعريّة في شعر الحروب الخارجيّة عند العرب المشارقة-من عصر الإسلام إلى نهاية القرن الرّابع للهجرة**، دكتوراة،الجامعة الأردنيّة، الأردن، 1996،121.

ولقوة الدّهر حضورها في تاريخ البشريّة، فعند التمعّن في هذه العلاقة تظهر الأطر العامّة لعلاقة الإنسان بالدّهر كقوّة مهيمنة، ليلمح القارىء بأن علاقة كهذه فرضت حضورها القويّ في نتاج الشّعراء الأدبيّ والشّعريّ[1].

وقد نال الدّهر في الشّعر العباسيّ الحظ الأوفر في تشخيصه، من دون سواه من المعنويات الأخرى، فأكثر الشّعراء ظهرت لديهم تلك الظّاهرة، وأخذوا يعاملونه ككائن حيّ، من خلال تشخيصه، وشخّصوا كذلك كلمات مرادفة للدّهر كالزّمن والأيّام والحياة[2].

وللدّهر معنًى خاص في الشّعر، فالعرب اعتادوا أن يربطوه بالفاعليّة والتغيير، ليدّل على معناه الشّعري، وعنوا به أيضاً القوّة الفاعلة سواء أكانت سلباً أم إيجاباً[3]، "ولقد جعل العباسيّون الدّهر يمارس الأفعال الإنسانيّة، من خلال تشخيصهم له، فهو يأكل ويشرب وينظر، ويبغض، ويتصرّف تصرّفات عجيبة، ويصرع الآجال ويهدم القوّة"[4].

وقد قدّم الشّعراء – في شعر الصّراع – في العصر العباسيّ الدّهر بصور شتّى؛ ليبرزوا حضوره وتأثيره في معاركم وصراعهم مع عدوّهم، ومن هؤلاء الشّعراء أبو تمّام الّذي أبرز الدّهر في هذا البيت عند وصول القائد وجيشه للمكان.

يقول: [البسيط]

تَصَـرَّحَ[5] الـدَّهرُ تَصـريحَ الغَمـامِ لهـا عَـنْ يَـوْمِ هَيْجـاءَ مِنْهـا طـاهرٍ جُنُـبِ[6]

وجاء الدّهر ليطهّر عموريّة، من الرّوم أعداء المسلمين، فالتّطهير يتم بماء مقدّس، لكنّ الشّاعر جعل النّار تطهّر المكان، فأبرز تضاد الماء والنّار في التّطهير[7]، واختياره لبحر البسيط جاء ليستوعب

[1] يُنظر: خليل، لؤي،**الدّهر في الشّعر الأندلسيّ-دراسة في حركة المعنى**،23.
[2] يُنظر: الشّمري، ثائر، **التّشخيص في الشّعر العباسيّ**،202.
[3] يُنظر: خليل، لؤي، **الدّهر في الشّعر الأندلسيّ - دراسة في حركة المعنى** ،79.
[4] يُنظر: الشّمري، ثائر، **التّشخيص في الشّعر العباسيّ**،204.
[5] **تصرّح**: صرح الشيء وصرّحه وأصرحه إذا بيّنه وأظهره، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "صرح".
[6] **الدّيوان**: 55/1.
[7] **يُنظر**:كلش، أحلام، **الانزياحات الشّعريّة عند أبي تمّام**، ماجستير،جامعة اليرموك، الأردن، 2013-2014،147-148.

الانفعالات، وقد تداخل حرف الرّوي، الّذي أبرز فيه الباء المكسورة، لتلتقي مع البحر في العنف نفسه، الّذي يتلاءم مع طبيعة الصّراعات الحربيّة[1]، فالشّاعر أنسن الدّهر في قوله :" تصّرح الدّهر" أي انكشف ليقدّم صورة متقابلة لانكشاف الدّهر والغمام في السّماء، وليمنح الدّهر صفة إنسانيّة، تمتاز بالجمال، فبعد انزياح الغيوم تظهر السّماء الزّرقاء، وكذلك الدّهر ينكشف عن يوم نصر.

يقول أبو تمّام: [البسيط]

إن كان بينَ صُرُوفِ الدَّهرِ من رَحِمٍ موصولةٍ أوْ ذِمَامٍ غيرِ مُنقَضِبِ[2]
فَبَيْنَ أيامِكِ اللّاتي نُصِرتَ بِها وَبينَ أَيَّامِ بَدْر أَقرَبُ النَّسَبِ[3]

يظهر الشّاعر هنا الزّمن المقدّس، ويوظّف في هذا البيت التّناصّ التاريخيّ ليذكّر القارىء بأيام انتصار المسلمين في دهر مضى في غزوة بدر بقيادة الرّسول محمد – صلّى الله عليه وسلّم– ونصرهم على المشركين، وبين معركة فتح عمّوريّة الّتي انتصر فيها الخليفة على الرّوم، فالأحداث موصولة ببعضها، ولا انقطاع بينها.

وفي حدث آخر توجّه الجيش بخيوله إلى أبرشتويم، يقول أبو تمّام: [البسيط]

أَزَرْتَ أبْرَشْتَويماً والقَنَا قِصَدٌ غَيابَةَ المَوتِ والمُقَوَّرَةَ[4] الشُّسُفَا[5]
لَمَّا رَأَوكَ وإيَّاهُا مُلَملَمَةً يَظَلُّ مِنها جَبينُ الدّهرِ مُنكسِفا[6]

قدّم الشّاعر هنا لوحة للجبل الّذي امتلأت أرضه بالسّيوف، والخيول، في صورة مهيبة لذلك الجيش الجبّار بعدّته وعديده، ليجعل الدّهر إنساناً أحنى جبينه منكسفاً من ذلك المشهد.

---

[1] يُنظر:التّطاوي، عبد الله، **أشكال الصّراع في القصيدة العربيّة**،77/5.
[2] **منقضب**: القضب هو القطع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادّة "قضب".
[3] **الدّيوان**:1/ 73. يُنظر أيضاً: 162/1،و 175/1، 193/1.
[4] **المقوّرة:** الآمر من الخيل، ابن منظور **لسان العرب**، مادة" قور".
[5] **الشّسفا**: القاحل الضّامر، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" شسف".
[6] **الدّيوان**: 371/2.

يقول أبو تمّام: [الكامل]

أُبْنــا بكــلِّ خَريــدة[1]ٍ قــد أُنجِــزَتْ فيهــا عِــداتُ الــدَّهرِ بعــدَ مِطــالِ
خاضَت مَحاسِنَها مَخاوِفُ غادَرَتْ مــاءَ الصّــبَا والحُســنِ غَيْــرَ زُلالِ [2]

يصّور في قوله رجوع الجيش بالجواري الحسان بعد أن " أنجز فيها الدّهر عدّته بعد أن مطلنا بها" فتلك الحسان قد تغيّرت وجوههنّ من الخوف[3]، ليُؤنسن الدّهر في استخدامه للفعل " أنجزت" فجاء الدّهر ليطاوع رغبة الجيش في الحصول على تلك الجواري بعد طول انتظار، كأنّ الدّهر يقاتل الرّوم في مصاف المسلمين.

أمّا المتنبّي فقد عرض الدّهر بصورٍ شتى، فيقول: [الطّويل]

سَلَكْتُ صُروفَ الدَهرِ حَتّى لَـقَيتُهُ عَلــى ظَهــرِ عَــزْمٍ مُؤَيَــداتٍ قَوائِمُــهْ
وَيَسْـتَكبِرونَ الـدَهرَ وَالـدَهرُ دونَـهُ وَيَستَعظِمونَ المَوتَ وَالمَوتُ خادِمُـه[4]

صوّر الشّاعر الدّهر في هذا البيت ببعد سلبيّ تملؤه المصائب والنّوائب، لتكون قوّة الممدوح فوق هذا الدّهر رغم عظمته وجبروته، وليُظهر الشّاعر ضعف الدّهر أمام ممدوحه، وكأنّه يسخر من الدّهر وجبروته، فرغم عظمته وقوّته لم ينل من عزم البطل.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

تَعَـرَّضَ سَـيفُ الدّولَـةِ الـدّهرَ كُلَّـهُ يُطَبِّــقُ فــي أوْصــالِهِ ويُصَــمِّمُ[5]

---

[1] **خريدة**: الخريدة من النّساء هي البكر الّتي لم تمسس قط، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "خرد".
[2] **الدّيوان**: 142/3. وانظر أيضاً: 84/3. انظر أيضاً: 267/3.
[3] الشّنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**، 305/1.
[4] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،3/25-27.
[5] **نفسه**،150/3.

ويصف المتنبّي الدّهر في البيت مذلولاً، ليقدّمه إنساناً تعرضت أوصاله للقطع، فقوة سيف الدّولة قادرة على إيذاء الدّهر وتحطيمه مهما بلغت قوّته وجبروته، فهو قادر على أن يخضعه لقوّته.

ويبرز المتنبّي في شعره المكرّس للدّهر ظاهرة اقتران قوّة الدّهر وصفاته بالممدوح، على سبيل الوصف والتّشبيه، لما يحمله الدّهر من معاني السّلطان، وإظهار مكانة الممدوح وتمجيد أعماله وبطولاته[1]، إذ تحدّى الشّاعر الزّمن وأظهر قوّة سيف الدّولة أمام الرّوم والدّهر، فظهر في كثير من قصائده، فقد يكون صدى لفكرة الإماميّة عند الشّيعة الإسماعيليّة حيث الإمام فوق الزّمن، وربما تكون انعكاساً لنزعة التشاؤم، من كون الزّمن عدوّاً للعرب، فجعلهم في صراع معه، متّحدين له، كاتّحادهم ضدّ الرّوم في حربهم[2].

يقول المتنبّي: [البسيط]

وَمَا نَجَا مِنْ شِفارِ البِيضِ مُنفَلِتٌ نَجَــا ومِــنْهُنّ فــي أحْشَــائِهِ فَــزَعُ
يُبَاشِـرُ الأمـنَ دَهـراً وهـو مُخْتَبَـلٌ وَيَشْـرَبُ الخَمـرَ حَـولاً وهـوَ مُمْتَقَـعُ[3]

ويصوّر أبو الطّيب في قوله حال ملك الرّوم، بعد نجاته من السّيوف، لكن بالرّغم من ذلك بقي الخوف في داخله لما سيؤول إليه حاله في تلك المعركة، فهو يطلب الأمن دهراً، ويشرب الخمر حولاً كاملاً بعد أن اختلف لونه وفسد عقله من الشّراب، لينسى وجعه وهزيمته، لكن هل يا تُرى سيقدّم هذا الدّهر العون له؟

ويقول في موضع آخر: [البسيط]

الـدّهرُ معتـذِرٌ والسّـيفُ مُنتَظِـرٌ وَأرضُــهُم لَــكَ مُصْــطافٌ ومُرْتَبَــعُ[4]

---

[1] يُنظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطّيّب المتنبّي**، 69.
[2] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الروم -في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،،331-333.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،185/3.
ممتقع: ممتقع لونه إذا تغيّر من حزن إلى فزع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "مقع".
[4] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،191/3.
مرتبع: الموضع الّذي يُنزل فيه أيام الرّبيع، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "ربع".

والشّاعر في هذا البيت يشخّص الدّهر، ويصوّره بشكلٍ حسيّ، معتذراً ذليلاً للممدوح، فالشّاعر صيّر الدّهر ليكون طائعاً لمآربه، حتى السّيف يصوّره إنساناً ينتظر حضور سيف الدّولة ليمنحه شرف القتال به، فالشّاعر وظفّ الدّهر والشّيء المحسوس والأرض لتكون تحت إمره القائد وتوجيهاته.

يقول: [الطّويل]

لهُ من كَريمِ الطّبعِ في الحرْبِ مُنْتَضٍ[1] وَمن عادةِ الإحسانِ والصّفحِ غامِدُ
وَلمّا رَأيتُ النّاسَ دونَ مَحَلِّهِ تَيَقّنتُ أنّ الدّهرَ للنّاس ناقِدُ[2]

ويَسِم المتنبّي الدّهر بصفة إنسانيّة سلبيّة، هَدَف من ورائها إبراز مكانة الممدوح وعلوّ شأنه وعِظم إنجازاته، فالإنسان مهما بلغ من الكمال، سيجد دائماً من ينقده ويحسده لما حقّق في حياته. وأشارت لفظة " ناقد" إلى التّميّز، وربطه لجملة" أنّ الدّهر للنّاس ناقد" بالفعل " تيقنت" توحي بأنّ علو شأن البشر على بعضهم عن جدارة ، أمر يجعل الشّاعر يشكّ، ويرغم نفسه على التّصديق، ويظهر راضياً على الدّهر وسيطرته[3].

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وأنّكَ رُعْتَ الدّهرَ فيهَا وَرَيْبَهُ فإن شَكّ فليُحْدِثْ بساحَتِها خَطْبَا[4]

وقد شخّص الشّعراء العباسيّون الدّهر بسبب جبروته، لأنّه كان للكثير منهم رمزاً للظّلم والقسوة، وربما للنّاس عامّة، لذلك صوّروه كليل الطّرف، لايجرؤ على الاعتداء عليهم، وهم في حماية ممدوحيهم، ولإيمانهم الكبير بأنّ الممدوحين سيقدّرون ذلك[5]، فيُظهر المتنبّي هنا مفارقة في جعل القائد يخيف الدّهر ويسبب له الهلع، مع أنّ الواقع يمنح القوّة والجبروت للدّهر لا البشر.

---

[1] **منتضٍ**: نضا السّيف من غمده وانتضاه إذا أخرجه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "نضا".
[2] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،205/3.
[3] يُنظر: المانع، سعاد، **سيفيات المتنبّي- دراسة نقديّة للاستخدام اللّغوي**،194.
[4] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،234/3.
[5] يُنظر: الشّمري، ثائر، **التّشخيص في الشّعر العباسيّ**،224.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

طَريـــدَةُ دَهْـــرٍ ســـاقَها فَرَدَتْهَـــا على الـدِّينِ بـالخَطِّيّ[1] وَالـدّهْرُ رَاغِـمُ[2]

يصوّر المتنبّي صراع الإنسان مع الدّهر، فالممدوح يضاهي الدّهر قوةً، فسيف الدّولة فوق خصومه من البشر، في صورة جعل الدّهر فيها يصارعه، لكنّ الغلبة كانت لسيف الدّولة مع أنّ الدّهر أقسى منه، والقلعة عند المتنبي طريدة[3]، والزّمان مقترن بمكان الحدث، فحاول الشّاعر استحضار الماضي ليجعله موازياً للحاضر، ففسّر من خلاله البعد التاريخيّ للوقائع الّتي حدثت هناك فجعل القلعة طريدة الدّهر، وأرغم ذلك الدّهر وقارعه[4]، فصوّر الدّهر بإنسان يطارد ويلاحق، لكن سيف الدّولة كان له بالمرصاد، وقام بدور المحارب ليهزمه شر هزيمة رغم قوّته.

يقول المتنبّي: [الخفيف]

غَصَـــبَ الـــدّهْرَ وَالمُلُـــوكَ عَلَيْهـــا فَبَناهَـا فـي وَجنَـةِ الـدّهر خَـالا[5]

واستطاع المتنبّي ببراعته استخدام أسلوب تشخيص المكان، وتجسيم الإحساس به، مع إدراكه الواعي لأبعاد ذلك المكان الخفيّة، ليحوّلها لصورةٍ ذات معنًى، تزخر بالحيويّة والحركة، ليجسّد موضوعيّة الحدث، وتاريخه، وأثر الشّخصية فيه[6]، فهو يغتصب القلعة من الدّهر، ويعيد بناءها خالاً في وجنته؛ لتزيّن القلعة الدّهر، وهذا التّداخل يشير إلى سيطرة الدّهر الّتي لا خلاص منها[7].

---

[1] **الخطيّ**: الرّماح، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "خطط".
[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،3/ 424.
[3] يُنظر: محمود، عبيدات، **دور المكان في تشكيل الصورة في قصيدة " على قدر أهل العزم تأتي العزائم"لأبي الطيّب المتنبّي" دراسة تطبيقيّة أسلوبيّة**، مؤتة للبحوث والدّراسات، المجلد 19، العدد 8، 2004، 174-175.
[4] يُنظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطّيب المتنبّي**، 177.
[5] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،512/3.
[6] ينظر: مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطّيب المتنبّي**، 203.
[7] يُنظر: المانع، سعاد، **سيفيات المتنبّي- دراسة نقديّة للاستخدام اللّغوي**، 193.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

بَحْـــرٌ تَعَـــوّدَ أنْ يُـــذِمّ لأهْلِـــهِ مـــن دَهْـــرِهِ وَطَـــوَارِقِ الحِـــدْثَانِ[1]

يصوّر المتنبّي الدّهر في قوله موالياً للرّوم، ومحافظاً على عهده، في حربهم مع المسلمين، عند عبورهم لنهر أرسناس ، فالدّهر قطع عهداً لحماية الرّوم ونصرتهم ، في أهوالهم ومصائبهم.

أمّا أبو فراس، فيقول: [الطّويل]

وَهَـل نـافعي إنْ عَضّـني الـدّهرُ مُفـرَداً إذا كـانَ لـي قـومٌ طِـوالُ السَّـواعدِ
وَهَـلْ أنَـا مَسْـرُورٌ بِقُـرْبِ أقَـارِبي إذا كـانَ لـي مـنهمْ قلـوبُ الأباعـدِ؟[2]

يصف الشّاعر حاله من داخل أسره، ويشخّص الدّهر ويجعله كائناً مفترساً يعض ويؤلم، فتظهر الصّورة الحسيّة معبّرة عن واقع الانكسار والضّعف، نتيجة الغربة المكانيّة وغربة جفاء بعض الأقارب له، فالشّاعر يكرر حرف الاستفهام للتّعجب والحيرة من حاله .

يقول: [الوافر]

لَعـــلَّ الله يُعْقِبُنـــي صَـــلاحاً، قويمـــاً، أَو يُقَلّينـــي العِثـــارا[3]
فَأَشـفي مِـن طِعـانِ الخَيـلِ صَـدراً وَأُدرِكُ مِـن صُـرُوف الـدّهرِ ثـارا[4]

تحدّى في أبياته مصائب هذا الدّهر، مؤمناً أوّلاً بقضاء الله وقدره، وبقدرته على خوض المعارك، ومنازلة الأعداء في سعيه لإبراز قوّته وجبروته في ساحة القتال، وتمكّنه من منازلة الدّهر بمصائبه المختلفة والعظيمة.

---

[1] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،534/3.
الحِدثان: حدثان الدّهر وحوادثه: نُوَبه وما يحدث منه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "حدث".
[2] **الدّيوان**: 100.
[3] **العثارا**: العثرة هي الزّلة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عثر".
[4] **الدّيوان**: 120. ويُنظر أيضاً: 55 ، 98-99، 197، 209 ، 225، 265، 282.

يقول أبو فراس: [الطّويل]

أَســـا دارَ ثَغْـــرٍ كَـــانَ أَعْيـــا دَواؤُهُ وَفي قَلْبِ مَلْكِ الرُّومِ دَاءٌ مُخامِرُ
بَنـى ثَغْرَهـا الْبـاقِي عَلـى الـدَّهْرِ ذِكْـرُهُ نَتـائِجُ فيهَـا السَّـابِقاتُ الضَّـواهِرُ
وَسَـوْفَ عَلـى رَغْـمِ الْعَـدُوِّ يُعِيـدُها مُعَـوَّدُ رَدِّ الثَّغْـرِ وَالثَّغْـرُ دائِـرُ[1]

وأظهر أبو فراس في أبياته التقاء الزّمان بالمكان، ليكون المكان منتصراً على الدّهر وتقلّباته، والدّهر شاهدٌ على صمود المكان ووجوده، رغم الصّعاب والتّحدّيات الجمة، فهو عند أبي فراس مستمرٌّ وباقٍ مهما بلغت قوّة البطل، فصمود ذلك الثّغر رغم توالي النّكبات عليه وأقدار الدّهر حوله، جعلت الدّهر لدى أبي فراس رمزاً لتوالي الصّراعات والمعارك.

يقول أبو فراس أيضاً: [الطّويل]

ورَاحَـت عَلـى سِـمنينَ غـارَةُ خَيلِـهِ وَقَـد بـاكَرَت" هِنـريطَ" مِنهـا بَـواكِرُ
رَأَى الثَّغـرَ مَثغـوراً، فَسَـدَّ بِسَـيفِهِ فَـمَ الـدّهرِ مِنـهُ، وَهـوَ سَـغبَانُ فـاغِرُ[2]

وتوجّه القائد بجيشه نحو سمنين، وكانت وجهته نحو هنريط في الصّباح الباكر، إذ كانت الحدود في الثّغور غير آمنة، فاستطاع القائد بقوته أن يعيد الأمان لذلك المكان، فشخّص الشاّعر الدّهر وصوّره وحشاً جائعاً، ليهزم قوّة الدّهر وجبروته، ويحقق النّصر .

جاءت صورة الدّهر لدى المتنبّي وأبي تمّام متشابهة، فالشّاعران أخضعا الدّهر لسيطرة الممدوح وآمال المسلمين في قهر العدوّ، فصيّروه لتحقيق النّصر، وقدّمه أيضاً أبو فراس كفترة زمنيّة عبّر من خلالها عن قوّة المسلمين وتوالي الفتوحات واستمرارها.

[1] **الدّيوان**: 129-130.
[2] **نفسه**: 155. ويُنظر أيضاً: 391.

ثانياً: الزّمن الجزئيّ

يتولّد من تعاقب اللّيل والنّهار امتدادٌ للزّمن؛ ليمنح الحياة استمراريّتها وبقاءها، ولتدور مجريات الأحداث فيه، فيخترق الإنسان الزّمن وامتداده، تاركاً بصمته وحضوره، في ظل تقلّب الأيام وتعاقبها المستمّر، ساعياً ليعيش حاضره ومستقبله، ويجني من ماضيه ثمار غده.

"والزّمن الجزئيّ الّذي يحمل دلالات محدّدة، لا تتجاوز مساحته الألفاظ التّالية: ألفاظ الفصول وألفاظ الشّهر، والأسبوع، وألفاظ اليوم، والنّهار، واللّيل، وألفاظ تحمل معنى الظّروف"[1]، إذ شكّل الزّمن على مدى العصور مصدر إلهام ونال اهتمام النّاس والفلاسفة والشّعراء خاصةً، لتأثيره الكبير على حياتهم وتفكيرهم، نظراً لصلة الزّمن الوثيقة بالإنسان، فذكروه في مناسبات عدّة، متحدّثين عن آثاره وأفعاله، فوصفوا أشياء كثيرةً متعلّقة به، وأسهبوا في قولهم، متناولين جوانب عدّة، حتّى إنّ منهم من بالغ في ذلك، نظراً لقوّة تأثيره في حياة البشر[2].

السّنون

برزت السّنون كزمن جزئي في قصائد العرب ومؤلّفاتهم، لتمثّل حقبة من الأحداث ومجريات توالت عليهم، فأبرزوها لتكون توثيقاً لعصرهم، وزمناً حوى ما شهدوه وعاصروه في ذلك الزّمن .

يقول أبو تمّام: [البسيط]

حَتَّـــى إذَا مَخَّـــضَ[3] اللَّهُ السِّـــنين لَهَـــا مَخْضَ البِخِيلَةِ كانَتْ زُبْدَةَ الحِقَبِ[4]

فيصف أبو تمّام في قوله عمّورِية الّتي صارت زبدة، وقد استعار "المخض" للسّنين، واختار مخض البخيلة؛ لأنّه أشدّ اجتهاداً من السّمحة؛ ولأنها تطيل مدّة المخض، وتظهر الاستعارات الغريبة في هذا

---

[1] مطري، نجلاء، **الزّمن في الشّعر النّسوي السّعودي المعاصر- دراسة في الدّلالة والبناء**،ماجستير، جامعة أم القرى،السّعوديّة، 2007،60.

[2] يُنظر: الشّمري، ثائر، **دراسات في الشّعر العباسيّ**،69.

[3] **مخّض**: المخض هو تحريكك الممخض الّذي في اللّبن المخيض ،الّذي قد أُخذت زبدته، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "مخض".

[4] **الدّيوان**:49/1

البيت[1]، فالله هنا قد جعل اللّيالي والدّهر والأيام تتجاوز عمّوريّة، دون أن تنالها بمكروه، وفِعل الله يشبه مخض السّنين أي" الحقب"، فصرّحت تلك السّنون، وظهرت للمعتصم كزبدة لحسنها، فالله أراد ذلك وجعل السّنين تمضي حتى حان وقت فتحها[2].

يقول أبو تمّام: [الطّويل]

بجُودِكَ تَبْيَضُّ الخُطُوبُ إِذَا دَجَتْ وتَرْجِعُ فِي ألوانِها الحِجَجُ الشُّهبُ[3]

ويلجأ الشّاعر إلى الصّورة اللّونية لبيان كرم القائد، فبجوده وعطائه يتغيّر لون مصائب الزّمان للون أبيض ناصع، أمّا الحجج " السنون" أيضاً فتّأخذ اللّون الأبيض؛ ليحمل اللّون رمز الصّفاء والخير والعطاء.

ورد لفظ السّنين في شعر أبي تمّام فقط، ولم يرد في شعر المتنبّي وأبي فراس.

اللّيل

تتجلى عظمة اللّيل في غموضه وظُلمته، وما يكتنفه من أسرار ومآسٍ، فهو حاوٍ لكثير من أحداث عاشها بنو البشر، فنجد الشّعراء قد برعوا في تصويره، والتّعبير عمّا يجول في خاطرهم من هواجس، ليكون اللّيل شاهداً عليهم.

يقول أبو تمام: [البسيط]

مِنْ عَهْدِ إِسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبل ذَلِكَ قَدْ شابتْ نواصِي اللَّيالي وهيَ لمْ تَشِبِ[4]

---

[1] يُنظر: **الدّيوان**، 49/1.
[2] يُنظر: الشّنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**، 175/1.
[3] **الدّيوان**: 194/1.
[4] **نفسه**: 48/1.

يفخّم أبو تمّام " عمّورِية" في قوله ، ويمنحها صفة الثّبات والقوّة طوال زمنها الماضي، حتّى يحين قدوم المعتصم، فظلّت محافظة على شبابها، حتّى تمّ فتحها، إذ شابت فيها النّواصي[1]، فالشّاعر أنسن اللّيالي فجعل لها ناصية شابت مع مرور الأيّام، لكنّ عمّورِية مازالت شابّة وصامدة رغم تقلّب الدّهر. وجاء قول الشّاعر في الشّطر الثّاني من البيت الشّعري (شابت نواصي اللّيالي) [2]متأثراً بقوله تعالى:" **يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا** "[3] فالشّاعر في هذا البيت يبرز التّناصّ الدّينيّ مع القرآن الكريم.

يقول أبو تمّام: [البسيط]

غادرتَ فيها بَهيمَ[4] اللَّيلِ وهوَ ضُحىً يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ
حتَّى كَأنَّ جلابيبَ الدُّجى رَغِبَتْ عَنْ لَوْنِهَا وكَأَنَّ الشَّمْسَ لَم تَغِبِ[5]

ويفتتح أبو تمام آفاق الزّمن؛ ليبرز شمساً لم تغب أو كأن السّواد قد لبس جلباباً لكثرة ألسنة النّار في ذاك المكان، ويظهر توظيف الطّائيّ لقصص القرآن في أن "يوشع" عليه السّلام قد أخّر له الله غروب الشّمس ليتمّ له النّصر، وها هو الله ثانيّة يسخّرها للخليقة المعتصم[6]، واستخدام الشّاعر للفعل المضارع "يشلّه" ليمنح البيت نشاطاً وحيويّة، لأنّ الأفعال المضارعة تعطي هذه الصّفة، واستخدامه للفعل" رغبت" هي صفة متعلّقة بالإنسان، ليصوّر رفض الدّجى للونه، لتحمل جميعها دلالات الهول والشّدة[7]، فتبرز الصّورة اللّونيّة في هذه المعركة من خلال التقاء اللّونين الأسود والأصفر، إذ نجح الشّاعر في إبراز قوّة الصّورة الضّوئيّة المتمثّله في لون اللّهب والشّمس، وسط فضاء أسود قاتم اللّون، لترمز الصّورة لانجلاء العدوّ، وبزوغ يوم النّصر للمسلمين.

---

[1] يُنظر: الجبر، خالد، **بلاغة بنية قصيدة أبي تمّام في فتح عموريّة**، مجلة دراسات،المجلّد 41، ملحق 2، 2013،674.
[2] يُنظر: عبد اللّطيف، عاطف، **الزّمن في شعر أبي تمّام دراسة موضوعيّة فنّية**، حوليّة كليّة اللّغة، جامعة الأزهر، العدد ،مجلّد 3،2014، 2594.
[3] **المزّمل**:17.
[4] **البهيم**: أسود، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "بهم".
[5] **الدّيوان**:53/1.
[6] يُنظر: عوجيف، سمير، **جماليّة التّشكيل الشّعريّ- أبو تمّام أنموذجاً**، ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، الجزائر، 2015، 108.
[7] يُنظر: غيطي، هبة،**بنية الصّورة الشّعريّة عند أبي تمّام**،ماجستير،جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008-2009،80-81.

يقول أبو تمّام: [البسيط]

ضـوءٌ مـنَ النَّـارِ والظَّلمـاءُ عاكِفَـةٌ وظُلمةٌ منَ دُخان في ضُحًى شَحِبِ[1]

وفي صورة لونيّة – موظّفاً التّضاد ليجمع الضّياء مع السّواد– استطاع الشّاعر أن يرسم صورة لنيران الحرب المشتعلة تضيء ظلمة ذلك اللّيل، ويجعل في تلك اللّوحة لون الدّخان الرّماديّ يخترق ضحى ذلك اليوم ليمزج بين اللّون الأصفر والرّمادي.

ويخاطب الشّاعر قائده، ويصف الحريق ليلاً معتمداً على ما يُسميه شوقي ضيف (قانون الأضّداد)، فيبرز في ثنايا الكلام خيال عجيب، فهو حاضر في ليل بهيم، ويتصوّر وجوده في الصّبح المضيء، وتارة هو في الضّحى المنير، كأنّما خلع اللّيل ثيابه ورغب عنها، فالشّمس لم تغب، ولم تغرب بل لقد غربت ولم تلبث أن أشرقت بعدها في ربوع عمّوريةٍ[2].

يقول أبو تمام : [الطّويل]

رَدَدتَ أَدِيـمَ[3] الغـزوِ أَمْلَـسَ بعـدَما غــدا ولَيَاليــهِ وأيَّامُــهُ جُــرْبُ[4]

وفي موضع أخر يستخدم أبو تمّام كلمة أديم وهو الجلد ليدلّ على الغزو الّذي تغيرت أيامه ولياليه بظهور هؤلاء المشركين، لكنّ الخليفة المعتصم بعد أن تولّى أمره وقام بنجدته أعاد أديمه أملس بعد أن كان كالجلد الأجرب[5]، إذ يُبرز الشّاعر الصّورة الحسّيّة في مفارقة، ويقوم بتوظيفها بصورة غريبة فيصوّر الغزو ولياليه وأيامه بالجلد الأجرب المعدي، ثمّ ينقلنا إلى صورة أخرى لذلك الجلد تمثّلت في كونه أملس بكامل عافيته.

---

[1] **الدّيوان**: 54/1.
[2] يُنظر: ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربيّ – العصر العباسيّ الأول** ، 285.
[3] **أديم**: أديم كلّ شيء ظاهر جلده، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" أدم".
[4] **الدّيوان**: 191/1.
[5] يُنظر**:** الشّنتمري، أبو الحجّاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،387/1.

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

طَاعِنــاً مَنْحَــرَ الشَّــمَالِ مُتِيحــاً لِــبلاَدِ العَــدُو مَوْتــاً جَنُوبَــا
فــي لَيَــالٍ تَكَــادُ تُبْقِــي بِخَــد الشَّمْــسِ مــنْ ريحهــا البليــلِ شُــحوبا
سَــــبَراتٍ[1] إذا الحُــــروبُ أُبيخَــــت هَــاجَ صِــنَّبْرُها[2] فَكانَــت حُروبَــا[3]

ويمدح الشّاعر الخليفة المعتصم، ويتحدّث عن غزوه لبلاد العدوّ شمالاً ليمتدّ الهجوم إلى جهة الجنوب، في ليالٍ باردة كادت ريحها تغيّر ضوء الشّمس، وتُحدث بخدّها شحوباً، وأراد باللّيالي الأيام مع اللّيالي، فلذلك ذكر للشّمس سبراتٍ أي "باردة"؛ ليدّل على شدّة بردها، فكانت حروباً يلقى فيها الكثير حتفهم، وإذا أراد الله ذلك هيّج صنّبرها، لتكون كالحتوف المُهلكة[4]، فالشّاعر منح الشّمس صفة إنسانيّة، فالخدّ أحد أعضاء الإنسان الّتي تعكس صحّته، ليدلّل عليها الشّاعر بالضّعف والشّحوب، نتيجة البرد القارس.

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

حَيَّــةُ اللَّيْــلِ يُشْــمِسُ الحَــزْمُ مِنــهُ إِنْ أَرَادَتْ شَــمْسُ النَّهــارِ الغُروبَــا[5]

ويعمد أبو تمّام إلى التّضاد بين اللّيل والشّمس والغروب في تشكيل الصّورة الشّعريّة، ففصل بين اللّيل والنّهار، إذ إنّ الصّورة المتعلّقة بحيّة اللّيل تنزاح عن أصلها لتعبّر عن دهاء الممدوح والخوف الّذي يثيره، فصورة الممدوح المتمثّلة بحيّة اللّيل، يشعُّ منها نور الشّمس الّذي يُمثّل الحزم، ووجود الصّورة على هذا الشّكل يزيل أي فكرة تقود إلى الجُبن، فتظهر جمال الانزياح، ليبرز أكثر من صورته الواقعيّة، فنجح الشّاعر في مزج الحيّ بالجامد[6]، ووصف الشّاعر القائد في هذا البيت " بحيّة اللّيل" الّتي تهاجم فراخ الطّيور ليلاً ، وهذا وصف ربّما لم يستعمله أحد قبل الطّائي، لأنّ العرب كانت تقول "

[1] **السّبرات**: جمع سبرة وهي الغَداة الباردة،وقيل هي ما بين السّحر إلى الصّباح، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "سبر".
[2] **صنّبرها**: صنابر الشّتاء هي شدّة برده، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "صنبر".
[3] **الدّيوان**: 165/1.
[4] يُنظر: الشنتمري، أبو الحجّاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،395/1.
[5] **الدّيوان**: 168/1.
[6] يُنظر: كلش، أحلام، **الانزياحات الشّعريّة عند أبي تمّام**، ماجستير،جامعة اليرموك، الأردن، 2013-2014، 80-81.

حيّة الوادي" وحيّة الجبل" ولم تقل "حيّة اللّيل" واستخدم الشّاعر هذا الوصف ليدّل على أنّ أبا سعيد لا ينام اللّيل طلباً للعدوّ، كأنّ حزمه يضيء باللّيل، ليصير كاليوم المشمس[1].

ويصوّر أبو تمّام بطله في قوله: [الوافر]

وكَـم سَـرَقَ الـدُّجى مِـن حُسـنِ صَـبْرٍ وغَطَّـى مِـن جَـلادِ فتًـى جَلِيـد![2]

وقد أوقع القائد بعدوّه ليلاً، فلم يُعرف مكمن النّجدة في ذلك المكان، فالقوم قد اجتهدوا وصبروا على القتال، والدّجى كان ساتراً لتجلّدهم؛ لأنّهم حاربوا ليلاً[3]، وجعل الشّاعر من الأمور المعنويّة أموراً ماديّة ملموسة، فالسّرقة صفة إنسانيّة، لكنّه ألبسها للدّجى وهذه الأفعال تعطي المعنى غموضاً، وتهوّل المعنى الحقيقيّ[4]، فالشّاعر يُظهر في التّعبير أنسنة لحال الجنود، ليُبرز عِظَم هذا الجيش وقوته وصموده في وجه الأعداء في قوله" سرق الدّجى" .

يقول: [الكامل]

إنْ يبتكـرْ تُرْشِـدْهُ أعـلامُ الصُّـوَى[5] أو يَسْـرِ لَـيْلاً فـالنّجومُ مَنـارُ[6]

يطاوع اللّيل قائده في طريقه للمعركة، فالنّجوم الّتي تزيّن سماء تلك اللّيلة، جعل منها الشّاعر منارات تنير طريقه المُظلم. فقد عرف أبو سعيدٍ وجيشه تلك الطرق، إذ غزوا مبكّراً، وقد أرشدتهم الأماكن والجبال المرتفعة ذات الأعلام، والنّجوم ليلاً، ليشقّوا طريقهم وهم يبغون الوصول لبلاد الرّوم[7].

يقول: [الطويل]

وسَـاعدَه تحـتَ البَيـاتِ فَـوارسٌ تخـالُهمُ فـي فَحْمـةِ اللَّيـلِ أنجُمـا

---

[1] يُنظر: عيسى، فوزي، **في الشّعر العباسيّ**، 70.
[2] **الدّيوان**:39/2 و 339/1، و 29/2.
[3] يُنظر: **نفسه**، 39/2.
[4] غيطي،هبة،**بنية الصّورة الشّعريّة عند أبي تمّام**،ماجستير،جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2008-2009،102.
[5] **الصّوى**: الأعلام المنصوبة المرتفعة في غلظٍ، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "صوي".
[6] **الدّيوان**: 171/2.
[7] يُنظر: عيسى ،فوزي، **في الشّعر العباسيّ**، 58.

وقَـد نَثَـرَتْهُمْ روعـةٌ ثـمَّ أحـدَقوا بـه مِثلَمـا ألَّفْـتَ عِقْـداً مُنَظَّمـا
بسـافِرِ حُـرِّ الوَجْـهِ لَـوْ رَامَ سـوْءَةً لَكـانَ بِجِلْبـابِ الـدُّجَى مُتَلَثِّمـا [1]

وصف الشّاعر حركة الجنود بحركة النّجوم ليلاً، لتتشكّل تلك الصّورة اللونيّة من لونين هما: الأسود والأبيض اللّامع؛ ليرمز من خلال هذين اللّونين إلى قوّة الجيش وحضوره وسط الأهوال المظلمة، وفي صورة أخرى يصوّر الشاعر دقّة انتظامهم حول قائدهم بالخرز المرتّب.

في القصيدة نفسها، يقول: [الطويل]

مَثَّلْـتَ لـه تحـتَ الظَّـلامِ بِصُـورَةٍ علـى البعـدِ أقنتـهُ الحيـاءَ فصَـمَّما
كَيُوسُـفَ لَمَّـا أَنْ رَأَى أَمْـرَ رَبِّـهِ وقدْ همَّ أن يَعرَوريَ[2] الذّنبَ أحْجَمَا [3]

يصوّر الشّاعر الظّلام من خلال التّناصّ الدينيّ لقصة يوسف، حيث صوّر شجاعة القائد في وقت المحن بشجاعة يوسف في موقفه تجاه امرأة العزيز.

أمّا المتنبّي فيقول: [الوافر]

وَإِن جُـنحُ الظّـلامِ انجـابَ عَـنْهُمْ أَضـاء المَشْـرَفِيَّةُ والنّهـارُ[4]

جاءت الصّورة اللّونيّة في البيت الشّعريّ؛ لتظهر براعة الشّاعر في تصوير حال الجيش في جنح ذلك اللّيل وسواده، فبرز لديهم نهاران، أحدهما النّهار المعروف، والآخر تجلّى في لمعان السّيوف وبريقها، فالظّلام يرتبط عند الشّاعر بالمواقف الحرجة، فشبّه النّاس بالظّلام، والممدوح بالنّهار، ولم يشبّههم باللّيل، بل بأسوأ ما في اللّيل ألا وهو الظّلام؛ بغية جعل الممدوح متميّزاً عنهم[5].

---

[1] **الدّيوان**: 239/3.
[2] **يعروري**: اعروري مني أمراً قبيحاً : ركبه، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عرا".
[3] **الدّيوان**: 3/ 239-240، ويُنظر أيضاً: 134/3و 139/3و 290/3 و 264/3.
[4] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيب المتنبي**،472/3.
[5] يُنظر: المانع، سعاد، **سيفيات المتنبّي- دراسة نقديّة للاستخدام اللّغوي**، 191.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

تُبـاري نُجُـومَ القَـذْفِ فـي كُـلّ ليلـةٍ نُجُـــومٌ لَـــهُ مِـــنهُنّ وَرْدٌ وَأَدْهَـــمُ[1]

وقدّم المتنبّي للّيل صوراً شتّى، فخيل سيف الدّولة تضاهي النّجوم في سرعتها وفي رمي الأعداء، فشبّه النّجوم الّتي لا يُرمى بها إلّا الشّيطان، وتحترق، بخيله "الورد والأدهم" يسيران إلى الأعداء فيحرقونهم كالنّجوم الّتي تهاجم الشّيطان[2]، فالشّاعر في هذه الصّورة رسم أحداث كلّ ليلة دارت في تلك الحرب، موظّفاً التّناصّ الدّينيّ في قولة تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ، وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ** ﴾[3]، وصوّر الخيل بالنّجوم المضيئة في سرعتها وانقضاضها على الأعداء وصوّر العدوّ بشيطان يجب رجمه.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وغَلَّـسَ[4] **فـي الـوَادي بِهِـنّ مُشَـيَّعٌ مُبـارَكُ مـن تَحْـتَ اللّثَـامَينِ عابـدُ**[5]

ويصوّر أبو الطّيب خروج سيف الدّولة بخيله في آخر اللّيل، فهو الشّجاع الّذي يسعى لكسر شوكه عدوّه وإذلاله.

يقول المتنبّي مصوّراً نجوم اللّيل: [الطّويل]

كَـأنّ نُجُـومَ اللّيْـلِ خافَـتْ مُغَـارَهُ فمَدّتْ عَلَيْها مِنْ عَجاجَتِهِ[6] **حُجْبا** [7]

---

[1] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيب المتنبي**، 152/3.
[2] يُنظر: **نفسه**.
[3] **الملك**، 5.
[4] **غلس**: الغلس هو ظلام آخر الليل، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"غلس".
[5] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي**،209/3.
[6] **عجاجته**: الغبار، وقيل : هو من الغبار ما ثوّرته الرّيح، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عجج".
[7] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي**،242/3.

اختار الشّاعر في هذا البيت من اللّيل نجومه، ليبرز التّشخيص في تصويرها ويجعلها إنساناً يخاف ويرتعد، فجعلها تستتر خلف الغبار خوفاً من خيله وجنده، فيُظهر الشّاعر النّجوم رغم علوّها مستترة من عظم جيش الممدوح وهيبته.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

أَلَـمْ يَـرَ هـذا اللّيْـلُ عَيْنَيْـكِ رُؤيَتـي فَتَظْهَـرَ فيـهِ رِقّـةٌ وَنُحُـولُ؟
لَقِيـتُ بِـدَربِ القُلَّـةِ الفَجـرَ لُقيَـةً شَـقّت كَمَـدي واللَّيـلُ فِيـهِ قَتيـلُ[1]

جعل الشّاعر انتصار سيف الدّولة يشفي غيظ نفسه، ليصوّر فترة الخمود السّابقة بليل ثقيل تلاه انتصار، وهذا اللّيل قد طعنه سيف الدّولة طعنه نجلاء، ليبزغ النّصر، وتنتشر الفرحة في النّفوس[2]، فيجعل من اللّيل قتيلاً، "لأنّ الحمرة الّتي تظهر عند الفجر كانت كالدّم على بدن القتيل"[3]، فيبرز الشّاعر الصّورة اللّونيّة في اللّونين الأحمر والأسود. واستخدم الشّاعر الصّورة المظلمة ليعبّر عن الهموم والظّلم، وقد استمدّ الشّاعر الصّورة من منابع الظّلام وكيّفها كما يشاء، فتارة هي مصدر للقوّة، وتارة أخرى لاءمت المعنى الّذي وُضعت لأجله، وهو بظلمته وسواده كالّذي ينظر إلى عينيّ محبوبة المتنبّي، بل نظرة قد تردي هذا اللّيل قتيلاً[4]، ويرمز الشّاعر إلى شفاء الكبد بلقاء الفجر، ليكون الفجر الّذي لقيه هو السّيف، سيف الأفق المحدودب بانحنائه الأبيض، والّذي ضرب النّهارُ به اللّيل فقتله[5].

يقول المتنبّي: [الطّويل]

تُفيـتُ اللّيـالي كُـلَّ شَـيءٍ أَخَذْنَـهُ وَهُـنّ لِمَـا يأخُـذْنَ منـكَ غَـوَارِمُ[6]

---

[1] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي**، 336/3.
[2] يُنظر: ضيف، شوقي، **الفن ومذاهبه في الشّعر العربي**،348.
[3] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي**، 336/3.
[4] يُنظر: عزّوزي، البشير،**حجاجيّة الاستعارة في الشّعر العربي" ديوان المتنبّي أنموذجاً"**، ماجستير، جامعة أكلى محند أولحاج، الجزائر، 2013-2014، 64.
[5] يُنظر: المحاسني ، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،239.
[6] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي**، 424/3.

يصوّر المتنبي في هذه الاستعارة **(تُفيتُ اللّيالي)** ضعف اللّيالي أمام قوّة سيف الدّولة القادر على إعادة ما سلبته منه وتغريمه إيّاها.

يقول المتنبّي في القصيدة نفسها : [الطّويل]

لَبِسنَ الدُّجى فيها إلى أرضِ مَرعَشٍ وَللـرّومِ خَطـبٌ فـي الـبِلادِ جَليـلُ[1]

ويظهر في هذا البيت صورة بصريّة لونيّة، إذ ينزاح الشّاعر عن المعنى، ليُظهر اللّيل إنساناً يرتدي اللّباس، فالشّاعر هنا قد صوّر قدوم الجيوش ليلاً بصورة الإنسان المتنكّر.

يقول المتنبّي مصوّراً الحرب ليلاً مظلماً: [البسيط]

تَهــدي نَواظِرَهــا وَالحَــربُ مُظلِمَــةٌ مِنَ الأَسِنَّةِ نَارٌ وَالقَنا شَمَعُ[2]

تتمازج الألوان في هذه الصّورة الحركيّة، ليعبّر الشّاعر بالصّورة المجسّدة عن شراسة واحتدام القتال الدّائر بين الطّرفين، فيمتزج اللّونان الرّماديّ الّذي أحدثه غبار المعركة، والأبيض الّذي بدا ظاهراً في لون الأسنّة. إذ أظلمت الحرب بالغبار النّاتج عن حركة حوافر الخيل، ما أدّى إلى انعدام الرّؤية، فتحيّرت عيون الفرسان ليكون لمعان الأسنّة هدًى لها في محاربة العدّو[3].

يقول أبو فراس الحَمدانيّ مصوّراً اللّيل: [الطّويل]

إلــى الله أشْــكُو أنّنَــا بِمَنَــازِلٍ تَحَكَّــمُ فــي آســادِهِنَّ كِــلابُ
تَمُـرّ اللّيَـالي لَـيْسَ للنّفْـعِ مَوْضِـعٌ لــديَّ ، ولا للمُعْتَفــينَ جَنــابُ[4]

هو يشكو إلى الله من أسره عند الرّوم، فصوّر نفسه المأسورة قويّة كالأسود في ذلك المكان المعادي، ولتمرّ اللّيالي طويلة، فأبرز الشّاعر الزّمن بتأثيره السلبيّ على المكان.

---

[1] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي**، 347/3.
[2] **نفسه**: 183/3.
[3] يُنظر: **نفسه**.
[4] **الدّيوان**: 46.

يقول أبو فراس الحمدانيّ: [الوافر]

فَجــادَت، لَيلَهــا، سَــحًّا، وَهَطــلاً، وَتَسْــــكاباً كَـــــأَفواهِ الجِـــــراحِ
وأَرْوعَ، جَيْشُـــــهُ ليـــــلٌ بهـــــيمٌ، وغُرَّتُـــهُ عمـــودٌ مـــنْ صـــباحِ[1]

ويصف الشّاعر ليلة ماطرة بأفواه الجراح للدّلالة على شدّه هطول الأمطار فيها، ففي ذلك اللّيل المظلم قضى جيش سيف الدّولة ليلته، منتظراً طلوع الصّباح.

يقول أيضاً: [الطّويل]

وَجُــبنَ بِــلادَ الــرُّومِ سِــتّينَ لَيلَــةً تُغـاوِرُ مَلْـكَ الـرُّومِ فـيمَن تُغـاوِرُ[2]

ويذكر أبو فراس الحمدانيّ طول اللّيالي التّي قضاها الرّوم في رهبة من المسلمين، لتصل لستين ليلةً متواصلةً، فما أكثر ما قاساه هؤلاء من تلك الحرب. فالشّاعر يحدّد الفترة الزّمنيّة لالتقاء الجيشين، فالمعارك تختلف تبعاً لاختلاف المكان والعتاد، إنّ قرب البلاد يقلّل من أيام المعارك، بينما البلاد البعيدة تحتاج لزمن أطول، فيبيّن الشّاعر في أبياته الفترة الزّمنيّة الّتي استغرقها الجيش الإسلاميّ للوصول لأرض الرّوم[3].

يقول أبو فراس: [الكامل]

وَالَعــــودُ أَحمَــــدُ واللَّيــــالي بَيْننــــا وَغَــــداً نَــــروحُ مُعَقِّبــــينَ إِلَــــيْهِمِ[4]

واستخدم الشّاعر في البيت مفردة اللّيالي لتحمل دلالة التّهديد والوعيد، لعدوّ الإسلام، وحذّرهم بقرب الهجوم واحتدام القتال.

---

[1] **الدّيوان**: 78.
[2] **نفسه**: 141، ويُنظر أيضاً: 161و 165و 162.
[3] يُنظر: الخشرمي، شاكر، **صورة الحرب بين أبي فراس الحمدانيّ والبارودي**، ماجستير، جامعة طيبة،السّعوديّة، 143،2013.
[4] **الدّيوان**: 315.

أمّا ليل الصّراع لدى أبي فراس الحمدانيّ ، فيقول فيه: [الوافر]

تَبيـــتُ هُمومُـــهُ واللّيـــل داجٍ تُقَلّبُـــهُ علـــى وَخـــزِ السّـــهامِ
يَـؤولُ بِـهِ الصَّـباحُ إلـى صَـباحٍ وَيُسْـلِمُهُ الظّـلامُ إلـى ظَـلامِ[1]

يؤلمه الأسر، ليصوّر اللّيل القادم والمتعاقب بهمومه وأحزانه وطول انتظاره بالسّهام الّتي تجرح الشيء المحسوس، ويتابع الشّاعر مرور الأيام والوقت بتعاقب اللّيل والنّهار.

إنّ المتتبّع لمفردات الزّمن لدى أبي فراس يجد نسبيّة الشّعور بالزّمن لديه، فهو في حبّه وكرهه له لا يعكس نظرة تخصّ الزّمن لذاته، بل جاء مما ينبعث من دواخله أو من تجربة حيّة عاشها أو شعورٍ تجاه الزّمان، يشحنه من أحداث ووقائع، ومن هنا ظهرت الفروقات بين زمن وآخر لديه [2].

ذُكر اللّيل بكثره في شعر الصّراع، فقدّمه أبو تمّام كزمن دارت فيه المعارك، ليُظهر أيضاً ليالي الشّتاء الباردة وقسوتها على المسلمين، وقدّم صوراً لافتة أظهر فيها جماليات اللّيل وما يتخلله من أشياء محسوسة كالنّجوم، وأظهره المتنبّي كزمن وقدّم مرادفات لكلمة الليل كالدّجى، أمّا أبو فراس فأبرز اللّيل في بعده النّفسيّ المؤلم في أسره وكبعد زمنيّ للصّراع.

النّهار

يمثّل النّهار بداية لكل جديد، فخيوطه الذّهبية تمنح المكان صفاءً وطمأنينة، وهو بداية اليوم بكل تفاصيله وأحداثه، اقتحمته الجيوش واتجهت لملاقاة مصيرها، ومحاربة أعدائها، ليكون النّهار مسرح الأحداث، لحقبة شهدت تاريخاً جسّده هؤلاء الشّعراء في أشعارهم، وقدّموا رؤيتهم له.

يقول أبو تمّام: [الكامل]

قَـدْ صَـرَّحتْ عـنْ مَحْضِـها الأخبـارُ واسْتَبشَـــرتْ بفتوحِـــكَ الأمْصـــارُ

---

[1] **الدّيوان**: 317.
[2] يُنظر: شهاب، فيصل، **أبو فراس الحمدانيّ – دراسة في نطاقه وأغراضه، وتقنياته الشّعريّة**، ماجستير، جامعة القدّيس يوسف، بيروت، 2005، 308-309.

خَبَـرٌ جَــلا صــدَأَ القُلــوبِ ضِــياؤُهُ إِذ لاحَ أنّ الصّــدق مِنــهُ نَهــارُ[1]

وللفتوحات بشرى سعيدة للمسلمين، جعلت الشّاعر يربطها بضوء النّهار وما يبعثه في النّفس من أمل وفرح، عمّ الأمصار جميعها، فقدّم الشّاعر صورة ضوئيّة تخللها ضياء النّهار وأثره.

يقول المتنبّي: [الكامل]

وبِــأَرعَنٍ[2] **لَــبِسَ العَجــاجَ إِلَــيهِمُ فَــوقَ الحَديــدِ وَجَــرَّ مِــن أذيالِــهِ**
فَكَأَنّمــا قَــذِيَ النَّهــارُ بنَقعِــهِ أَو غَـضَّ عنـهُ الطّـرفَ مـن إجلالـهِ[3]

ويبرز النّهار في هذه الصّورة الحركيّة الناتجة عن حركة الفرسان الّتي أدّت إلى انتشار الغبار فوقهم، لتمتزج الصّورة الحركية باللّونين الأصفر والرّمادي. ويؤدّي ذلك لحجب ضوء النّهار، لتظهر الشّمس وكأنها قد قذيت بهذا الغبار، أو غضّ بصره؛ من الإعظام للممدوح[4]، واستخدام المتنبّي للفظة النّهار لا يرتبط بالظّرفيّة، بل يورده معرّفاً بأل ومرتبطاً باسناده الفعل للنّهار[5].

يقول المتنبّي: [الوافر]

إذا صَــرَفَ النّهــارُ الضّــوْءَ عَــنْهُمْ دَجَــا لَــيْلانِ: لَيْــلٌ وَالغُبَــارُ[6]

في صورة أخرى حسيّة بصريّة لونيّة، يُظهر الشّاعر زوال ذلك النّهار عن جيش سيف الدّولة، ليطّل عليهم ليلان هما: اللّيل الّذي يعقُب النّهار، والغبار الّذي شبّهه الشّاعر باللّيل لتسبّبه بصعوبة الرّؤية وانعدامها.

---

[1] **الدّيوان**: 168/2. ويُنظر أيضاً: 168/1.
[2] **أرعن**: ياقل: الجيش الأرعن وهو المضطرب لكثرته، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "رعن".
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي**،112/3.
[4] **نفسه**..
[5] يُنظر: المانع، سعاد، **سيفيات المتنبي- دراسة نقديّة للاستخدام اللّغوي**،188.
[6] المعري ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي**،472/3.

فقد قدّم الشّاعران: المتنبّي وأبو تمّام النّهار كبعد زمنيّ لأحداث الصّراع الّتي جرت، وما تخلّله من تفاصيل تلك الوقعات الّتي دارت في نُهر تلك الأيام ، أمّا أبو فراس فلم تظهر لديه لفظة النّهار.

الصّباح

ومن جزئيات النّهار يبرز الصّباح، ليكون ملتقى الأحداث، ببزوغ شمسه، وضياء نوره، ليشهد على بداية جديدة.

يقول أبو تمّام : [الطّويل]

لقَـدْ أذكرَانـا بـأْسَ عَمْـروٍ ومُسْـهرٍ وَمـا كـانَ مِـنْ إسْـفِنْدِيَاذَ ورُسْـتَما
رأَى الـرُّومُ صُـبْحاً أنَّهـا هـيَ إذْ رَأَوْا غَـداةَ التَقَـى الزَّحْفَـانِ أنَّهمـا هَمـا[1]

فيذكر الشّاعر صباح ذلك اليوم الّذي أوقع به "بشر ومحمد" بالرّوم، فكانا في شجاعتهما كشجاعة "عمرو ومسهر" من شجعان العرب، فقارن بين هذه الوقعة ووقعتهم مع الفرس بقيادة إسفندياذ ورستم " فارسان مشهوران من الفرس" ، وجعل هذين الرّجلين مكان ذينك الرّجلين، وأظهر زحف الجيشين كزحف الجيش القديم[2]، ليقدّم الشّاعر تناصّاً تاريخياً مع شخصيات تميّزت بالشّجاعة والبأس، مقارناً قوة الجيش وبأسة في كلا المعركتين.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

فَقَد مَلَّ ضَوْءُ الصُبحِ مِمَّا تُغيرُهُ وَمَـلَّ سَـوادَ اللَيـلِ مِمّـا تُزاحِمُـهْ[3]

وتظهر صورة ضوء الصّبح في البيت؛ لترمز لكثرة وقائع سيف الدّولة وتعاقبها المستمر، ليشخّص الشّاعر الصبّح ويصّوره إنساناً يملّ، ولم يسلم اللّيل أيضاً من الغزو والصّراع.

---

[1] **الدّيوان**: 241/3. يعني به عمرو بن معدي كرب، والمسهر هو المسهر بن عمرو من بني الحارث بن كعب.
[2] يُنظر: الشّنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،154/1.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي**،24/3. ويُنظر أيضاً: 336/3.

فقد ظهرت مفرده الصّباح في شعر أبي تمّام والمتنبّي كبعد زمنيّ، ولم تظهر في شعر أبي فراس الحمدانيّ.

الشّمس

اتّجه العقل البشريّ إلى دراسة الظّواهر الطبيعيّة، ومن أعظم تلك الظّواهر ذلك الكوكب اللّامع، الّذي ينبىء بولادة يوم جديد، ويغيب لتبدأ مرحلة أخرى، فاهتم الإنسان قديماً بالشّمس، وراقبها، وربط مجريات حياته بها[1].

يقول أبو تمّام: [البسيط]

فالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وقدْ أَفَلَتْ والشَّمسُ واجبةٌ منْ ذا ولمْ تَجِبِ[2]

وقدّم الشّاعر صورة لونيّة للشّمس، الّتي بدت وكأنّها ظاهرة مع حضور اللّيل، لكّن الضّياء كان وهج النّار وسعيرها، فظهرت الشّمس وكأنّها تستعد للغروب من آثار الدّخان المنتشر.

يقول: [البسيط]

لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ فيهِ يَومَ ذَاكَ على بانٍ بأهلٍ وَلَم تَغْرُبْ على عَزَبِ[3]

ويصف الشّاعر في بيت آخر هول المعركة واشتدادها، فشمس ذلك اليوم لم تظهر ولم تغرب، إذ صعُب رؤيتها، فرمز الشّاعر لاحتدام القتال وشدّته، بصعوبة رؤية نهار ذلك اليوم،

أمّا المتنبّي فيقول: [الطّويل]

وَيَوْماً كأنّ الحُسْنَ فيهِ عَلامَةٌ بَعَثْتِ بهَا والشّمسُ مِنْكِ رَسُولُ[4]

---

[1] يُنظر: سلمان، كمال، **الشّمس في الشّعر الجاهلي**، ماجستير، جامعة النّجاح، نابلس، 2004، 12.
[2] **الدّيوان**: 54/1.
[3] **نفسه**: 55/1. ويُنظر أيضاً: 135/3و 145/3و 241/3.
[4] المعرّي، أبو علاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي**،337/3.

فجعل اليوم الّذي انتصر فيه سيف الدّولة يوماً حسناً، كأنّه علامة من المحبوبة، وجعل الشّمس رسولاً، وقيل إنّ سبب استحسانه لذلك اليوم هو فلول اللّيل، واستراحته بالنّهار من الحزن والخوف، فحسن ذلك اليوم أنّه كان خفيّاً لهول الحرب، وشمسه كانت تظهر تارة وتختفي؛ لتكاثف الغبار[1].

ورسم المتنبّي وأبو تمّام من خلال لفظة الشّمس مفارقات الصّراع، فمصارعة الزّمن أقسى من مصارعة المكان، فالشّعران من خلال ألفاظ الزّمن أبرزا تفاصيل دقيقة جرت هناك، ولم تظهر اللّفظة في شعر أبي فراس.

ورد ذكر لفظ السّاعة في شعر الصّراع، فقال أبو تمّام: [الخفيف]

غَيْرُ ضَنْكِ الضُّلوعِ في سَاعَةِ الرَّو ... عِ وَلا ضَـــيقٌ غَــدَاةَ المَضِــيقِ
ذاهبُ الصَّوتِ ساعةَ الأمرِ والنهـ ... ـي إذا قــلَّ ثــمَّ هَــدْرُ الفَنيــقِ [2]

جاءت كلمة "السّاعة" في هذا البيت لتحمل دلالة الشدّة والضيّق، وانتصار القائد وحكمته وقت النّزال وسعة صدره في ضيق الحرب وأهوالها، وجاءت كلمة "السّاعة" في البيت الثّاني لتدلّ على وقت الأمر والنّهي في تلك الحرب.

يقول أبو تمّام: [الكامل]

قَدْ شَمَّروا عَن سُوقِهِمْ فـي سَاعةٍ ... أمـــرَتْ إزارَ الحـــربِ بالإســـبالِ[3]

ففي ساعة حدوث تلك المعركة، تآزر المسلمون في تلك الأزمة ليغيّروا مجرياتها ، و"هذا مثلٌ في ساعة يجب أن تسبل الدّروع خوفاً من الضّرب والطّعن"[4]، إذ شمّر المسلمون عن سوقهم في ساعة، احتدمت فيها المعركة، وأسبلت إزارها، لتجرّ أذيالها، وهذا مثلٌ يدلّ على شدّة الحرب وكمالها[5].

---

[1] يُنظر: المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبي**،337/3.
[2] **الدّيوان**: 436/2. ويُنظر أيضاً: 332/1.
الفنيق: الفحل المقرم لا يركب لكرامته على أهله، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "فنق".
[3] **الدّيوان**: 135/3.
[4] يُنظر**:نفسه**.
[5] يُنظر**:** الشّنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،298/1.

يقول المتنبّي: [الكامل]

ولقــد ذَخَــرتُ لِكُــلّ أَرضٍ ســاعَةً تَسـتَجفِلُ الضّـرغامَ عـن أشـبالِهِ[1]

واستخدم الشّاعر في هذا البيت كلمة السّاعة، لتكون كناية عن قصر مسافة المدّة وشدّتها في حربه هذه، بحيث تجعل الأسد ينزعج ويستجفل عن أولاده ، وتضّطره إلى الهرب منهم خوفاً على نفسه فلا يبالي بولده[2].

يقول المتنبّي: [الطّويل]

مَضَـى بَعدَما التَفّ الرِّماحـانِ سـاعَةً كما يَتَلَقّى الهُدْبُ في الرّقدةِ الهُدْبَا[3]

فيصوّر المتنبّي التقاء الرّماح في صورة حركيّة حسّية، أبرزت تفاصيل دقيقة لتلك السّاعة، فتلاحمت الرّماح، ليشبّه تلاحمها بإطباق الجفون على بعضها بعضاً، ليدلّ ذلك على سرعة التقاء الرّماح ، وشدّة المعركة.

يقول: [الطّويل]

فـإنْ تَكُـنِ الـدّوْلاتُ قِسْـماً فإنّهَـا لِمَــنْ وَرَدَ المَــوْتَ الــزّؤامَ تَــدُولُ
لمَن هَوَّنَ الدُّنيا على النّفسِ ساعةً وَللبـيضِ فـي هـامِ الكُمـاةِ صَـليلُ[4]

وعند تأمّل هذا التّعبير" **لمَن هَوَّنَ الدُّنيا على النّفسِ ساعةً**" تظهر فكرة الزّمن جليّه، فكل شيء متاحٌ لأولئك الفرسان، فهم قد صبروا وخاضوا الحروب وابتعدوا عن متاع الدّنيا، وترهب لهم الحياة؛ لينالوا بعدها المجد والسؤدد[5].

---

[1] المعري، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبي**،103/3.
[2] يُنظر:**نفسه**.
[3] **نفسه** ،236/3.
[4] **نفسه**،354/3.
[5] يُنظر: **: الدّسوقي**، عبد العزيز، **أبو الطيّب المتنبي" شاعر العروبة وحكيم الدّهر"**،266.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

إذا الحَرْبُ قد أتْعَبْتَها فَالْهُ ساعَةً لِيُغْمَدَ نَصْلٌ أوْ يُحَلَّ حِزامُ
وَإنْ طالَ أعمَارُ الرّماحِ بهُدْنَةٍ فإنَّ الّذي يَعْمُرْنَ عِندَكَ عَامُ[1]

يخاطب الشّاعر مُتعِب الحرب، ويطلب منه ترك مواقع القتال ساعة بعد أن أتعب سكانها بكثرة الغارات وملازمتها، حتّى يتمكن الفرسان من إغماد سيوفهم، وحل حزم الخيل فيها، ورماح تلك المعركة تسلم من التّكسر بعد عقد الهدنة، فتبقيها لمدة عام؛ لأنّ الهدنة لا تطول عنده أكثر من ذلك[2].

فقد جاءت لفظة ساعة في شعر المتنبّي وأبي فراس لتحمل دلالة الوقت الّذي حوى الأحداث، ولم ترد لفظة السّاعة في شعر أبي فراس الحمدانيّ.

الشّتاء

أغار المسلمون على أراضي الرّوم في أوقات معيّنة، فبعض الغارات تمّت صيفاً، وأخرى شتاءً، ولم يقدم المسلمون على غارات الشّتاء إلّا في حالات الضّرورة القصوى، وهم لم يتوغلوا فيها إلى أراضي الرّوم، فلم تستمر تلك الغزوات أكثر من عشرين يوماً، وكانت تقع في فترة ما بين أواخر شباط والنّصف الأوّل من آذار[3].

ويقول أبو تمّام: [الخفيف]

لَقَدِ انصَعْتَ والشِتَاءُ لَهُ وَجْـ ـهٌ يراهُ الكُماةُ جَهْماً قَطُوبا[4]

أكثر ما اهتم الشّاعر به في هذا البيت هو تصوير الشّتية، وهو وصف هول الشّتاء، وبطولة أبي سعيد عندما خاض المعركة في ذلك الفصل الّذي يرتاع لهوله الكماة [1].

---

[1] **الدّيوان**:3/ 443.
[2] يُنظر: اليازجي ، ناصيف، **العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطّيب** ،429.
[3] يُنظر: العدوي ، إبراهيم، **الدّولة الإسلاميّة وإمبراطوريّة الرّوم**،93-94.
[4] **الدّيوان**:165/1.

ويقول أبو تمّام: [الخفيف]

فَضَـــرَبْتَ الشـــتَاءَ فـــي أخدَعَيْـــهِ ضـــرْبَةً غَادَرَتْـــهُ عَـــوْداً رَكُوبَـــا
لـــوْ أَصَـــخْنا مـــن بَعْـــدِها لَسَـــمِعْنا لِقُلُـــوبِ الأيَّـــام مِنِـــك وَجيبَـــا[2]

وجاء تعبير الشّاعر أخّاذاً في تشخيصه للشّتاء في صورة وجه عابس متجهّم، في يوم عصفت فيه الرّياح الجليديّة الممطرة، مسبّبة شحوب الشّمس، لكنّ القائد تحدّى هذا الجو بسهامه، فطعنه في أخدعيه حتى صار كالنّاقة المسنّة[3]، فكان من الفصول القاسيّة على جيش المسلمين، فعبّر الشّاعر في هذا البيت عن إرادة الممدوح وقوّته في قهر برودته، ليجعل منه إنساناً ضعيفاً، ومن الأيام قلباً يرتجف. فالممدوح لم يبال بصعوبة الشّتاء، بل مضى في طريقه، وصيّره كالعود المدلّل بعد أن كان كالجمل صعب المراس، وضرب الأخدعين، ليروّض ذلك الشّتاء الصّعب، ويضيف بأن ما يُسمع من بعد تلك الضّربة هو صوت قلوب الأيام تجبّ وتضطّرب خوفاً[4].

يقول: أبو تمّام: [الخفيف]

حـــينَ لا جلـــدةُ الســـماءِ بخضـــرا ءَ ولا وَجْـــهُ شَـــتْوَةٍ بِطَليـــقِ[5]

وتبيّن أنّ تلك الغزوة كانت في زمن الشّتاء حيث جلّل السّحاب ظاهر السّماء وعبس وجه الشّتاء[6]، فلم تكن تلك الغزوة في الرّبيع حين تنعكس خضرة الأرض على السّماء.

يؤكّد أبو فراس وقوع الغزوة شتاءً، بينما أهل البادية يحلّون في " قمير"، فيقول: [الكامل]

صِفنا " بخرشنةٍ " وقَطَّعنا الشّتا وبنـــو البـــوادي فـــي "قُمَيْـــرَ[7] " حِـــلالاً[8]

---

[1] يُنظر: عبد الرحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،،111.
[2] **الدّيوان**: 166/1.
[3] يُنظر: عيسى ، فوزي، **في الشّعر العباسي**، 70.
[4] يُنظر: الشّنتمري، أبو الحجّاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،395/1.
[5] **الدّيوان**: 442/2.
[6] يُنظر: الشّنتمري، أبو الحجّاج يوسف بن سليمان، **شرح ديوان أبي تمّام**،201/2.
[7] **قمير**: بحثت عن تعريف لهذا المكان ولم أجد.
[8] **الدّيوان**: 243.

ويبدو أنّ الشّعراء الثلاثّة صوّروا الصّراع الّذي وقع في فترة الشّتاء، بغيّة إظهار قسوة الحروب الّتي اضّطر المسلمون لخوضها، في ذلك الفصل البارد، لتدور المعارك بين طرفين فالرّوم من جهة، والعدوّ من جهة أخرى.

اليوم

جاء ذكر كلمة يوم في شعر الصّراع، ومن أيام الأسبوع ذُكر يوم السّبت ، وبعض الأشهر الهجريّة، فيقول أبو تمّام: [البسيط]

فبَـيْنَ أيَّامِـكَ اللاَّتــي نُصِـرْتَ بِهَـا وبَـيْنَ أيَّـامِ بَـدْر أَقْـرَبُ النَّسَـبِ[1]

يقول أبو تمّام: [البسيط]

جَرَى لـهـا الفَـأْلُ بَرْحـاً يـومَ أَنقِـرَةٍ[2] إذْ غودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحاتِ والرِّحَبِ
لمَّـا رَأَتْ أُخْتَهـا بِـالأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ كَـانَ الْخَـرَابُ لَهَـا أَعْدَى من الجَرَبِ[3]

وينتقل الشّاعر هنا إلى الزّمن الماضي في استخدامه للفظة "يوم"، ليشير إلى الخراب الّذي أصاب أنقرة عند مرور المعتصم قاصداً فتح عمّورِية، فالشّاعر وظّف لفظة" الجرب " ليرمز للنّحس والفال السيء الّذي سيلحق بعمّورية بعد أن قضى على أنقرة، لتتوالى الفتوحات سريعاً .

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

يَــومُ بَكــرِ بــن وائِــلٍ بِقِضــاتٍ[4] دُونَ يَـــــومِ المُحَمَّـــــرِ الزِّنـــــديقِ
يَـومُ حَلـقِ اللّمـاتِ ذاكَ وهـذا الــ يَـومُ فـي الـرُّومِ يَـومُ حَلـقِ الحُلـوقِ[5]

[1] **الدّيوان**: 73/1.، يُنظر أيضاً: 58/1-59 و 66/1 و 36/2 و 171/1-175و 337/1 و1/ 194و 332/1.
[2] **أَنقِرة**: مدينة أنقرة ،تقع في الإقليم السابع، كان المعتصم قد فتحها في طريقه إلى عموريّة،الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 271/1-272.
[3] **الدّيوان**: 50/1-52.
[4] قِضات: الأرض الّتي ترابها رمل، الحمويّ ، ياقوت، الحموي، **معجم البلدان**،368/4.
[5] **الدّيوان**: 440/2-441.

"ففي يوم قضة، وهو يوم التّحالق،حلقت فيه بكر بن وائل شعورها ، وتحالفت على الموت"[1]، فيقدّم الشّاعر في هذا البيت تناصّاً تاريخيّاً ليوم قضة، ويقارنها بوقعة بدر الّتي انتصر فيها المسلمون على الكفّار، وما سيلحق بهم .

يقول المتنبّي: [الوافر]

لهـذا اليَـومِ بَعـدَ غَـدٍ أريـجُ وَنَـارٌ فـي العَـدُوّ لهـا أجـيجُ[2]

يصوّر الشّاعر في هذا البيت اليوم الّذي سيغادر فيه سيف الدّولة مُلكه ليخوض الحرب، وستُسمع عنه الأخبار الطيّبة لتوالي انتصاراته، ويعمّ الفرح الأجواء، وسينال العدوّ نصيبه من حرب يشتعل فيها لهيب النّار. وإنّ اسم الإشارة في هذا البيت يبعث على التّركيز عليه، ويشير إلى تميّزه[3].

يقول المتنبّي: [الطّويل]

عَصَفنَ بِهِم يَومَ اللِّقانِ وَسُقتَهُم بِهِنـريطَ[4] حَتَّـى ابـيضَّ بِالسَّـبيِ آمِـدُ[5]

في صورة لونيّة أخرى، يصوّر المتنبي انتقال الخيول من اللّقان إلى هنريط، فاستخدم الشّاعر اللّون الأبيض استخداماً رمزيّاً؛ ليبيّن أنّ سبب ابيضاض "آمد" هو كثرة الأسرى الّذين جاء بهم سيف الدّولة إلى المنطقة، ليدلّ الأمر على السّعادة والنّصر والتّفاؤل بهذا الحدث[6].

يقول المتنبّي: [الطّويل]

فيَوْمـاً بخَيْـلٍ تَطْـرُدُ الـرّومَ عَـنْهُمُ وَيَوْمـاً بجُـودٍ تطرُدُ الفَقْرَ وَالجَدْبَا[7]

---

[1] يُنظر: **الدّيوان**:441/2.
[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي**،171/3.
[3] يُنظر: المانع، سعاد، **سيفيات المتنبّي- دراسة نقديّة للاستخدام اللّغوي**،186.
[4] **هِنريطُ:** من الثّغور الرّومية، الحمويّ ،ياقوت،**معجم البلدان**، 418/5.
[5] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان المتنبّي**،209/3. **وآمد**: لفظة روميّة، وهو بلد حصين مبنيّ بالحجارة السّود على نشز ودجلة محيطة بأكثره مستديرة كالهلال، الحموي ،ياقوت،**معجم البلدان**،56/1.
[6] يُنظر: زاده، عيسى، **دلالة اللّون في شعر المتنبّي**، مجلة إضاءات نقديّة، العدد 15، 2014، 139.
[7] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطيّب المتنبّي**،235/3.

أشار الشّاعر من خلال تكرار الزّمن في البيت إلى تكرار الحدث، فالممدوح يطرد الرّوم تارَة والفقر تارَة أخرى، فتوقف الشّاعر عند لفظة "اليوم" ليشير إلى اهتمامه بالحدث[1].

وقد علم أبو فراس في أسره أنّ أفراداً من قومه كرهوا رؤيته محرّراً، فقال: [الطّويل]

فَعَالي لَهُمْ، لو أنْصَفوا في جَمالِها وحَظٌّ لِنَفسي، اليَومَ،وَهْوَ لَهُم غَدا[2]

يقول أبو فراس: [الطّويل]

مَتى تُخْلِفُ الأيّامُ مِثلي لكُمْ فَتًى طَوِيلَ نِجَادِ السَّيفِ رَحْبَ المُقَلَّدِ؟
مَتى تَلِدُ الأيّامُ مِثْلي لَكُمْ فَتًى شَدِيداً عَلى البأساءِ، غَيرَ مُلَهَّدِ؟[3]

وأظهر الشّاعر لفظة الأيام وقام بتكرارها مرتين؛ لتدّل على التّعظيم من شأنه، وليؤّكد علوّ منزلته، وأهميّته لقومه وقضيّته، في سعيه وإصراره على الفكاك من أسره وذلّه.

يقول : [الكامل]

وَأَزَرتَ" صارِخَةَ" الخُيولَ!فَيا لَها مِن زَوْرَةٍ طَلَعَت بِطَيرٍ أَشأَمِ
أَحرقتَ أَهليها بِها فَتَرَكتَهُم في جَمرِها المُتَلَهّبِ المُتَضَرِّمِ
فَكَأَنّما عَجّلْتَ ما قَد أُوعِدوا يَومَ القِيامَةِ، مِن عَذابِ جَهَنّمِ[4]

ويظهر التّناصّ الأدبي مع المثل الشعبيّ:" أشأم من طير العراقيب"[5] فالشّاعر يرى في توافد الخيول على أرض صارخة شؤماً، يشبه شؤم طيور العراقيب، ليحوّل أرضها إلى جمر ملتهب حرق أهلها، فيشّبه ذلك الحريق المتأجج بيوم القيامة، ليعجّل في حساب الله لهم.

---

[1] يُنظر: المانع، سعاد، **سيفيات المتنبّي- دراسة نقديّة للاستخدام اللّغويّ**، 186.
[2] **الدّيوان**: 86. يُنظر أيضاً: 97/96.
[3] **نفسه**: 98. ويُنظر أيضاً: 101و 161و 254و 282.
ملهَّد: المستضعف والذّليل، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"لهد".
[4] **الدّيوان**: 315.
[5] الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمد، **مجمع الأمثال**، 383/1.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

فتًى يَشتَهي طُولَ البلادِ وَوَقته تَضيقُ بِهِ أوقاتُهُ وَالمَقاصِدُ[1]

يصوّر الشّاعر ضيق المكان على سيف الدّولة وآماله العظام، فرغبته كبيرة في استمرار الفتوحات واتّساع رقعة الخلافة، فتلك الأمنيات وذلك الجيش العظيم لا أرض تحتويه، فالقائد يتمنى أن يطول العمر، ويتسنّى له تحقيق مرامه، فيا ليت الزّمان والمكان يحوي تلك الأمنيات العظيمة.

يقول المتنبّي : [الطّويل]

فَلِلَّــهِ وَقــتٌ ذَوَّبَ الغِــشَّ نــارُهُ فَلَــم يَبْــقَ إلّا صــارِمٌ أَو ضُــبارِمُ[2]

ويصّور الشّاعر في هذا البيت المعركة من نهايتها، ليبيّن النتيجة الّتي آلت إليها الأحداث، ليقصد بكلمة "وقت" يوم، وليكون ذلك اليوم شاهداً على حرب ذوّبت ما لا خير فيه من السّلاح والرّجال، ولم يبق إلّا السّيف والرّجل الشّجاع[3].

أمّا يوم السّبت من أيام الأسبوع فقد سمّي كذلك "لأنّ الله تعالى ابتدأ الخلق فيه، وقطع فيه بعض خلق الأرض؛ ويقال أُمر فيه بنو إسرائيل بقطع الأعمال وتركها"[4]

يقول أبو تمّام: [الطّويل]

بِهِ سُبِتُوا فـي السَّـبتِ بـالبيض والقَنـا سُـبَاتاً ثَـوَوْا مِنـه إلـى الْحَشْـرِ نُوَّمـا
فلـوْ لـمْ يُقَصِّـرْ بالعَروبَـةِ [5] لـم يَـزَلْ لنَــا عُمُــرَ الأيــامِ عِيــداً ومَوْسِــما
ومــا ذَكَــرَ الــدّهرُ العبــوسُ بأنَّــه لــه ابـنٌ كيـومِ السـبتِ إلا تَبسَّـما[6]

---

[1] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان المتنبّي**،210/3.
[2] نفسه:427/3.
ضبارم: الجريء على الأعداء، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "ضبرم".
[3] يُنظر: حسيب، عماد، **البناء الدّراميّ في الشّعر العربيّ القديم**، 85-86.
[4] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " سبت".
[5] **العروبة**: الجمعة، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "عرب".
[6] **الدّيوان**: 243/3. يُنظر أيضاً: 141/3.

يصف الشّاعر في هذه الأبيات هزيمة الرّوم في وادي عقرقس، ويشير إلى زمان المعركة بيوم السّبت، الّذي كان يوم نصر وفرحة للمسلمين، ولولا أنّهم يعظّمون يوم الجمعة، لأنّه عيدهم لاتخذوا السّبت لهم عيداً[1].

وجاء ذكر شهر رجب وصفر في قصيدة عمّورِية، يقول أبو تمّام: [البسيط]

عَجائِبـاً زَعَمـوا الأيّـامَ مُجْفِلَـةً عَـنْهُنَّ فـي صَـفَرِ الأَصْـفَار أَوْ رَجَـبِ[2]

زعم المنجّمون حدوث أمورٍ في شهريّ رجب وصفر، فالشّاعر يسخر من أقوالهم ويستهزىء بتنبؤاتهم البعيدة عن الصّدق، والمنافية للواقع. فالزّعم في البيت الشّعريّ دليل على ضعف الرّوم، فالزّعم لا يقود إلى المزعوم إطلاقاً، واعتمادهم على التّنجيم يدلّ على ضعفهم[3].

أمّا عن شهر آب، فيقول أبو تمّام: [البسيط]

تِسْعُونَ أَلْفاً كآسـادِ الشَّرَى نَضِجَتْ أَعمـارُهُم قَبْـلَ نُضْـجِ التِّـينِ والعِنَـبِ[4]

واستعار الشّاعر في هذا البيت نضج الأعمار للقتل، إذ قرنه بنضج التّين والعنب في شهر آب، وقيل إنّ المعتصم قد سمع رهبان الرّوم يقولون : "إننا نجد في كتبنا أنّه لا يفتح هذه المدينة إلّا ملك يغرس في ظاهرها شجر التّين والكرم، ثمّ يقيم هذا الملك حتى يُثمر التّين والعنب" فأمر أن يغرس في ظاهرها التّين والكرم ثمّ فتح الله عليه قبل أن يُثمر[5].

وقدّم أبو تمّام بيتاً عن زمن شروق الشّمس ليربط الحدث بالزّمن، فيقول: [الخفيف]

أَورَثَـتْ "صـاغِرَى[6] " صَـغَاراً ورَغْمـاً وقَضَـتْ "أوقَضَـى"[7] قُبيـلَ الشُّـروقِ[8]

---

[1] يُنظر: : عيسى ، فوزي، **في الشّعر العباسي**، 68.
[2] **الدّيوان**: 43/1.
[3] الجبر، خالد، **بلاغة بنية قصيدة أبي تمّام في فتح عمّوريّة**، مجلّة دراسات، مجلد41، ملحق2، 673،2013.
[4] **الدّيوان**: 69/1.
[5] عبد اللّطيف، عاطف، **الزّمن في شعر أبي تمّام - دراسة موضوعيّة فنّية**، حوليّة كلية اللغة العربية، مجلّد 3، العدد 34 ، 2014، 2585.
[6] **صاغِرة**: بلد من بلاد الرّوم، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 389/3.
[7] **أوقَضَى**: موضع، الحموي، ياقوت،**معجم البلدان**، 282/1. هكذا ورد، وبحثت عن تعريف لهذا المكان ولم أجد.
[8] **الدّيوان**: 442/2.

وأشار الشاّعر هنا لسقوط البلدين، فصاغرى أذاقها الجيش الإسلامي الذّل والمهانة ، أمّا " أوقضى" فسقطت في أيدي المسلمين قبيل الشّروق.

وجاءت لفظة اليوم والشّهور في شعر أبي تمّام أبي تمّام للدّلالة على أيام الوقعات الحربيّة الّتي جرت، وأبرز المتنبّي اليوم كميقات زمنيّ، ، أمّا أبو فراس فلم تظهر ألفاظ الأيام لديه في شعر الصّراع.

وقدّم الشّعراء الثلاثة الدّهر بصور شتّى، فأبو تمّام أبرز ضعف الدّهر تارة ، وقوّته المحسوسة تارة أخرى، وجاء في أبيات أخرى دالّاً على الوقت، ومطواعاً في مواضع ، وأنسن الدّهر في أبيات آخرى، وأبرز التّناص التّاريخيّ، أمّا المتنبي فقدّمه قويّاً وضعيفاً، وشخّصه في مناسبات أخرى، وأظهر مكانة الممدوح بإضعافه في صورة سلبيّة، وأنسن الدّهر، وأظهره أيضاً حامياً للعدوّ، وأبرز أبو فراس الحَمدانّي الدّهر في أبياته قوياً ودالّا على الصّمود.

والمتأمل للنّصوص الّتي تمّ تشخيص الدّهر فيها، يجد ظاهرة لافتة تتمثّل في كون الشّعراء لم يتركوا صفة للإنسان إلّا ونسبوها للدّهر، سواء أكانت إنسانيّة أم غير إنسانيّة، وكأنّهم أرادوا أن يجعلوا الدّهر رمزاً لقوة غريبة يشعرون بها[1].

واستطاع المتنبّي من خلال شعره أن يبرز الزّمن وفقاً لرؤيته، ليجعله مطواعاً له وخاضعاً، رغم قوّة الزّمن غير المحدود، وسيطرة القدر على مجرياته، وفي صورة أخرى جاء الزّمن لديه قويّاً، فشكّل رمزاً للجبروت والتحكّم والهيمنة ، كما عهدناه ليخدم مصالحه، وقدّم أبو فراس الحمدانيّ صورة مشابهة للزّمن في أبياته، وجعله تحت إمرته ورغباته، ليكون حاضراً في قوّته وجبروته، فظهرت لديه أنسنة الزّمن في صور سلبيّة وإيجابيّة واستخدم التّناص التّاريخيّ لإبرازه.

أمّا الزّمن الجزئي، فبرزت لفظ السّنين لدى أبي تمّام، ولفظة اللّيالي أبرزها أبو تمّام في التّناص الدّينيّ في عدّة أبيات، وظهرت لديه أيضاً أنسنة اللّيل، وقدّم له صوراً لونيّة وذكر برودة اللّيل، واحتدام الصّراع في عدّة أبيات بين الطّرفين ليلاً، وأنسن المتنبّي اللّيل في أبياته، وعند أبي فراس شكّل بداية

[1] يُنظر: الشّمري، ثائر، **التّشخيص في الشّعر العباسيّ**، 202.

الاستعدادات للمعركة، ومدة الانتظار، أمّا النّهار فبرز لدى أبي تمّام كبداية ليوم نصر جديد، يبعث الأمل ويستنهض الهمم، وأظهر المتنّبي ساحة القتال في نُهرُ تلك الأيام، وكذلك الصّباح جاء ليرمز لبدء يوم جديد، وتحدّث المتنبّي عن كثرة الحروب الّتي دارت.

ومثّل شروق الشّمس في شعر الصّراع لوحة بديعة لمعارك ذلك العصر، لتشهد على معارك دارت، فتراقب من بُعد أحداثاً جرت، وجاء ذكر السآّعة أيضاً في شعرهم، كميقات لحروبهم، وأظهروا الشّتاء وقسوته، ومجابهة المسلمين لعدوّهم في ظل برودته، فاضطروا لخوض تلك الحروب، رغم شدّة الفصل وصعوبه الحروب فيه، وجاء لفظ اليوم ليدلّ على يوم المعركة وأحداثها.

الفصل الثّالث

أبعاد الزّمكانيّة في شعر الصّراع

- البعد التّاريخيّ
- البعد الدّينيّ
- البعد النّفسيّ
- البعد الانتمائيّ

- **البعد التّاريخيّ**

يحوي الأدب النثريّ والشّعريّ حياتنا الرّحبة، ويثريها، فمنه يبرز فكر الإنسان على مدى العصور، ليعكس حياته، وشغفه، ورؤيته، لجميع المستجدّات من حوله، فقد عايش الشّعراء ذلك العصر، وشهدوا أحداثه السّياسية والتّاريخيّة، واستطاع شعرهم أن يقرّب عصوراً سلفت، ومضى صخبها، ليقدّم خلاصة أحداث وصراعات، عاشوها وعايشوها، فالعصر العباسيّ كغيره من العصور شهد الكثير، فالدّولة الجديدة حاربت من أجل بقائها، وسعت لاتساع رقعتها، وكغيرها واجهت التحدّيّات من داخل حدودها وخارجها، فما كان منها إلّا أن تعلن الحرب دفاعاً عن حدودها ومعتقداتها، لتقوم حروب وصراعات، خرجت منها الدّولة العباسيّة، متأرجحة بين االظّفر والخسارة.

فالمكان: "يشكّل جزءًا من الحدث في تطوّر القصيدة، وهو يحيي التّجربة واللّحظة الشّعريّة الّتي يعايشها الشّاعر، ويمثّل ذات الشّاعر المؤثّرة والمتأثّرة بقضاياه وأبعاده المختلفة من نفسيّة أو دينيّة أو اجتماعيّة أو تاريخيّة[1]".

"والمكان التّاريخيّ هو المكان الّذي يُستحضر لارتباطه بعهدٍ مضى، أو لكونه علاقة في سياق الزّمن، وهكذا يتّخذ المكان شخصيّة زمانيّة"[2].

إذ اتّسعت رقعة الخلافة العبّاسيّة لتشمل مناطق شاسعة من آسيا وإفريقيا، ضمّت أيضاً مناطق ذات معطيات حضاريّة متباينة كبلاد الشّام ووادي النّيل وشمال إفريقيا والجزيرة العربيّة[3]، ولم تعتمد حروب البيزنطيين والعبّاسيين على الفتح المنظّم، بل أخذت طابع الهجوم، فاجتيحت المدن والحصون، لتتأرجح بين هجوم وانسحاب، فكانت الغزوات تهدف لتخريب الحصون وإرهاب العدوّ[4].

---

[1] خليفة، خالد، **توظيف المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر**، 117.
[2] سعيد، خالدة، **حركيّة الإبداع- دراسات في الأدب العربيّ الحديث**،26.
[3] يُنظر: حطيط، كاظم، **دراسات في الأدب العربيّ**،11.
[4] يُنظر: عزّام، خالد، **العصر العبّاسيّ**، 107.

واستمرت الحروب بين الطّرفين في القرنين الثّالث والرّابع على شكل غارات يتجاوز كلّ طرف فيها حدوده، ليشمل التّخريب والتّدمير، ولتكون الكفة راجحة للمسلمين، إذ كانوا يغيرون على بلاد الرّوم متجاوزين حدودها[1].

واستمرت الحروب بين الدّولة الحمدانيّة والرّوم في القرن الرّابع الهجريّ، وفي فترة تولّي سيف الدّولة للحكم، زادت وتيرة الحروب، فوقعت معارك كبيرة وصغيرة، إذ حرص سيف الدّولة على نصرة أخيه النّاصر بالموصل تارَة، وسعى للدّفاع عن الثّغور تارَة أخرى، أو سعى متوجّهاً لغزو بلاد الرّوم تارة أخرى[2].

والمتتبّع لتلك الحروب بين سيف الدّولة والرّوم، يستشعر الأثر الكبير الّذي تركته تلك الحروب في صد هجمات العدوّ المتربص بالدّولة العباسيّة، فكان لزاماً على الأدب أن يشارك في عرض تلك الوقائع والمعارك الّتي دارت بين الطّرفين[3].

وقال الشّعراء في حروب العرب والرّوم شعراً كثيراً، فوصفوا الوقائع بإحكام وتفصيل، ليتناولوا الإمارات التّي انفضّت من العباسيّين حين خارت قواهم، لتكون الدّولة الحمدانيّة زعيمة تلك الحرب لأكثر من نصف قرن، فقدّم المتنبي وأبو فراس قصائد جمة، قصائد المتنبّي وأبي تمّام وغيرهما اتخذت الشّعر غاية لا وسيلة، هدفا لوصف البطولة وتصويرها ليجعلاها سجلّاً للحرب مقصودة لذاتها[4].

وعزّز الشّعر الرّوايات التّاريخيّة وثبّتها، وقد شكّل في ظروف زمنيّة محدّدة صورة جليّة وحقيقيّة لتاريخ ما، فجزء من تراثنا الّذي انبعثت منه الحياة، واستشعرنا منه الماضي البعيد، عرض لنا شريطاً لأخبار أسلافنا وحياتهم وأحوالهم السّياسيّة والدّينيّة والاجتماعيّة[5].

إذ إنّ طبيعة المكان الجامدة تضمن الحفاظ على وجوده عبر فترة زمنيّة طويلة، ليشكّل رمزاً مهمّاً من رموز البقاء والانتصار على الزّمن، والحفاظ على تاريخ الأحداث، ويصبح سجلّاً يساعد على تشكّل التّراث الحضاريّ، وأهم عنصر من عناصر الذّاكرة[6].

---

[1] يُنظر: رشدي، حسن،**شعر البحتريّ في حروب المسلمين مع الرّوم**، مجلة مؤتة للبحوث والدّراسات، ، المجلّد 2، العدد 2، 1987 ،206.
[2] يُنظر: ديب، محمد، **شعر الحماسة –في العصر العباسيّ الثّاني**، 51.
[3] يُنظر: قزمازي، عمر، **الصّراع مع الرّوم في سيفيات المتنبّي- دراسة موضوعيّة وفنّية**، مجلة كليّة اللّغة العربيّة، المجلد1، عدد26، 2006، 627.
[4] يُنظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،229-230.
[5] يُنظر: نهر، هادي، **المتنبّي-شعر الحماسة والحكمة**، 225.
[6] خليفة، خالد، **توظيف المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر**،133.

فالمتنبّي وأبو تمّام وأبو فراس الحمداني، وغيرهم من الشّعراء قدموا صوراً حيّة لصراعات عصرهم، مزجت بالعاطفة الوطنية، والدّينيّة، والإخلاص للدّولة وحكّامها، والنّقمة على الأعداء، فكان صوت الشّعراء ولايزال حتى يومنا هذا سلاحاً قوّياً في وجه التّحديات، وباعثاً للقوّة، ورمزاً للصّمود. يقول أبو تمّام: [البسيط]

فــتحٌ تفــتَّحُ أبــوابُ السَّــماءِ لــهُ وتَبْــرُزُ الأرضُ فــي أثوابِهــا القُشُــبِ
يــا يَــومَ وَقعَــةِ عَمُّورِيَّــة انصَــرَفَت مِنــكِ المُنــى حُفَّــلاً مَعســولَةَ الحَلَــبِ[1]

ومن تلك المعارك الّتي أرّخها الشّعراء معركة فتح عموريّة، فقدّم أبو تمّام تصويراً تاريخيّاً مهمّاً لتلك المعركة، يجعل القارىء يعيش أحداثها، وتفاصيلها. إذ استغلّ الرّوم انشغال المسلمين بحروب بابك، فهجموا على البلاد الإسلاميّة، وأغار توفيل بن ميخائيل على زبطرة، وخرّبها، وسبّب الهلع لأهلها، لتصرخ امرأة هاشميّة مناديةً المعتصم، فهبّ ملبّياً نداءها، إذ خرّب توفيل مدينة لها ذكرى في قلبه، فقصد عمّورية لعظمتها وأهميّتها لديهم[2].

فجهّز الخليفة جيشاً بلغ مائتي ألف أو يزيدون، مزوّدين بالعتاد، قطع البلاد؛ ليقصد أحصن بلاد الرّوم، فيدخلها من سميساط والحدث، ليبلغ أسوارها الشّاهقة، ويُحدث صدعاً فيه، ويخترقها[3]، بالرّغم من وجود خندق ضخمٍ، يحيط بالمدينة، لكنّ ذلك لم يعق تقدّم الخليفة، فاستمر في حصاره، وأكثر من ضربات المنجنيق ليتحطّم سورها، ويهرع المسلمون لاقتحامها[4].

وتعدّ القصيدة من أهم ملاحمه، الّتي مدح فيها المعتصم، ليسجّل انتصاره على البيزنطيين، ويتحدّث عن وقعتها، وما حقّقته للمسلمين من مجد، بينما خسر الرّوم خسارة فادحة[5]، فعظمة هذا الفتح كبيرة بلغت عنان السّماء لتهب الأرض خيراً وحلّة جديدة، فالشّاعر شخّص الأرض لتظهر لابسة ثوبها الجديد كرمز للفرح والبهجة بهذا الفتح الإسلاميّ العظيم، لتشارك كلّ معالم الخالق فرحته، فالشّاعر

---

[1] **الدّيوان**: 46/1.
[2] يُنظر: فرّوخ، عمر، **أبو تمّام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله**، 51.
[3] يُنظر: ضيف، شوقي، **في التّراث والشّعر واللّغة**، 131.
[4] يُنظر: العريني، عبد الله، **شعر جهاد الرّوم- حتى نهاية القرن الرّابع الهجريّ في موازين النّقد الأدبيّ**،33.
[5] يُنظر: ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي-العصر العبّاسيّ الأوّل**، 283-284.

يختار عنان السّماء وعلوّها لتكون الأبواب مفتوحة على مصراعيها لاستقبال البشرى والفرح، فالشّاعر يبرز الصّورة اللّونيّة لتتزيّن الأرض باللّون الأخضر رمزاً للخصب والخير.

وفي البيت الثّاني"يشبّه المُنى بالضّروع، والأثدية الّتي حفلت بالعسل بديل اللّبن،وهي إشارة إلى تشبيه اليوم بالذّكر وعمّورية بالأنثى، والمنى ثدياها"[1]، واستخدم أسلوب التّشخيص، فعموريّة قد تحوّلت عنده إلى فتاة، برزت تصون نفسها[2].

يقول أبو تمّام: [الطّويل]

كَـأَنَّ بِـلادَ الـرُّومِ عُمَّـتْ بِصَـيحَةٍ فَضَـمَّتْ حَشَـاها أَو رَغَـا وَسْـطَهَا السَّـقْبُ
بصَـاغِرَةِ القُصْـوَى وطِمَّـيْنَ واقْتَـرَى بِـلاد قَرَنْطَـاوُوسَ وَابِلُـكَ السَّـكْبُ[3]

ومن أبطال المعارك المأمونيّة، خالد بن يزيد الشّيبانيّ، فأبو تمّام يبرز نصراً له حين تبع بجنوده توفيل، بعد هربه، من أيدي المأمون، ليوغل وراءه في بلاد الرّوم، يأسر ويغنم، ويراسله توفيل خانعاً، ليطلب الصّفح، فيوغل في فراره، ليسيطر الرّعب عليه، فصوّر أبو تمّام ممجّداً لخالد[4]، فالشّاعر يبرز صورة صوتيّة استقاها من التّاريخ؛ لتتلاءم مع مجريات الحرب، وتمثّل نذير الشّؤم والحظ السيّء لعدوّه، فتعمّ تلك اللّعنة كل بلاد الرّوم كمطر شديد الهطول ليخلق الشّاعر مفارقة بتصويره لهطول المطر باللّعنة والخراب.

فأبو تمّام أظهر قدرته عند تعامله مع المادة التّاريخيّة، الّتي تثري مادته الفنّية، فأظهر ذكاءه في اختياره للمادة الإسلاميّة الّتي ظهرت في كثير من ألفاظه وصوره[5]، فحوى مدحه معلومات تاريخيّة، للحروب بين المسلمين وأعدائهم، وخاصة بين العرب والرّوم، فوصف انتصاراتهم وهزيمة أعدائهم، وعدّد الأماكن الّتي جرت فيها حروبهم[6].

وكانت الأمة في عصر المتنبي ممزّقة الأوصال، محاطة بالأعداء، وفي ظل تلك الظروف وُجدت إمارة عربية أبيّة رفضت الذّل، وحرصت برجالها الأبطال أن يكونوا رمزاً للفرد العربيّ، فلكلمات المتنبّي

---

[1] أبو حمده، محمد، **في التّذوق الجمالي لقصيدة أبي تمام الطّائي في فتح عموريّة-دراسة نقديّة إبداعيّة**،49.
[2] يُنظر: عبد الرحمن ، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم- في ضوء التّاريخ " العصر العباسيّ حتّى نهاية القرن الرّابع"**،،185.
[3] **الدّيوان**: 189/1-190.
[4] يُنظر: ضيف، شوقي، **في التّراث والشّعر واللّغة**، 128.
[5] يُنظر: التّطاوي، عبد الله، **أشكال الصّراع في القصيدة العربيّة**، 73/5.
[6] يُنظر: البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الأعصر العبّاسيّة**،97.

دورها في إشعال التّحدي وتحريك الهمم، فدعا إلى الثّورة والتّخلص من الأعداء[1]. وعدّ شعر الحماسة للمتنبّي سجلّاً تاريخيّاً لمعارك حربية نشبت ضد الرّوم، إذ أرّخ لوقائع سيف الدولة الداخليّة والخارجيّة، فنماذجه الحربيّة أذكت روح النّضال في وجدان الجماهير في ذلك الوقت، وصعّدت لديهم الوعي القوميّ والوطنيّ، فعزّز تفاؤلها بالنّصر في معارك شتّى[2].

يقول: [الوافر]

لِهَـذا اليَـومِ بَعـدَ غَـدٍ أَريـجُ وَنَـارٌ فـي العَـدُوّ لهـا أَجـيجُ[3]

وتعدّ معركة خرشنة الّتي حدثت سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة، من أشهر معارك سيف الدّولة مع الرّوم، والّتي آذى فيها سيف الدّولة الرّوم وغنم غنائمهم، وألحق بهم هزيمة ذريعة، فصحب المتنبّي سيف الدّولة في هذه الوقعة[4]، لكن ما لبث أنّ تحوّل نصره إلى هزيمة، ليعود في السّنة التاليّة، فيكتسح العدّو، ويمضى قاصداً الوصول لخرشنة، لكنّ الثّلج أعاق مسيره فعاد[5]، فهذا النّصر لم يدم طويلاً، فقام الرّوم بهجوم مرتدّ، ليستولوا على مخارم الجبال، فصبّوا الصّخور على جيش سيف الدّولة، فتشتّت وفرّ جمعه وتقطّع جنده، ليعود سيف الدّولة مهزوماً إلى دمشق[6]، فيظهر الزّمن في صورة إيجابيّة ويعلن من خلاله الأمل في غد مشرق، وليقدّم الصّورة اللّونيّة في شرار النّار؛ ليملأ المكان خوفاً، وهزيمةً قريبة ستلحق العدوّ.

يقول المتنبّي: [البسيط]

حَتّـى أَقـامَ عَلَـى أَربـاضِ خَرشَـنَةٍ تَشـقَى بِـهِ الـرُّومُ والصُـلبانُ والبِيَـعُ[7]

---

[1] يُنظر: نهر، هادي، **المتنبي-شعر الحماسة والحكمة**، 54.
[2] يُنظر: نفسه، 225-227.
[3] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،171/3.
[4] يُنظر: العتيبي، ضيف الله، **المتنبّي في الدّراسات الأدبيّة الحديثة في مصر**، 206.
[5] يُنظر: بدوي ، أحمد ، **شاعر بني حمدان**،155.
[6] يُنظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،265.
[7] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،180/3.

ولدى عودة سيف الدّولة مهزوماً من المعركة أنشد فيه قصيدة من أقوى قصائده[1]، فمعركة خرشنة أو معركة جبل اللّقان، الّتي توغّل فيها سيف الدّولة في أرض الرّوم، عبر نهر "آلس" ثم اجتاز مدينة صارخة، وحرق أرباضها، ثمّ توجّه إلى خرشنة، ذات القلعة الحصينة[2].

يقول أبو فراس الحمدانيّ في الحادثه نفسها، يصف تقدّم الجيش ووصوله للّقان: [الطّويل]

وَأَوْرَدَهـا بَطـنَ اللُّقـانِ وظَهْـرَهُ يَطَــأنَ بِــهِ القَتْلَــى، خِفــافٌ حَــوادِرُ[3]

يقول المتنبّي: [الطّويل]

نَــزُورُ دِيــاراً مــا نُحِــبُّ لهَــا مَغْنــى وَنَسْــألُ فيهــا غَيــرَ سُــكَّانِها الإذْنَــا
نَقُــودُ إلَيْهَــا الآخِــذاتِ لَنَــا المَــدَى عَلَيْهَــا الكُمــاةُ المُحْسِــنونَ بهــا ظَنّــا
وَنُصْفِي الّذي يُكنى أبا الحسنِ الهَوَى وَنُرْضِــي الــذي يُسَــمَى الإلَــه وَلا يُكْنَــى
وَقَــدْ عَلِــمَ الــرُّومُ الشّــقِيّونَ أنّنَــا إذا مــا تَرَكْنــا أرْضَــهُمْ خلفَنــا عُــدْنَا[4]

وفي سنة أربعين وثلاثمئة، أراد سيف الدّولة أن يغسل عن المسلمين وضر الهزيمة، فزحف إلى المكان نفسه الّذي عرض فيه الجيش سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة ، لكنّ الجيش علم بعظم جيش الرّوم فهاب، فطلب من المتنبّي أنّ يبثّ العزيمة في نفوسهم،[5]، فلاقى الجيش الإسلاميّ الرّوم في معركة " السّنبوس"، فنظّم الشّاعر قصيدته، يذكّرهم بأنّ الغزو ديدنهم، وعلى المؤمنين مواجهة العدو[6]، وفي مطلعها تهيّب الجيش لغزو سمندو، لتكون تلك القصيدة تثبيتاً وتحريضاً لعزائم الجنود، فسيف الدّولة لا يستأذن قبل دخول أراضي العدوّ،بل يندفع بجيشه لملاقاة عدوّه[7]، ليُظهر الشّاعر

---

[1] يُنظر: بدوي ، أحمد ، **شاعر بني حمدان**،155.
[2] يُنظر: ديب، محمد، **شعر الحماسة في العصر العباسيّ الثّاني**، 51-52.
[3] **الدّيوان**:141.
حَوادِر: مكتنزة ضخام، ابن منظور،**لسان العرب**، مادة"حدر".
[4] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،3/193-194.
[5] يُنظر: حسين، طه، **مع المتنبي**، 225-226.
[6] يُنظر: قزمازي، عمر، **الصّراع مع الرّوم في سيفيات المتنبّي- دراسة موضوعيّة وفنّية**، مجلّة كلّية اللّغة العربيّة، المجلّد 1، عدد 26، 2006، 645.
[7] يُنظر:الحفيظ، علي، **معارك سيف الدّولة مع الرّوم في شعر المتنبي**،ماجستير،جامعة أمّ درمان الإسلاميّة، السّودان،2011، 66.

الصّورة المكانيّة في غزوهم التّاريخيّ، فالشّعر أبرز الدّيار في صورة المكان المعادي غير محبّب للمسلمين، فالأرض الرّوميّة مقصدهم والهدف المنشود، بكلّ أبعاده وتطلعاتهم العسكريّة.

يقول المتنبّي: [الطّويل]

وَكَـرّتْ فمَـرّتْ فـي دِمـاءِ مَلَطْيَـةٍ مَلَطْيَـــــةُ أُمٌّ للبَنِـــــينَ ثَكُـــــولُ
وَأَضْـعَفْنَ مـا خَلَّصـنَهُ مِـنْ قُباقِـبٍ فأَضْـحَى كـأنّ المـاءَ فيـهِ عَليـلُ
وَرُعْـنَ بِنَـا قَلْـبَ الفُـراتِ كأنّمَـا تَخِـــرُّ عَلَيْـــهِ بالرّجـــالِ سُـــيُولُ
وَدونَ سُمَيساطَ[1] المَطامِيرُ[2] وَالمَلا[3] وَأودِيَـــــةٌ مَجهولـــــةٌ وهُجُـــــولُ[4]

ومعركة **الثّغور** التّي وقعت سنّة ثلاث وأربعين وثلاثمائة للهجرة، الّتي بلغ سيف الدّولة فيها إنّ عدوه في بلد المسليمن، فجاء الثّغور حتى بلغ سميساط، فخرج إلى بلاد دلوك وصنجة وعرقة وموزار وملطية وقباقب وهنريط وسُمنين؛ ليهزم الرّوم في معارك متوالية[5]، فقاد سيف الدّولة حملة ضخمة، ضد الدّولة البيزنطيّة، فاخترق أراضيها من مضايق طوروس إلى الشّمال الغربي، وعبر ملطية واجتاز قباقب، وعاد إلى سوريا عن طريق بلاد ما بين النّهرين؛ لينال من العدوّ، فسجّل المتنبّي هذه الوقائع[6]، فالمتتبّع لشعره يرى دقة الشّاعر في وصف الحدث ، وإبراز الأمكنة بتسلسل دقيق، ليكون شعره شاهداً على أحداث تلك المعركة.

يقول المتنبي: [الطّويل]

هَـل الحَـدَثُ الحمـراء تَعـرِفُ لونَهـا وَتَعلَـــمُ أَيُّ السّـــاقِيَيْنِ الغَمـــائِمُ
سَـقَتْها الغَمَـامُ الغُـرُّ قَبْـلَ نُزُولِـهِ فَلَمّـا دَنَـا مِنهـا سَـقَتْها الجَمـاجِمُ[7]

---

[1] **سُمَيساطَ**: مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الرّوم على غربي الفرات ولها قلعة في شق منها يسكنها الأرمن، ومالكها في هذا الزّمان الملك الأفضل علي بن الملك الناصر يوسف بن أيوب صلاح الدّين، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**، 358/3.

[2] **المطامير**: مفردها المطمورة وهي حُفر تحفر في الأرض تُوسع أسافلها تُخبّأ فيها الحبوب، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة " طمر".

[3] **الملا**: المتّسع من الأرض، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "ملا".

[4] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،343/3-347. يُنظر أيضاً: 340/3-342.
هجول: المطمئن من الأرض نحو الغائط، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "هجل"

[5] يُنظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**، 273.

[6] يُنظر: نهر، هادي، **المتنبّي-شعر الحماسة والحكمة**، 228.

[7] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،422/3-423.

ومعركة الحدث الّتي وصفها المتنبّي " بالحدث الحمراء"؛ لكثرة ما أريق على القلعة من دماء الرّوم، فقائد الرّوم قد هاجم المسلمين بجيش قوامه خمسون ألفاً من الرّجالة والفرسان، فيهم البلغار والأرمن، أمّا سيف الدّولة فلم يكن معه غير خمسمائة من حرسه الخاص، غير أن النّصر كان حليف المسلمين فيها[1].

وخلال مسير سيف الدّولة نحو الحدث؛ لبنائها بعد تعرضها للغزو، وتسليمها للقائد الرّوميّ" برداس فوكاس" الّذي سمّاه العرب " الدّمستق"، قصدها سيف الدّولة لإعمارها، فأحسّ العدوّ بالخطر، ليشنّ هجوماً انتهى بانتصار العرب، فعبّر المتنبي عن هذا النّصر في قصيدته[2]، فظهور الصّورة اللّونيّة الحمراء يرمز لكثرة إراقة الدّماء، فالشّاعر أضفى للمكان" الحدث" بعداً معنويّاً وحسّيّاً، لاحتدام تلك المعركة بين الطّرفين.

فتلك القلعة بناها سيف الدّولة في أرض الرّوم، لكنّهم سلبوها وتحصّنوا فيها، فهاجمهم سيف الدّولة، واصطبغت تلك القلعة بالدّماء، لتشهد رجوعها للمسلمين، فالشّاعر شهد القتال، وقدّم القصيدة لتكون تسجيلاً وتتويجاً لنصر عربيّ عظيم[3].

وتعدّ هذه القصيدة من أجمل القصائد الحماسيّة، لما بعثته في النفوس من شجاعة وقوة، وشجّعت الجند على القتال وعدم الإكتراث بقوة الرّوم وعديدهم، فقائدهم ذو همّة عالية، يُعتمد عليه في تسيير الجيش[4].

أمّا أبو فراس الحمدانيّ فيقول: [الطّويل]

تُعـادُ كَمـا عُـوِّدْتَ وَالهـامُ صَـخْرُها وَيُبنَـى بِهـا المَجـدُ المُؤَثَّـلُ وَالحَمـدُ [5]

هنا يتحدّث الشّاعر عن بناء الحدث في قصيدته، ليوثّق صمودها ولتشكّل الصخور هاماتها.

---

[1] يُنظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،277.

[2] يُنظر: نهر، هادي، **المتنبي-شعر الحماسة والحكمة**،105.

[3] يُنظر: حطيط، كاظم، **دراسات في الأدب العربيّ**، 121.

[4] يُنظر: قزمازي، عمر، **الصّراع مع الرّوم في سيفيات المتنبّي- دراسة موضوعيّة وفنّية**، مجلة كليّة اللّغة العربيّة، ، المجلد1، عدد26، 2006، 648.

[5] **الديوان**: 92. يشير أبو فراس في هذا البيت إلى قلعة الحدث الحمراء الّتي استعادها الأمير الحمدانيّ من الرّوم بعد معركة طاحنة.

يقول المتنبّي واصفاً معركة تل البطريق: [الكامل]

يَرْمـــي بهَـــا البَلَـــدَ البَعيـــدَ مُظَفَّـــرٌ كُـــلُّ البَعيـــدِ لَـــهُ قَرِيـــبٌ دانِـــي
فكـــأنّ أرْجُلَهَـــا بتُرْبَـــةِ مَنْـــبِجٍ يَطـــرَحنَ أيـــدِيَها بحِصْـــنِ الـــرّانِ
حَتَّـــى عَبـــرْنَ بأرْسَـــنَاسَ سَـــوَابحاً يَنْشُـــرْنَ فيـــهِ عَمَـــائِمَ الفُرْســـانِ
يَقْمُصْـنَ فـي مِثْـلِ المُـدَى مـن بـارِدٍ يَـــذَرُ الفُحُـــولَ وَهُـــنَّ كالخِصْـــيانِ
وَالمـــاءُ بَـــينَ عَجـــاجَتَينِ مُخَلِّـــصٌ تَتَفَرّقـــــانِ بِـــــهِ وَتَلْتَقِيَـــــانِ[1]

إذ وقعت عام خمسة وأربعين وثلاثمائة للهجرة، فقد وصف المتنبّي فيها هزيمة الرّوم، وصوّر كثرة القتلى والأسرى، ومدح سيف الدّولة وأشاد بحنكته العسكريّة، وشجاعة جيشه في انتصارهم على الرّوم رغم كثرة عددهم[2].

يقول المتنبّي: [الوافر]

وَقَدْ تَمَنَّوْا غَداةَ الدّرْبِ في لَجَبٍ أنْ يُبصِرُوكَ فَلَمّا أبصرُوكَ عَمُوا[3]

وكانت معركة الدّرب هي آخر معركة وصفها المتنبّي لسيف الدّولة مع الرّوم، ليشهد انكساره، وسحق الجيش الحمدانيّ، فكانت نهاية سيف الدّولة، فدخل الرّوم حلب وأحرقوها، ليعمّ السّلب والقتل فيها، ويقتادوا العديد من الأسرى ومن بينهم أبو فراس الحمدانيّ[4].

وفيها يقول أبو فراس: [الطويل]

وَحَسبي بِها يَومَ الأُحيدِبِ وَقعَةً عَلى مِثلِها في العِزِّ تُثنى الخَناصِرُ[5]

يؤكّد الشّاعر أهمية الوقعة للمسلمين، فهي وقعة يعتدّ بها ويُبدأ بذكرها .

---

[1] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،3/531-533.
[2] يُنظر: قزمازي، عمر، **الصّراع مع الرّوم في سيفيات المتنبّي- دراسة موضوعيّة وفنّية**، مجلة كليّة اللّغة العربيّة، المجلد1،عدد26، 2006،657.
[3] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،3/555.
[4] يُنظر: المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب- في العصرين الأمويّ والعبّاسيّ إلى عهد سيف الدّولة**،281-282.
[5] **الديوان**: 142.

قدّم أبو تمّام في قصائده تأريخاً للمعارك الّتي وقعت، فجاء اختياره لقصائده ملائماً لطموحه وتطلعاته، إذ شعر بمسؤوليته الوطنيّة القوميّة، ومن أشهر قصائده "معركة فتح عمّورية" إذ أظهر فيها تسلسل الأحداث بتفاصيلها الدّقيقة، فانبعث من أشعاره روح وطنيّة تخلّد البطولة والتّاريخ العظيم؛ لتكون أبياته مرجعاً لكل من أراد أن يقلّب صفحات الماضي، وعظَم انجازات المسلمين. أمّا المتنبي فقد حوت أشعاره تاريخ حروب تلك الحقبة، فقدّم أحداثها بدقّة وتسلسل، فالقارىء لشعره يلمس فيها حماسة وقوّة وتاريخاً. "إذ جمعت قصائد المتنبّي قيمة تاريخيّة وجغرافيّة عالية القدر، وتعدّ وثائق في غاية الخطورة لكتابة التّاريخ السّياسيّ، والتّحقيق الأدبيّ عن عصر سيف الدّولة"[1]

"فأبيات المتنبّي عرضت "مواقع الجبهة العربيّة البيزنطيّة" الّتي أشار إليها في أشعاره ولم يذكرها مؤرّخ أو أيّ جغرافيّ قبله، بل وبعده، والفضل يعود له في تعيين هذه المواضع ولو على سبيل التّقريب أحياناً"[2]. ولقوّة السّبك في النّصوص، ودقّه إحكامها، وجزالة العبارات فيها، جعلها تقوم مقام فصول من الكتابة التّاريخيّة، ليكون طابعاً عامّاً للنّص، في وصف أحداث الحرب والبطولات فيها[3]. وجاء حديث أبي فراس الحمدانيّ مقتضباً، في سرده لأحداث المعارك.

- **البعد الدّيني**

اتّخذ كثيرٌ من الشّعراء والأدباء الدّين مصدراً يستمدون منه أفكارهم وصورهم، لما تحمله الدّلالات الدّينية من قدسيّة وروحانيّة، تضفي على النّص بعداً مهمّاً، وملهماً، لقدرة النّصوص الدّينيّة وتأثيرها على العقل، والبشر، فالشّعر كان مرآة لتلك الفتوحات الإسلاميّة، وداعماً لأهدافها، فكانت مبادئهم الدّينيّة معبّرة عن فخرهم بدينهم، جاعلين نصب أعينهم حمايته، وإعلاء شأن الدّول الإسلاميّة، فبث القيم الإسلاميّة قد ظهر في الشّعر، وتجلت في شعر بعض الشّعراء، فكان دعوة صريحة، لإعلاء الأخلاق والمبادىء الدّينيّة الدّاعية لنصرة دين الحق وإعلاء راية الإسلام.

[1] عبد الجبّار ، سعود، **الشّعر في رحاب سيف الدّولة الحمدانيّ**، 318.
[2] الغنضروفي، منتصر، **الرّحلة في شعر المتنبي**، 141.
[3] يُنظر: حطيط، كاظم، **دراسات في الأدب العربيّ**، 124.

فللدين أهميّة في حياة البشر، مسلمين ومسيحيين ، فهو يبرز علاقة الإنسان بخالقه، فأماكن العبادة والطّقوس تبرز في فكره وفلسفته، وإبداعاته، ليكون الله ملجأً لحياتهم[1].

ورأى العرب أن الجهاد ضرورة؛ لنشر الدّين، والغزو في سبيل الله، واعتبروا القسطنطينيّة، قلعة العدوّ الحصينة، عاصمة دولة الرّوم، الّتي ينبغي غزوها، وعرضوا الإسلام على أهلها، ولكنّ الرّوم استشعروا الخطر على دولتهم وكيانهم ودينهم، فأعلنوا الحرب على المسلمين ، وحشدوا قوّاتهم، فشُنّت الحملات على حدود الدّولة[2].

يقول أبو تمّام: [البسيط]

لَـو بَيَّنَـتْ قَـطُّ أَمـراً قَبـلَ مَوقِعِـهِ لَـم تُخْـفِ ماحـلَّ بالأَوثـانِ والصُّـلُبِ
أبقيْتَ جدَّ بنـي الإسلامِ فـي صعَدٍ والمُشْرِكينَ ودَارَ الشرْكِ فـي صَبَبِ[3]

في قصيدته "فتح عمّورية" يظهر موقفه الدينيّ جليّاً، ويصّور فيها شجاعة الممدوح وبطولاته، ويُظهر التّأييد الإلهي له، تأكيداً على حسن النّوايا، وحرص الخليفة على رضا الله وبلوغ الهدف للنّصر، محتسباً لا مكتسباً[4]، فالشّاعر يقدّم في البيت الثّاني المكان في صورتين، فالصّورة الأولى يمثّل المكان فيها العلوّ والرّفعة للمسلمين في وقوف الذّات الإلهيّة معهم، والمكان الثّاني يمثّل مكان المشركين في دنوّهم للمكان المنحدر العلو.

وتبرز العاطفة الدّينيّة في قصائد أبي تمّام، وبخاصةٍ ما كان منها في المعتصم، ليمدحه في كلّ أعماله، ويجعله مقدّراً من الله، ولو كانت نتيجة ذلك خراب بلاد بأسرها[5].

يقول الشّاعر أبو تمّام: [البسيط]

غادرتَ فيها بهيمَ اللَّيلِ وهوَ ضُحىً يَشُـلُّهُ وَسْـطَهَا صُـبْحٌ مِـنَ اللَّهَـبِ
حتَّـى كـأنَّ جلابيـبَ الـدُّجى رَغِبَـتْ عَـنْ لَوْنِهَـا وكَـأَنَّ الشَّـمْسَ لَـم تَغِـبِ[6]

---

[1] يُنظر: ساير، محمد، **المكان في الشّعر الأندلسيّ-من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي**،194.
[2] يُنظر: إسماعيل، عز الدّين، **في الأدب العبّاسيّ- الرؤية والفن**، 129.
[3] **الدّيوان**: 1/ 47،45.
[4] يُنظر: التّطاوي، عبد الله، **أشكال الصّراع في القصيدة العربيّة**، 70/5.
[5] يُنظر: البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الأعصر العبّاسيّة**، 97.
[6] **الدّيوان**:53/1.

برز الجانب الدّينيّ في صور أبي تمّام، ليُظهر الرّوم بصورة الإلحاد والكفر، وليقدّم واقع الصّورة النّهائيّة للمدينة المنكوبة، وما آل إليه أمرها، لينهيها الحريق المدّمر، فرؤيته لطبيعة الموقف فرضت عليه متناقضات متصارعة، إسلام وشرك ، عرب وروم، هزيمة وانتصار[1].

كما يقول: [البسيط]

لوْ يَعْلَمُ الكُفْرُ كمْ منْ أعْصُرٍ كَمَنَتْ لَـهُ العَواقِـبُ بَـيْنَ السُّـمْرِ والقُضُـبِ[2]

ويختبـيء الموت ليطوف بـلاد الكفر عصـوراً كثيرة، خلف تلك الرّمـاح، فالبعد الـدّينيّ يظهـر فـي توظيف الشّاعر للفظة " الكفر" ليدّل على بلاد الرّوم، ويحثّ المسلمين على مقاومة عدوانها والتّصدي لهم.

يقول أبو تمّام: [البسيط]

أجَبْتَــهُ مُعلِنــاً بالسَّــيفِ مُنصَــلِتاً وَلَـوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ
حتّـى تَرَكْـتَ عَمـود الشـرْكِ مُنْعَفِـراً ولـم تُعَـرِّجْ علـى الأوتـادِ والطُّنُـبِ[3]

وفي القصيدة نفسها يبرز الشّاعر كفر بلاد الرّوم، وينعتها بالشّرك، ليكون السّيف خير ما يُدافع به في حربهم ضدّ بلاد الرّوم. فجعل دولة الرّوم كالخيمة، عمودها عمّورية، لتكون ضربة المعتصم لها موجعةً، ليمحها من الوجود، فكأنّه طوّح بعمود تلك الخيمة، فلم يضيّع وقته في اقتلاع الأوتاد، لأنّ الأساس هو اقتلاع العمود[4]، فتظهر رغبته في إلحاق الهزيمة الدّينيّة بهم، فهي تبرز واضحة في إعلان الجهاد بالسّيف، ليربط الشيء الحسيّ"عمود الشّرك" بالهزيمة والعار.

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

وَعَّــرَ الــدينَ بــالجِلاَدِ وَلكِنــ نَ وعُــوُرَ العَــدُوِّ صــارتْ سُــهوبا

---

[1] يُنظر: التّطاوي ، عبد الله، **أشكال الصّراع في القصيدة العربيّة**، 81.
[2] **الدّيوان**:1/ 58.
القضب: القضيب من السّيوف اللّطيف، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" قضب".
[3] **الدّيوان**:1/ 63-64.
[4] يُنظر: إبراهيم ، عوض، **في الشّعر العباسيّ- تحليل وتذوّق**، 54-55.

فـدروبُ الإشـراكِ صـارتْ فضـاءً وَفَضَـاءُ الإسـلاَمِ يُـدْعَى دُرُوبـا[1]

قابل أبو تمّام بين صورتين، إحداهما الصّور الدّالة على ضعف الشّرك وانهياره، ويقابلها صورة الإسلام وصلابته، فارتياد العدوّ لأراضي المسلمين بات وعراً وصعباً؛ لأنّ القائد يحميها بسيفه، بينما السّبل المؤديّة لبلاد العدوّ غدت كالفضاء لسهولة الإقبال عليها[2].

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

لـمْ يُحَـدِّثْ نَفسـاً بمكَّـةَ حتَّـى جـازتِ الكهـفَ[3] خَيلُـهُ والرَّقيمـا[4]
حَـرَمُ الـدِّينِ زَارَهُ بَعْـدَ أَنْ لَـمْ يُبْـقِ للكُفْـرِ والضَّـلاَلِ حَريمَـا
حِـينَ عَفَّـى مَقَـامَ إِبلـيسَ سَـامَى بالمَطَايَـا مَقَـامَ إبراهيمـا
حَطَـمَ الشِّـرْكَ حَطْمَـةً ذَكَّرَتْـهُ فـي دُجَـى اللّيـل زَمْزَمـاً والْحَطيمَـا[5]

وصف الشّعراء العرب أعداء الإسلام من أمم وأقوام عدّة بالكفّار، أو المشركين كالرّوم والفرس وأهل الإلحاد وعبّاد الأصنام وأهل الوثنيّة؛ لأنّهم عادوا الإسلام وحاربوه [6]، فالقائد عاهد ربّه أن لا تطأ قدماه أرض مكّة قبل فتح بلاد الرّوم، والشّاعر يبرز التّناص الدّينيّ في ذكر الأماكن الدّينيّة من مقامات ومقدّسات، فبلاد الرّوم لديه هي مقام إبليس الّذي غادره إلى مقام إبراهيم، ليشحذ اللّيل ذاكرته لموضع زمزم والحطيم .

يقول أبو تمّام أيضاً : [الكامل]

لمَّـا رَأَيْـتَ الـدِّينَ يخفِـقُ قَلبُـه والكُفـرُ فيـهِ تَغَطْـرُسٌ وعُـرامُ
أُورَيْـتَ زَنـدَ عَـزائمٍ تَحـتَ الـدُّجى أسـرجنَ فكـركَ والـبِلادُ ظَـلامُ[7]

---

[1] **الدّيوان**: 163/1.
[2] يُنظر: نييُونغ أو ، كيم، **الصّورة الشّعريّة في شعر الحروب الخارجيّة عند العرب المشارقة-من عصر الإسلام إلى نهاية القرن الرّابع للهجرة**، دكتوراة الجامعة الأردنيّة، الأردن،1996، 93.
[3] **الكهف**: المذكور في كتاب الله عزّ وجلّ، موضع، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان،4/496.**
[4] **الرّقيم**: بقرب البلقاء من أطراف الشّام موضع يقال له الرّقيم، يزعم بعضهم أنّ به أهل الكهف، والصّحيح أنّهم ببلاد الرّوم، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان، 60/3.**
[5] **الدّيوان**: 3/ 226-227.
[6] يُنظر: نييُونغ أو ، كيم، **الصّورة الشّعريّة في شعر الحروب الخارجيّة عند العرب المشارقة-من عصر الإسلام إلى نهاية القرن الرّابع للهجرة**، دكتوراة، الجامعة الأردنيّة، الأردن، 1996،89.
[7] **الدّيوان**: 154/3.ويُنظر أيضاً:92/3-93.

جاء شعر أبي تمّام يحمل الدّلالة الدينيّة بعمق، ليشكّل اللّيل رمزاً للكفر والإلحاد، فقتامة اللّون تبرز سوداوية الكفر، فالمأمون قد أضاء نور الإسلام في وسط الظّلام، لتتلاقى الصّورتان اللّونية والضّوئيّة، ويبرز الضّياء بقوّة، ليزيل عتمة المكان ووحشته.

وفي قوله أيضاً: [الطّويل]

فـإِنْ يَـكُ نصـرَانِيّاً النَّهْـرُ آلِـسٌ فقَـدْ وَجَـدُوا وَادِي عَقَـرْقُسَ مُسْـلِما[1]

ويربط أبو تمّام انتصار المسلمين بنهر آلس خاصتهم، ويربط بين يوم وادي عقرقس وانتصار المسلمين فيه، في ظهور واضح لربط الشّاعر للبعد الدّينيّ بالمكان والزّمان.

يقول أبو تمّام: [الخفيف]

إِنَّ أَيَّامَـكَ الحِسَـانَ مِـنَ الـرُّو مِ لَحُمْـرُ الصَّـبُوحِ حُمْـرُ الغَبُـوقِ
مُعْلَمَـاتٌ كَأَنَّهـا بالـدّمِ المُهـ راقِ أيّـامُ النّحـرِ والتّشـريقِ[2]

جاءت الصّورة الشّعريّة لدى الشّاعر مستمدّة من الثّقافة الدّينيّة الإسلاميّة، ليجمع بين طاعتين: طاعة النّحر أيام التشريق" عيد الأضحى المبارك"، والطّاعة الثّانية ضد العدوّ؛ لكونهم انحرفوا عن الدّين القويم، ففقرّبهم من الله بإراقة دمهم، ليوظّف تلك الثّقافة الدّينيّة لخدمة الموقف الّذي عبّر عنه[3].

فجاءت الصّورة اللّونيّة تحمل دلالة الذّبح وسفك الدّماء، فهؤلاء الرّوم قد ذبحوا صبوحاً وغبوقاً، وسال دمهم في أيام التّشريق، فالشّاعر وظّف ببراعة الصّورة الحركيّة المتمثّلة بتدفق الدّم وانهماره، لتعطي كلا الصّورتين تصوّراً للحدث الممزوج بالبعد الدّينيّ للموقف، تلك الدّماء تروق للشّاعر، فهي دماء المشركين الّتي سالت لتعلن أياماً حساناً للعرب، فالشّاعر فرح بهذا المشهد الدمويّ.

---

[1] **الديوان**: 242/3.
[2] **نفسه**: 443/2.
[3] يُنظر: أبو زيتون، مازن، **شعر الفتوح الإسلاميّة في العصر العباسيّ الأوّل في المشرق الإسلاميّ**، ماجستير، جامعة اليرموك، إربد،2006، 82.

تظهر في شعر المتنبي في أثناء حديثه عن غزوات سيف الدّولة، روح دينيّة حربيّة ، تشابه روح الشّعر الّذي قيل في الفتوح الإسلاميّة، وفي حديثه عن الرّوم وحلفائهم وعدائهم لسيف الدّولة كان يصوّر النّزاع القائم بين المسيحيّة والإسلام، وقلّ ما ذكر الدّين والحرب منفصلين[1].

يقول المتنبّي: [الكامل]

وَالطُّـرْقُ ضَـيّقَةُ المَسَـالِكِ بالقَنَـا وَالكُفْـرُ مُجتَمِـعٌ علـى الإيمَـانِ[2]

المتنبّي في شعره الحماسيّ صوّر آمال الجماعة الإسلاميّة، ومطامحها في دحر أعدائها، وبناء مجدها بالنّضال والقِيم العليا[3]، إذ عبّر في شعره عن قوميته الإسلاميّة العربيّة، لتحمل كثيرٌ من قصائده مسحة دينيّة، خاصة عند سيف الدّولة وأبي العشائر[4].

يقول المتنبّي أيضاً: [الطّويل]

هَنيئـاً لأَهْـلِ الثّغْـرِ رَأيُـكَ فـيهِمُ وَأنّـكَ حـزْبُ الله صِـرْتَ لهـمْ حِزْبَـا[5]

ويمثّل سيف الدّولة وجيشه في شعر المتنبّي حزب الله المجاهد، الّذي يدافع عن بلاد المسلمين، ويسعى لنشر دين الله، فهم يُدخلون الأمان إلى ثغور المسلمين، ليهزموا عدوّهم شر هزيمة[6]، فهؤلاء المسلمون وقائدهم يحرصون على أداء واجبهم وحماية الأراضي الإسلاميّة، فهم يحملون رسالة الدّين في تلك البقاع، متسلحين بالإيمان وذكر الله في عزمهم على النّصر.

---

[1] يُنظر: حلمي بك، محمد، **أبو الطّيب المتنبّي-حياته وخلقه وشعره وأسلوبه**، 46.
[2] المعرّي، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**،537/3.
[3] يُنظر: نهر، هادي، **المتنبّي-شعر الحماسة والحكمة**، 226.
[4] يُنظر: عبد الوهاب، حسن، ، **فن المدح عند أبي الطّيب المتنبّي**، ماجستير، جامعة أم درمان الإسلاميّة، السّودان، 2002، 134.
[5] المعرّي ، أبو العلاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 234/3.
[6] يُنظر: قزمازي، عمر، **الصّراع مع الرّوم في سيفيات المتنبّي-دراسة موضوعيّة وفنّية**، مجلّة كلّية اللّغة العربيّة ، المجلّد 1، عدد6، 2006، 630.

ويقول أبو فراس: [الخفيف]

جَعَلوا الإلتقاء في كلّ سبْتٍ فَجَعَلناهُ للزّيارة عيدا
وَشَركْنا اليهود فيهِ فَكِدْنا رَغبَةً فيهِ أنْ نَعود يهودا
يَرقبون المسيح فيهِ وما نَرْ قَبُ إلّا أخاً وخِلّاً ودودا
لَو قَدَرْنا – وعلَّ ذاكَ قريبٌ– ما عَدِمْنا بالقُربِ عيداً جديدا[1]

يصف الشّاعر من أسره قيام الرّوم بتخصيص يوم السّبت للزّيارات، فيربط الشّاعر بين الحدث وأهميّة يوم السّبت لدى الطّائفة اليهوديّة في مفارقة واضحة للموقف، رغم كون الرّوم مسيحيين.

يقول أبو فراس الحمدانيّ: [الكامل]

سَيفَ الهُدى من حَدّ سَيفِكَ يُرْتَجى يومٌ ، يُذِلّ الكُفرَ للإيمانِ
هَذِي الجُيوشُ، تجيشُ نحوَ بِلادِكم مَحْفُوفَةً بِالكُفْرِ وَالصُّلْبَانِ
أَلْبَغْيُ أكثرُ ما تُقِلُّ خيولُهمْ وَالبَغْيُ شَرُّ مُصَاحِبِ الإنْسَانِ[2]

يستنهض الشّاعر هممم المسلمين من خلال استحضار المكان والزّمان، فالزّمان هو يوم النّصر الموعود، والبلاد مثّلت المكان المعادي" بلاد الرّوم" الّتي طبعها الشّاعر بطابع الكفر، ليحذّر المسلمين من الظّلم القادم نحوهم، عن طريق إظهار البعد الدينيّ.

فقد برز البعد الدّينيّ في شعر أبي تمّام والمتنبّي واضحاً، إذ استعان الشّاعران بالرّموز والمعتقدات الدّينيّة وامتلأ شعرهما بالألفاظ الدّينية، الّتي عكست فكرهم وثقافتهم، ورغبتهم في حث المسليمن على الجهاد، ورفع راية الدّين، وجاء توظيف البعد الدّينيّ في ألفاظ كالكفر والشّرك والأوثان للتّعبير عن رأيهما في معتقدات الرّوم، بغية الحد من تأثير العدوّ وهيبته الدّينيّة. وتطرق أبو فراس الحمدانيّ للجانب الدّينيّ في تعبيره عن شعر الصّراع من داخل أسره فاستخدم ألفاظ ورموزاً دينيّة.

[1] **الدّيوان**: 87.
[2] **نفسه**: 342.

البعد النفسيّ

ظهر في علم النفس مجموعة من النّظريات هدفت لفهم الطّبيعة البشريّة، ودراسة سلوكها وخصائصها، فالإنسان ابن بيئته الّتي عاش فيها في ظل أسرته وأقربائه ومحيطه الّذي عمل على صقل شخصيّته، شخصيّة الفرد تشكّلت عبر سلسلة من الأحداث والمواقف، وعند دراسة النتاج الشّعريّ تتبيّن خصائص نفسيّة واجتماعيّة، تمكّن الباحث من استخلاص معلومات مختلفة عن ذلك الفرد وما يكمن في اللّاشعور لديه، ليكون النّتاج الأدبيّ بكل صوره مرآة تكشف أبعاداً عدّة.

لا تخصّص نظرية علم النّفس فقط لخصوصيّة شخصيّة محدّدة، بل تربط دائماً تلك الخصوصيّة بعوامل شتى إنسانيّة، أوماديّة، أوزمانيّة، ليتمّ ربطها بالإطار الأسريّ، والثّقافيّ، والاجتماعيّ، والحضاريّ[1].

ويركّز التّحليل النّفسي للأدب على العناية بالمرسل، فيربط بين إنتاجه وتاريخه، ويظهر هذا التّاريخ الشّخصيّ نتيجة مجموعة من الخبرات الّتي تراكمت منذ الطّفولة، لتكون مرجعيّة وأساساً لإبداعاته المختلفة.[2]

فالعلاقة بين الأدب والتّحليل النّفسيّ هي علاقة عضويّة، إذ يظهر التّحليل النّفسيّ اللّاوعي، ومايعتري النّفس الإنسانيّة، فكلاهما يكمّل الآخر، ويسهم في فهم علاقات النّاشئة بينهما[3]. فالشّاعر فرد يعيش في المكان، ويؤثّر في تشكيله، وهذا المكان أيضاً له تأثيرٌ في حياة الشّاعر، ليحمل انعكاساتٍ ودلالاتٍ مختلفة مؤثّرة على الإنسان الشّاعر ومكانه[4]، "والنّص يكوّن جملة من السّياقات التّاريخيّة والاجتماعيّة والنّفسيّة، وتستطيع الأدوات النّقديّة المتقنة تحديد طبيعة سياقه، وكذلك دلالات رموزه ونظامه اللّغويّ، ممّا يعني أنّ النّص الأدبيّ خاضع للاحتمالات، وليس شيئاً ساكناً"[5].

---

[1] يُنظر: الرّويلي،**ميجان، دليل النّاقد الأدبيّ**،332.
[2] يُنظر: فضل ، صلاح، **مناهج النّقد المعاصر**، 69.
[3] يُنظر: عيسى ، محمد، **القراءة النّفسيّة للنّص الأدبيّ**، مجلة جامعة دمشق، ع2+1، 2003، 21.
[4] يُنظر: ساير، محمد، **المكان في الشّعر الأندلسيّ-من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي**، 23.
[5] عيسى ، محمد، **القراءة النّفسيّة للنّص الأدبيّ**، مجلة جامعة دمشق، المجلّد 19، ع2+1، 28.

والبعد النفسيّ للمكان ينشأ من التّقاطع بين الإنسان والأحداث الّتي تحيط به، فهو بطبيعته محايد، لكنّ تعامل الإنسان معه لا يكون كذلك، فينشأ ترابط بين المكان والأحداث فيه ليشكّل الخلفية المكانيّة، وللشّعر قدرة على ترجمة العلاقات النّفسيّة الّتي تربط الإنسان بالمكان إلى صور شعريّة شتى من خلال أدواته المجازيّة والاستعاريّة؛ ليمنح المكان الواقعي حياة، ويجعله يبكي ويتألّم ويحاور[1].

يقول أبو تمام: [الكامل]

غَادَرتَ أرضَهُمُ بِخَيلِكَ فـي الـوَغى وكـــأنَّ أمنَعَهـــا لَهـــا مِضـــمارُ
وأَقَمـــتَ فيهـــا وادِعـــاً مُـــتمهِّلاً حتَّـــى ظَنَنَّـــا أَنَّهـــا لـــكَ دَارُ[2]

شكّلت أراضي العدوّ حيّزاً يمنح القائد الأمان والطمأنينة، فتبدّلت لديه من مكان معادٍ، غير محبب، إلى مكان مألوف، شكّل دار إقامة له، سكنها فرحاً متمهلّاً، فهنا المكان يبعث على الرّاحة النفسيّة سببها امتلاك المكان والقدرة على السّيطرة عليه.

يقول المتنبّي أيضاً: [الكامل]

وَعلى الدّروبِ وَفي الرّجوعِ غضَاضَةٌ[3] وَالسّـيرُ مُمْتَنِـعٌ مِـنَ الإمْكـانِ[4]

في قصيدة أخرى يصف المتنبّي الصّعوبة الّتي واجهها المسلمون في قهر العدوّ ، فكانت الدّروب وعرة وكان الرجوع مستحيلاً، والسّير ممتنعاً. ليبيّن الشّاعر غربة الجيش في أرض الرّوم وما قاسوه من صعوبات جمّة .

يقول أبو فراس : [السّريع]

يـا ليـلُ؛ مـا أغْفَـلَ عمّـا بـي حبـــــائِبي فيـــــكَ وَأَحْبـــــابي

[1] يُنظر: خليفة، خالد، **توظيف المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر**، 118-119..
[2] **الدّيوان**: 180/2-181. ويُنظر أيضاً: 442/2.
[3] **غضاضة:** الذّل، ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"غضض".
[4] المعرّي، أبو علاء، **شرح ديوان أبي الطّيّب المتنبّي**، 537/3. ويُنظر أيضاً: 555/3.

يـا ليـلُ نـامَ النّـاسُ عَـن مَوضِـعٍ نـــاءٍ علـــى مَضْـــجَعِهِ نـــابي[1]

يعبّر أبو فراس عن حالة الضّيق النّفسيّ الّتي يعانيها، وشدّته وقسوة البعد، في تكراره لكلمة اللّيل وما تحمله في طياتها من معاني القهر وطول الانتظار، فالشّاعر ينادي ويشكو الزّمن.

يقول أبو فراس: [الطّويل]

ولكـنْ أنْفِـتُ المـوتَ فـي دارِ غربـة، بأيـدي النّصَـارَى الغُلـفِ مِيتَـةَ أكمَـدِ
فـلا تَتْـرُكِ الأعـداءَ حـولي ليفرحـوا وَلا تَقطـعِ التّســآلَ عَنــي، وَتَقْعُـدِ[2]

ويظهر كره المكان المعادي " الأسر "، فالصّورة توّلد حالة شعوريّة من الغربة النفسيّة القاسية، في رفض الشّاعر للموت في بلاد العدوّ، فعوالم هذا المكان تركت ندوباً واضحة في نفس الشّاعر الغاضبة والرّافضة لأسره.

يقول أبو فراس أيضاً: [الطّويل]

إذا الليـلُ أَضْـواني بَسَـطْتُ يـدَ الهَـوى وأذلَلْــتُ دمعــاً مــنْ خلائِقِــهُ الكِبْــرُ
تَكــادُ تُضِــيءُ النّــارُ بــينَ جَــوَانِحِي إذا هــيَ أذْكَتْهَــا الصّــبَابَةُ والفِكْــرُ[3]

ففي هذه الأبيات يصرّح الشّاعر باللّون من خلال صورته اللّونيّة، أودلالتها، ليأتي اللّون الأسود متوافقاً مع نفسيّته الحزينة في أثناء أسره، وليظهر اللّون من خلال استخدامه للفظة اللّيل، وألفاظاً تدلّ على القتامة الواضحة والمعبّرة عن حالته النّفسيّة[4]، وجاء تصوّر اللّيل لدى الشّاعر مرتبطاً بطول المدّة وقسوتها، ولتقدّم الصّورة الضوئيّة تصوّراً لقسوة البعد وظلمته في نفس الشّاعر، وحنينه لوطنه وأهله.

---

[1] **الدّيوان**: 57.
[2] **نفسه**: 97.
[3] **نفسه**: 162.
[4] يُنظر: سليمان ، الدّلاهمة، **الصّورة الفنيّة في شعر أبي فراس الحمدانيّ**، ماجستير، جامعة اليرموك، 2000-2001،49.

يقول أبو فراس : [الطّويل]

فَلَو أنّ أَسْري بَين عَيْشٍ نَعِمتُهُ حَمَلتُ لذاكَ الشَّهدِ ذا السُّم مُنْقَعا
وَلكِن أَصابَ الجُرحُ جسْماً مُجَرَّحاً وصادَف هذا الصَّدعُ قلباً مصدَّعا
وَهَأَنا قد حَلَّى الزّمَانُ مَفَارِقي، وتَوَّجَني بالشّيبِ تاجاً مُرصَّعا
فلَوْ أنَّني مُكِّنْتُ ممّا أريدُهُ منَ العيشِ، يوماً، لمْ يَجِدْ فيَّ مَوْضِعا
أَمَا ليلةٌ تمضي ولا بعضُ ليلةٍ! أَسُرُّ بهَا هذا الفُؤادَ المُفَجَّعَا؟[1]

وفي هذه الأبيات يظهر أبو فراس الأسى، فالحالة النّفسيّة المتأزّمة للشّاعر، وألفاظ الزّمان والمكان تبيّن عمق الوجع النفسيّ الّذي تمكّن منه، فهذا المكان المعادي، بكل أبعاده، يحمل في طيّاته بكاء فؤاده المفجوع، وسنيه الّتي نال منها الزّمن، فالجوّ النّفسيّ يملؤه الحنين والشّوق لبلده، ليبعث صرخة مدوّية لقائده متنظراً فداءه بأسرع وقت ممكن.

يقول أبو فراس: [الطّويل]

جِراحٌ وَأَسرٌ واشتياقٌ وغُربَةٌ أُحَمَّلُ! إنّي، بَعدَها، لَحَمولُ
وَما نالَ مِنّي الأَسرُ ما تَرَيانِهِ وَلكِنّني دامي الجِراحِ عَليلُ
جِرَاحٌ، تحَامَاها الأُسَاةُ ، مَخوفَةٌ؛ وسُقمانِ : بادٍ ، مِنهما ودَخيلُ
وأسرٌ أقاسيهِ، وليلٌ نجومُهُ، أرَى كُلّ شَيْءٍ، غَيرَهُنّ، يَزُولُ[2]

ويظهر الألم النّفسيّ في الآهات الّتي بثّها الشّاعر من الأسر، فالعذاب الجسدّي بادٍ في سُقمه وجراحه العميقة، فالخوف والوحدة ظاهرة على ملامحه ، فالعذاب الجسديّ يولّد في نفس الشّاعر شعوراً بالغربة، ومرارة ووحشة المكان، ليكون العذاب النفسيّ متمثّلاً في الوحشة والصّراع مع القدر والمجهول. فالأبيات تعبّر عن أزمة نفسيّة عاشها الشّاعر، واستخدام الشّاعر للأفعال " أقاسيه، نال، أُحمّل" تحمل دلالات المعاناة، لتنمّ عن حالة نفسيّة متألّمة وقلقة.

[1] **الدّيوان**:208-209.
[2] **نفسه**: 252.

وظهر البعد النّفسيّ جليّاً في شعر أبي فراس، فحياته قبل الأسر وبعده تركت إنطباعاً مؤثّراً في نفسه، ليقدّم في أبياته تعبيرات نفسيّة مؤلمة لما عاناه داخل أسره، ويتدفّق من شعره الألم والآهات الحزينة؛ لشعوره بالبعد والنّسيان والغربة، فالإنسان نسيج من المشاعر والأحاسيس الّتي تظهر نتيجة التّجارب المؤلمة والسّعيدة، فهو في لاوعية يختزن تلك المواقف، ويعبّر عنها.

البعد الانتمائي

في الطّبيعة الإنسانيّة تتولّد الحاجة للانتماء والاستقرار، فطبيعة الإنسان الاجتماعيّة تميل نحو الجماعة، الّتي يتفيّأ بظلها وتمنحه الحماية والأمان، فانتماء الفرد لفكرة معيّنة أو جماعة سياسيّة، يتولد من شعوره بالمسؤوليّة نحوها، فيدافع عنها ويحتويها، وكلّ فرد يعبّر عن انتمائه بصور مختلفة، فالكاتب يتّخذ من قلمه سلاحاً فيبثّ فكره في كتاباته، والشّاعر يوظّف شعره انتماء لجماعته ودولته وأفكاره، فيدافع عن هذا الانتماء، ففكر كليهما يعدّ باعثاً وفخراً لأشكال شتّى من الانتماء الّذي تشكّل نتيجة دوافع ومصالح شتّى، سياسيّة واجتماعيّة ونفسيّة وغيرها.

يقول أبو فراس الحمداني مصوّراً حبّه لحلب: [المتقارب]

وَإنَّ خُرَاسَـــــانَ[1] إنْ أنْكَـــــرَتْ عـــلايَ فَقَـــدْ عَرفَتْهـــا حلـــبْ
وَمِـــنْ أيـــنَ يُنْكِرُنـــي الأبْعَـــدُونَ أمـــنْ نقـــصِ جـــدٍّ أِمـــنْ نقـــصِ أبْ؟!
أَلَسْـــتُ وَإيّـــاكَ مِـــنْ أُســـرّةٍ ، وَبينـــي وبينـــكَ قـــربُ النّســـبْ!
وَدارٍ تَنَاسَـــبُ فِيهِـــا الكِـــرَامُ، وتربيـــــةٍ ومحـــــلٍ أَشِـــــبْ[2]!

في روميّاته يتفاخر بنسبه وانتمائه، فهو من داخل أَسْرِه يتباهى بنسبه لسيف الدولة، ويعلي من شأن حلب مدينته، فالانتماء الأوّل للإنسان يكون تراب وطنه، وإن أنكرته بقاع الأرض كافةً، فالمكان مثّل لأبي فراس الانتماء والشّرف والحصن المنيع، فوظّف الاستفهام الإنكاري ليؤكّد صلة الدّم والنّسب الكريم، في رغبة ملحّة للتّعجيل في فكاك أسره.

[1] **خُراسان**: بلاد واسعة، أوّل حدودها ممّا يلي العراق، أزاذْوار قصبة جوَين وبيهق، وأخر حدودها ممّا يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، الحمويّ ، ياقوت،**معجم البلدان**،350/2.
[2] **الدّيوان**: 25.

يقول أبو فراس : [الطّويل]

وسلْ "بالبُرُطسيسِ" العساكرَ كُلَّها وسلْ " بالمُنَسطَرياطِسِ " الرُّومَ والغُرْبا
ألَـمْ تُفْـنِهِمْ قَـتْلاً وَأسْـراً سُـيُوفُنَا وأُسدَ الشَّرى الملأى وإنْ جَمَدتْ رُعْبا[1]

جرت مناظرة بين الدّمستق وأبي فراس، فيظهر الشّاعر انتماءه للحمدانيّين في مناظرته مع الدّمستق، فالشّاعر في القصيدة يهين الرّوم ويقلل من شأنهم بذكر أماكنهم الّتي أشبعها المسلمون قتلاً، وأسراً.

يقول أبو فراس: [من مجزوء الرّمل]

إنّ فـــي الأسْـــرِ لَصَـــبّاً دَمْعُـــهُ فـــي الخَـــدِّ صَـــبُّ
هُـــوَ فـــي الـــرّومِ مُقِـــيمٌ، ولـــهُ فـــي الشّـــامِ قلـــبُ[2]

يظهر الحنين والانتماء للشّام، وألم الشّاعر دموعٌ تُحفر على وجنته في ذلك الأسر الموحش، فالإنسان في الغربة يستحضر الماضي بذكرياته وأماكنه؛ ليصبّ فيها شوقه وحنينه. فهو في أبياته يعتمد على الأبعاد المكانيّة في رسم صورة فنيّة عكست شوقه وحنينه، فجعل شخصه شيئاً مادّيّاً مقيماً بالرّوم، ومعنويّاً متمثّلاً بقلبه المقيم بالشّام[3].

ويقول أبو فراس: [مجزور الكامل]

قِـــفْ فـــي رُســـومِ المُســـتَجا ب وَحَـــيّ أكنـــافَ المُصَـــلَّى
ف الجَوْسَـــقِ[4] المَيْمـــونِ فالسُّـــ قيـــا[5] بِهـــا فـــالنّهر أَعْلـــى
تِلـــكَ المَنـــازِلُ وَالمَـــلا عِـــبُ لا أَراهـــا اللهُ مَحْـــلا
أُوطِنْتُهـــا زَمَـــنَ الصِّـــبا وَجَعَلـــتُ مَنـــبِجَ لـــي مَحـــلّا[6]

---

[1] **الدّيوان**: 32.البُرُطسيس والمُنَسطَرياطِس: موضعان في بلاد الرّوم.
[2] **الدّيوان**: 48.
[3] يُنظر: الهاشمي، كريم،**الاغتراب والحنين في شعر أبي فراس الحمدانيّ**، مجلة كليّة التّربية، العدد14، 2006، 34.
[4] **الجَوسَق**: قرية كبيرة نواحي دُجيل من أعمال بغداد، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،184/2.
[5] **السُّقيا**: قرية على باب منبج ذات بساتين كثيرة ومياه جارية، الحموي ، ياقوت،**معجم البلدان**،228/3.
[6] **الدّيوان**: 240-241.

في قصيدة أخرى، يحنّ الشّاعر في أَسره لمنبج، فكيف لا، فالنّفس في أوج صراعها تسترجع ذكريات الانتماء للمكان في زمن نعم الشّاعر فيه بالأمان والاستقرار في كنف عائلته وقبيلته. فنزعة الحنين إلى الوطن نزعة إنسانيّة، سواء أكانت إلى المدينة الّتي ترعرع فيها أو مثّلت الحنين إلى الأهل–المكان الذّكرى– فالمشاعر تجسد شدّة الوجد والمعاناة[1].

يقول أبو فراس : [مجزوء المتقارب]

لأيِّكُمُ أَذْكُرُ ؟ وَفي أيِّكُمْ أفْكِرُ؟
وكَمْ لي على بلدَتي، بُكاءٌ وَمُسْتَعْبَرُ؟
فَفي حَلَبٍ عُدّتي، وَعِزّيَ، وَالمَفْخَرُ
وفي " منبِجٍ "، مِنْ رضا هُ، أَنْفَسُ مَا أَذْخَرُ[2]

وفي أسره أيضاً يبكي من شوقه حلب ومنبج، مكان عزّه وفخاره، فالشّاعر دائم الشّوق، فخورٌ بانتمائه لأهله ووطنه، فمرارة الغربة وقسوتها، تبعث في نفسه ذكريات الماضي السّحيق.

لم يبرز البعد الانتمائي في شعر الصّراع عند أبي تمّام والمتنبيّ، وجاء ظاهراً في أبيات أبي فراس الحمدانيّ، فمن خلال المكان أظهر الشّاعر حنينه وانتماءه لوطنه، وفخره بنسب سيف الدّولة، وقربه من الحمدانيّين، كان الأسر لديه مبعثاً لآهاته الّتي ذكّرته بوطنه البعيد، فهو رغم البعد والأسر لم ينس الوطن والانتماء له.

وقد نقل الشّعراء أحداث التّاريخ العباسيّ في نزاعهم مع شعوب أخرى، فالشّعر قدّم صوراً شتّى لتلك الوقائع، فأبو تمّام رسم الأحداث بدقّة وتفصيل، وصوّر هزيمة الآخر وخوفه، وقدّم المتنبّي سرد تفاصيل المعارك، ووصفها أيضاً بدقّة إذ كان شعره مبعث الأمل والعزم للمسلمين في حربهم، وقدّم أبو فراس سرداً مختصراً لتلك الأحداث .

[1] يُنظر: ساير، محمد، **المكان في الشّعر الأندلسيّ-من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي**، 317.
[2] **الدّيوان**: 166.ويُنظر أيضاً: 355.

وظهر البعد الدّينيّ في شعر الشّعراء الثلاثة عندما استخدموا الجانب الدّينيّ برموزه المختلفة فقدّموا صورة سلبيّة للعدوّ ومطامعه في أرض المسلمين، فرفعوا من شأن المسلمين وعقيدتهم لإيمانهم بحقهم في نيل النّصر، ونشر الدّين والدّفاع عن حياض الدّولة الإسلاميّة ضد الزّحف الروميّ عليها.

وفي البعد النّفسيّ حوّل أبو تمّام المكان المعادي من مكان يبعث على الخوف والقلق إلى مكان يجعل النفوس تطمئن بحضرته، والمتنبّي صوّر تأثير المكان المعادي ووعورته وأثر ذلك على الجيش في مسيره واقتحاماته، أمّا المكان المعادي " الأسر" لدى أبي فراس فشكّل بعداً نفسيّاً مهمّاً، أدى إلى تألّم روحه، ليجعل القارىء يستشعر مدى الألم والبؤس الّذي يتركه فضاء الأسر، وما يخلّفه من ندوب تترك أثرها في النّفس والجسد.

وظهر البعد الانتمائي في شعر أبي فراس فقط في شعر الصّراع ، فذاكرته حملت القارىء للوطن، الّذي يشكّل الملاذ الآمن للبشر جميعاً، فأرض الوطن وترابه، وعشق الأهل، والافتخار بالنّسب والتّراث، شكّلت جميعاً بوتقة لجأ إليها الشّاعر عند إحساسه بغربة المكان ووحشه الأسر وقسوة العدو.

الخاتمة

شكّلت الزّمكانيّة محور هذا البحث، وتركّز الجهد في هذه الدّراسة على إبراز الفضاء الزّمكانيّ، بأبعاده الفنيّة والأدبيّة، لتقدّم قالباً يحوي الأحداث المكانيّة والزّمانيّة لحقبة الصّراع في العصر العبّاسيّ، فتاريخ الحروب قديم جدّاً، وصفحات التّاريخ زاخرة بحروب وصراعات شتّى، امتدت ليُسمع صداها في ذلك العصر، فظهرت أصداء المكان في قصائد عدّة؛ لتبرز عناية الشّعراء بتقديم صورهم ورؤيتهم للحروب، ومظاهر المكان والزّمان لديهم كانت علامات دالّة على مراحل تاريخيّة مهمّة، وحروب استمرت قرابة عقدين من الزّمن، تركت آثاراً بارزة، فكانت تلك الأماكن مسرحاً لأحداث الصّراع بين العرب والرّوم، فتأرجحت الكّفة بين الطّرفين في سعيهما لنيل النّصر، لتثبيت مصالحهما وأهدافهما وحقوقهما، كلّ طرف تبعاً لمعتقداته ورؤيته، فدافع كل طرف عن مصالحه القوميّة والسّياسيّة، وبناء على ذلك توصّلت إلى مجموعة من النتائج، أهمّها:

- لقد وصف النّتاج الشّعريّ لهؤلاء الشّعراء تأثير الحروب ومجرياتها، لتجتمع في قصائدهم صور ومشاهد لأحداث شتّى، فكل شاعر قدّم رؤيته تبعاً لمعتقداته وأساليبه، ليجتمعوا جميعاً حول هدف سامٍ مشترك يصبّ في رفع راية الإسلام عالياً، وإعلاء شأن قادتهم وتشجيعهم على الظّفر بالنّصر، بغية ترسيخ دعائم الدّولة العبّاسيّة وتقوية أركانها.
- يُلاحظ تعدد أماكن الصّراع في شعرهم، فوصفت قصائدهم الأماكن بدقّة، فنقلت القارىء في صور دراميّة حيّة، لتلاقي تلك الجيوش، وحركة الخيول، وأصوات صليل السّيوف، وتناثر أشلاء القتلى في كل مكان، نوّعوا بين الأماكن المفتوحة والأماكن المغلقة، ووصفوا الدّروب والمظاهر الطَبيعيّة وتأثيرها على سير القتال، وقسوة الطّبيعة.
- ظهرت العلاقة بين المكان والزّمان في شعر الصّراع، فشغل المكان حيّزاً واسعاً في شعر الصّراع، وقواماً مهمّاً في تشكيل الصّورة الشّعرية بمختلف أبعادها، وجاء الزّمن مبيّناً لمراحل تلاقي الجيوش، ومؤرّخاً لسنوات الحروب بدقّة، فبيّن الشّعراء تأثيره الإيجابيّ تارَة والسّلبيّ تارة أخرى.
- ارتبطت بنية الزّمكانيّة في شعر الصّراع بظواهر فنيّة عدّة، ومنها الأنسنة لتجعل المكان ينبض بالحياة ويزخر بالحركة، والتّشخيص والتّناص بأنواعه، وظهرت بنية المفارقة واضحة لبيان

علاقتهم بالمكان والوجود، ولإبراز التّناقض في مسألة الصّراع بين الطّرفين وجاء الرّمز حاملاً مغزًى ودلالة أظهرها الشّعراء ليتناسب توظيفه مع التّجربة الشّعريّة الّتي عبّروا عنها ، وجاء تأثير الجرس الموسيقي الدّاخليّ مناسباً لطبيعة شعر الصّراع لتتناسق الحروف والألفاظ والعبارات.

- أظهرت الدّراسة علاقة الإنسان الوطيدة بالمكان، وانتمائه له، فجاء محمّلاً بأبعاد الحرب، السّياسيّة والنّفسيّة والاجتماعيّة، فنجح هؤلاء الشّعراء في إظهار تأثيرات المكان المختلفة، وخاصة في شعر أبي فراس في أثناء أسره وما قاسته روحه المعذّبة من ألم وقسوة الفراق، ليرتبط المكان" السّجن" بالحالة النّفسيّة وما يصاحبها من تغيّرات، واجتماعهم في سخطهم على العدوّ والسّعي لسلب أراضيه وممتلكاته، واعتبار أراضيه أماكن معاديّة .
- استحضار الشّعراء للمكان والزّمان جاء لدوافع عدّة، فعكسوا من خلال المكان عواطفهم ومشاعرهم، ومثّل الزّمن مفهوماً حيّاً لتعاقب الوقت، مشكّلاً بعداً زمانيّاً .
- ظهرت علاقة مهمّة بين الاهتمام بالمكان وشعر الصّراع، فأبرز كلّ شاعر فضاء تلك الأماكن، فرسم ملامح واضحة لمّا جرى فيها من أحداث.
- عكست أبعاد المكان والزّمان سمات شتّى، فكان يعكس سمات القلق والاضطراب في وصفه لأماكن القتال واحتدام النزاع فيها، ومنها ما هو دينيّ ليعكس ارتباطهم بالتّراث والعقيدة الدّينيّة، ومنها ما هو تاريخيّ يعكس تاريخ تلك الأماكن وأزمنة حدوث النّزاعات فيها.
- قدّم الشّعراء في شعر الصّراع تجربة صادقة عبّرت عن مجريات عصرهم وأحداثه، فجاء انعكاساً لما في دواخلهم من مشاعر وأحاسيس، تمثّلت في صدق انتمائهم لوطنهم وقوميّتهم، وغيرتهم على دينهم، فصوّروا المعارك وأحداثها وصفاً رائعاً، جسّد انتصاراتهم، وهزائم أعدائهم.

المصادر والمراجع

أوّلاً – الكتب

- القرآن الكريم .

1. أرسطو، طاليس،**الفيزياء – السّماع الطّبيعيّ**، إفريقيا الشّرق– المغرب، 1998م.
2. إسماعيل، عز الدّين،

– **الشّعر العربي المعاصر – قضاياه وظواهره الفنّيّة والمعنويّة**، دار الفكر العربيّ، الطّبعة الثّالثة.

– **في الأدب العباسيّ، الرؤية والفن**، دار النّهضة العربيّة – بيروت ، 1975م.

3. الألوسي، حسام، **الزّمان في الفكر الدّيني والفلسفيّ القديم**، المؤسّسة العربيّة للدّراسات والنّشر– بيروت، الطّبعة الأولى، 1980م.
4. بدوي، أحمد، **شاعر بني حمدان**، مكتبة الأنجلو المصريّة – مصر، الطّبعة الثّانية، 1952م.
5. برنس، جيرالد، **قاموس السّرديات**، ترجمة : السّيد إمام، ميريت للنّشر والمعلومات – القاهرة، الطّبعة الأولى، 2003م.
6. البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الأعصر العباسيّة**، دار الجيل – بيروت، 1979م.
7. بلوحي، محمد، **آليات الخطاب النّقديّ الحديث في مقاربة الشّعر الجاهليّ**،إتحاد الكُتّاب العرب – دمشق، 2004م.
8. بوعزه، محمّد، **تحليل النّص السّردي – تقنيات ومفاهيم**، دار الأمان – الرّباط، الطّبعة الأولى، 2010م.
9. التّطاوي، عبد الله، **أشكال الصّراع في القصيدة العربيّة**، مكتبة الأنجلو المصريّة – القاهرة، 2004م.
10. أبو تمّام، حبيب بن أوس الحارث الطائيّ(ت 231 هـ)، **الدّيوان**، تحقيق: عبده عزّام دار المعارف – القاهرة، الطّبعة الخامسة، 1987م.
11. الجرجاني، علي بن محمد السّيد الشّريف (ت 816 هـ)، **معجم التّعريفات**، دار الفضيلة – القاهرة.
12. الجهاد، هلال، **جماليات الشّعر العربيّ– دراسة في فلسفة الجمال في الوعي الشعريّ الجاهليّ**، مركز دراسات الوحدة العربيّة – بيروت، الطّبعة الأولى، 2007م.

13. جهامي، جيرار، **موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب**، مكتبة لبنان – بيروت، الطّبعة الأولى، 1998م.
14. أبو حجر، آمنة،
- **موسوعة المدن الإسلاميّة**، دار أسامة للنّشر والتّوزيع – عمان، 2003م.
- **موسوعة المدن العربيّة**، دار أسامة للنّشر والتّوزيع – عمان، الطّبعة الأولى،2002م.

15. حسيب، عماد، **البناء الدّرامي في الشّعر العربيّ القديم**، شمس للنّشر والتّوزيع – القاهرة، الطّبعة الأولى، 2011م.
16. حسين، طه، **مع المتنبّي**، دار المعارف، الطّبعة الثّالثة عشرة.
17. حطيط، كاظم، **دراسات في الأدب العربيّ**، دار الكتاب اللّبنانيّ – بيروت، الطّبعة الأولى، 1977م.
18. الحِميري، محمّد عبد المنعم (ت900هـ)، **الرّوض المعطار في خبر الأقطار**. تحقيق: إحسان عباس ، مكتبة لبنان–بيروت، الطّبعة الأولى، 1975.

19. حلمي بك، محمّد، **أبو الطّيب المتنبّي – حياته وخلقه وشعره وأسلوبه**، مكتبة ومطبعة الشّباب،1921م.
20. الحمدانيّ، أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان (ت 357 هـ)، **الدّيوان**، شرح : خليل الدّويهي دار الكتاب العربيّ – بيروت، الطّبعة الثّانية، 1994م.
21. أبو حمدة، محمد،
- **في التّذوق الجماليّ لقصيدة أبي تمّام الطّائي في فتح عمّورية – دراسة نقديّة إبداعيّة**، دار الجيل – بيروت، 1984م.
- **في التّذوق الجماليّ لقصيدة أبي الطّيب المتنبّي " على قدر أهل العزم تأتي العزائم** "، دار الجيل – بيروت، الطّبعة الأولى, 1984م.

22. الحموي، شهاب الدّين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله(ت626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر – بيروت 1977م.

23. خليفة، خالد، **توظيف المكان في الشّعر الفلسطينيّ المعاصر**، دار النابغة للنّشر والتّوزيع – الإسكندرية، الطّبعة الأولى، 2014م.
24. خليل، لؤي، **الدّهر في الشّعر الأندلسيّ– دراسة في حركة المعنى**، دار الكتب الوطنيّة – أبو ظبي، الطّبعة الأولى, 2010م.
25. الدّسوقي، عبد العزيز، **أبو الطّيب المتنبّي – شاعر العروبة وحكيم الدّهر**،المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر– بيروت، الطّبعة الأولى، 2006م.
26. ديب، محمد، **شعر الحماسة في العصر العباسيّ الثانيّ**، مطبعة السّعادة،الطّبعة الأولى، 1984م.
27. الرّحموني، محمّد، **مفهوم الدّهر– في العلاقة بين المكان والزّمان في الفضاء العربيّ القديم**، الشّبكة العربيّة للأبحاث والنّشر – لبنان، الطّبعة الأولى، 2009م.
28. الرّويلي، ميجان، وسعد البازعي، **دليل النّاقد الأدبيّ**، ترجمة: المركز الثّقافي العربيّ – المغرب، الطّبعة الثّالثة، 2002م.
29. ساير، محمد، **المكان في الشّعر الأندلسيّ – من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي**، دار غيداء للنّشر والتّوزيع – عمان، الطّبعة الأولى، 2018م.
30. سعيد، خالدة، **حركيّة الإبداع – دراسات في الأدب العربيّ الحديث**، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع – بيروت، الطّبعة الثّالثة، 1986م.
31. الشّمري، ثائر،
- **التّشخيص في الشّعر العباسيّ**, دار صنعاء للنّشر والتّوزيع – عمان، الطّبعة الأولى، 2012م.
- **دراسات في الشّعر العباسيّ**، دار رضوان للنّشر والتّوزيع – عمان، الطّبعة الأولى، 2014م.

32. الشّنتمري، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت 476 هـ)، **شرح ديوان أبي تمّام**، تحقيق: محمد بن شريفة، وزارة الأوقاف والشّؤون الإسلاميّة، الطّبعة الأولى، 2004م.
33. صليبا، جميل، **المعجم الفلسفيّ**، الشّركة العالميّة للكتاب – لبنان، 1994م.
34. ضيف، شوقي،
- **في التّراث والشّعر واللّغة**، دار المعارف – القاهرة، 1987م.
- **الفن ومذاهبة – في الشّعر العربيّ**، دار المعارف – القاهرة، الطّبعة الحادية عشرة، 1987م.
- **تاريخ الأدب العربيّ – العصر العباسيّ الأول**، دار المعارف القاهرة، الطّبعة الثّامنة.

35. الطّيب، عبد الله، **الطّبيعة عند المتنبّي**، منشورات وزارة الإعلام – بغداد، 1977م.
36. عبد الجبّار، سعود، **الشّعر في رحاب سيف الدّولة الحَمدانيّ**، وزارة الثّقافة – الأردن، 2016م.
37. عبد الرّحمن، نصرت، **شعر الصّراع مع الرّوم – في ضوء التّاريخ" العصر العباسيّ حتى نهاية القرن الرّابع**، مكتبة الأقصى– عمان، الطّبعة الأولى، 1977م.
38. العتبي، ضيف الله، **المتنبّي في الدّراسات الأدبيّة الحديثة في مصر**، دار غريب للنّشر والتّوزيع، القاهرة، 2007م.
39. العدوي، إبراهيم، **الدّولة الإسلاميّة وإمبراطوريّة الرّوم**، دار رياض الصّالحين– مصر، الطّبعة الأولى، 1994م.
40. العريني، عبد الله، **شعر جهاد الرّوم – حتى نهاية القرن الرّابع الهجريّ في موازين النّقد الأدبيّ**، الطّبعة الأولى, 2002م.
41. عوض، إبراهيم، **في الشّعر العباسيّ–تحليل وتذوق**، المنار للنّشر والتّوزيع ، 2006م.
42. عزّام، خالد، **العصر العباسيّ**، دار أسامة للنّشر والتّوزيع – الأردن، 2009م.
43. عشراتي، سليمان، **الخطاب القرآنيّ – مقاربة توصيفيّة لجماليّة السّرد الإعجازي**، دار العراب – دمشق، 2012م.
44. عطيّة ، أحمد، **أدب البحر**، دار المعارف– القاهرة.
45. عون، عبد الرؤوف، **الفن الحربيّ في صدر الإسلام**، دار المعارف بمصر– القاهرة، 1961م.
46. عيسى، فوزي،
- **في الشّعر العباسيّ**، دار المعارف الجامعيّة– الإسكندريّة، الطّبعة الأولى، 2008م.
- **صورة الآخر في الشّعر العربيّ**، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشّعريّ – الكويت، 2011م.

47. الغنضروفي، منتصر، **الرّحلة في شعر المتنبّي**، دار مجدلاوي للنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى، 2011م.
48. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللّغة**، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1979م.
49. فروخ، عمر
أبو تمّام– شاعر الخليفة محمّد المعتصم بالله، مطبعة الكشّاف – بيروت، الطّبعة الأولى, 1935م.

50. فضل، صلاح، **مناهج النّقد المعاصر**، ميريت للنّشر والمعلومات – القاهرة، الطّبعة الأولى، 2002م.
51. القيسي، نوري، **شعر الحرب في عصر الرّسالة**، دار الجاحظ للنّشر والتّوزيع – بغداد، 1982م.
52. كامل، فؤاد، **فكرة الزّمن عبر التّاريخ**، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب–الكويت،1978م.
53. المانع، سعاد، **سيفيّات المتنبّي – دراسة نقديّة للاستخدام اللّغوي**، دار عكاظ للطّباعة والنّشر– جدة، 1981م.
54. المحاسني، زكي، **شعر الحرب في أدب العرب – في العصر الأمويّ والعباسيّ إلى عهد سيف الدّولة**، دار المعارف – مصر، 1961م.
55. مرتاض، عبد الملك، **في نظرية الرّواية**، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب– الكويت،1998م.
56. مطلك، حيدر، **الزّمان والمكان في شعر أبي الطيّب المتنبّي**, دار الصّفاء للنّشر والتّوزيع – عمان، الطّبعة الأولى، 2010م.
57. المعّري، أحمد بن عبد الله بن سليمان القصاعي (ت 449 هـ)، **شرح ديوان أبي الطّيب المتنبّي**، تحقيق: عبد المجيد دياب، دار المعارف،الطّبعة الثّانية، 1992م.
58. النّصير، ياسين، **الرّواية والمكان**، دار الحرّيّة للطّباعة – بغداد، 1986م.
59. النّضال، فارس، **أبو فراس الحمدانيّ – فارس النّضال**، الشّركة العالميّة للكتاب – بيروت الطّبعة الأولى، 1997م.
60. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمد بن مكرم (ت 711هـ)، **لسان العرب**، دار صادر– بيروت ، الطّبعة السّادسة، 2006م.
61. نهر، هادي،
مع المتنبّي في شعره الحربيّ، مطبعة الجامعة – بغداد، الطّبعة الأولى، 1979م.
62. الميدانيّ، أبو الفضل أحمد بن محمّد الميدانيّ(ت518هـ)، **مجمع الأمثال**،تحقيق: محمد عبد الحميد،دار الفكر، الطّبعة الثّالثة،1972م.
63. وهبة، مجدي، وكامل المهندس، **معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة العربيّة والأدب**، مطبعة لبنان – بيروت، الطّبعة الثّانية، 1984م.
64. اليازجي، ناصيف، **العرف الطيّب في شرح ديوان أبي الطّيب**، دار القلم للطّباعة والنّشر–بيروت.

65. اليافي، عبد الكريم، **دراسات فّنية في الأدب العربيّ**، مكتبة لبنان ناشرون– بيروت، الطّبعة الأولى، 1996م.
66. يوري، لوتمان، **جماليات المكان**، دار قرطبة، الطّبعة الثّانية، 1988.

ثانياً– الرّسائل العلميّة:

1. إبراهيم، جوخان، **التّناص في شعر المتنبّي**، دكتوراة، جامعة اليرموك، 2006م.
2. البطاينة، ماهر، **التّناص في شعر أبي فراس الحمدانيّ**، دكتوراة، جامعة اليرموك، 2012م.
3. الحفيظ، علي، **معارك سيف الدّولة مع الرّوم في شعر المتنبّي**، ماجستير، جامعة أم درمان الإسلاميّة، 2011م.
4. الخشرمي، شاكر، **صورة الحرب بين أبي فراس الحمدانيّ والبارودي**، ماجستير، جامعة طيبة،2013م.
5. أبو زيتون، مازن، **شعر الفتوح الإسلاميّة في العصر العباسيّ الأوّل في المشرق الإسلاميّ**، ماجستير، جامعة اليرموك, 2006م.
6. سلمان، كمال، **الشّمس في الشّعر الجاهليّ**، ماجستير، جامعة النّجاح، 2004م.
7. سليمان، الدلاهمة، **الصّورة الفنّيّة في شعر أبي فراس الحمدانيّ**، ماجستير، جامعة اليرموك 2001م.
8. شهاب، فيصل، **أبو فراس الحمدانيّ – دراسة في نطاقه، وأغراضه، وتقنياته الشّعرية**، ماجستير، جامعة القديس يوسف، 2005م.
9. العالي، قمر، **البنية الزّمكانيّة في رواية– الرّماد الذي غسل الماء**، ماجستير، جامعة الحاج لخضر، 2011 – 2012م.
10. عبد الوهاب، حسن، **فن المدح عند أبي الطّيب المتنبّي**، ماجستير،جامعة أم درمان الإسلاميّة،2002م.
11. العتيبي، منير، **البنية الزّمكانية في روايات وليد الرّجيب**، ماجستير، جامعة الشّرق الأوسط، 2015م.

12. عزوزي، البشير، **حجاجيّة الإستعارة في الشّعر العربي " ديوان المتنبّي أنموذجاً "** ، ماجستير جامعى أكلى محند أولجاج، 2013-2014م.
13. عشاب، أمنة، **الحبك المكانيّ في السّياق القصصيّ القرآنيّ – سورة يوسف أنموذجاً**،ماجستير جامعة حبيبة بن بو علي بالشّلف، 2006-2007م.
14. عوجيف، سمير، **جمالية التّشكيل الشّعري – أبو تمام أنموذجاً** ، ماجستير، جامعة أحمد بن بلة، 2015م.
15. غيطي، هبة، **بنية الصّورة الشّعريّة عند أبي تمّام**، ماجستير، جامعة منتوري قسطنطينة، 2008-2009م.
16. كلش، أحلام، **الانزياحات الشّعرية عند أبي تمّام**، ماجستير، جامعة اليرموك، 2013-2014م.
17. مطري، نجلاء، **الزّمن في الشّعر النسوي السّعودي المعاصر – دراسة في الدّلالة والبناء**، ماجستير، أم القرى، 2007م.
18. نييونغ أو، كيم ، **الصّورة الشّعريّة في شعر الحروب الخارجيّة عند العرب المشارقة – من عصر الإسلام إلى نهاية القرن الرّابع الهجريّ**، دكتوراة، الجامعة الأردنيّة، 1996م.

ثالثاً – الدّوريات :

1. الجبر، خالد، **بلاغة بنية قصيدة أبي تمّام في فتح عمّورية**، مجلة دراسات- جامعة البتراء، المجلّد 41، الملحق2،2013م.
2. حسن، رشدي، **،شعر البحتريّ في حروب المسلمين مع الرّوم**، مجلة مؤتة للبحوث والدّراسات، جامعة مؤتة، المجلّد الثّاني، العدد الثّاني، 1987 .
3. زاده، عيسى، **دلالة اللّون في شعر المتنبّي**، مجلة إضاءات نقديّة، العدد 15،2014م.
4. الصّادق، مصباح، **التّناص في شعر أبي الطيّب المتنبّي**، المجلة اللّيبيّة العالميّة، العدد 6، 2016م.
5. صدّام، وجدان، **مستويات بناء الزّمن في شعر بشار بن برد**، مجلة دراسات البصرة- جامعة البصرة، 2014م.

6. عبد اللّطيف، عاطف، **الزّمن في شعر أبي تمّام – دراسة موضوعيّة فنّيّة**، حولية كلّية اللّغة– جامعة الأزهر، مجلد 3، العدد 34، 2014م.
7. عيسى، عبد الخالق، **التّناص مع القصّة القرآنيّة في شعر أبي تمّام**، مجلة جامعة الأزهر–جامعة الأزهر، المجلد 14، العدد 2 ، 2012م.
8. عيسى، محمد، **القراءة النّفسيّة للنّص الأدبيّ**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 19، العدد (1+2)، 2003م.
9. فريحات، مريم، **الزّمن في شعر أدونيس – قصيدة الوقت أنموذجاً**، المجلة العربيّة للآداب– جامعة البلقاء التّطبيقيّة، المجلد 3، العدد 2، 2012م.
10. قزمازي، عمر، **الصّراع مع الرّوم في سيفيات المتنبّي – دراسة موضوعيّة وفنّية**، مجلة كلّية اللّغة العربيّة–جامعة الأزهر، المجلد 1، عدد 26، 2006م.
11. محمود،عبيدات، **دور المكان في تشكيل الصّورة الفنّيّة في قصيدة على قدر أهل العزم لأبي الطّيّب المتنبّي – دراسة تطبيقيّة أسلوبيّة**، مؤته للأبحاث والدّراسات، المجلد 19، العدد8، 2004م.
12. منتصر، حازم، **أذربيجان في الشّعر العربيّ**، مجلة التّراث– جامعة الأزهر، عدد 7، 2015م.
13. الهاشمي، كريم، **الاغتراب والحنين في شعر أبي فراس الحَمدانيّ**، مجلة كلية التّربية– جامعة واسط، العدد الرّابع عشر، 2013م.
14. يونس، ساهرة، **الحوار في شعر أبي فراس الحَمدانيّ – دراسة تحليليّة**، مجلة أبحاث كلّية التّربية الأساسيّة– جامعة الموصل، العدد 3، 2006م.

رابعاً–المواقع الإلكترونيّة:

1. https://ar.wikipedia.org/wik .

Abstract

The space-time represent a basic core in the structure of a conflict poem for many reasons. One of the most important reasons is time. Time was used to reflect the conflict elements. Moreover, the poets at that time were interested to show the conflicts in their poems as also showing the wars in which their countries went through, with mentioning the Islamic values and their victorie through history.

The space-time crystalized the conflicts and wars with the romans, as the poets showed the importance of time in their poetry as well as focusing on war, as it was mentioned earlier without forgetting the reasons of having a war such as political, sociable and physcologicial reasons.

Never the less, the poets used their poems as a tool to show the fairness and importance of war. Therefore they helped to reinforce the value of their country and wars in their writing to be shown to the world.

All this study was categorized in three parts, the first one talked about time and it's effects, the second one showed the importance of time in conflicts in poetry, and the last one showed the physcological, historical and religious effects of a time or place.

In conclusion, the war poetry was not foced on a specific time or area, as since the beginning of humanity the conflict of a human was represented. The conflicts of a human with his surroundings for many different motives and from that point, the poets were eager to show all the conflicts that a human may go through his life in their poetry.

Hebron University

Dean ship of graduate studies

The Arabic Language and literature Program

Space-time in poetry conflict with the Roman

(Abu Tammam and Al-Mutanabi and Abu Firas Al-Hamdani as a model)

Prepared by:

sherin khalil andrawos shahwan

Supervised by:

Dr. Hussam Mohammed Tamimi

Associate professor of Abassid literature

This thesis was submitted in partial fulfillment of the requirements for the master's degree in Arabic Language Department form the Dean ship of Graduate studies at Hebron University

First Semester 2018-2019